BOBST LIBRARY
3 1142 01208 9788

New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Web Renewals:
http://library.nyu.edu
Circulation policies
http://library.nyu.edu/about

THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

RETURNED
JAN 2 2014
BOBST LIBRARY

Due 06/26/2014
0:45 PM
Majmu\02BBat
khutab
31142012089788
Bobst Library

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE

Ṭalʻat Ḥarb, Muḥammad

(Majmūʻat khuṭab)

HC
535
.T27
1930x
v.1
c.1

مقدّمة

الطبعة الثانيـــة

يسرّ مطبعة مصر أن تعود — مزهوّة فخورة — فتطبع هذه المجموعة القيّمة للمرة الثانية، وأن تنشرها بين الناس تحرّياً لمنافع الناس أنفسهم و إيثاراً لمصالحهم الفكرية

وليست هـذه المجموعة النفيسة إلا أفكارٌ نيرة لامعة هى خلاصة تجاريب رجل عظيم عاش فى الحياة المصرية وكأن هذه الحياة هي التى عاشت فيـه — عاشت فى روحه وتغلغلت فى دمه وتفكيره وفى كل خالجة من خوالج نفسه المصرية الصميمة

ولسـنا نبسط القول فى محتويات المجموعة حتى لا نضطر أن نمس صاحبها بالقول أو الاشارة فنتورط فى حقه دون أن نبلغ ما فى نفسنا له من التقدير والثناء والولاء والوفاء

وحسب هذه المجموعة قيمةً أنها خُطب الرجل العامل الصامت « محمد طلعت حرب »

وحسب مطبعة مصر فخراً أن تخرج هـذا الجزء الهام من التاريخ — تاريخ حقبة من الزمن فى حياة مصر الاقتصادية

و إذا كان قد أتيح لمطبعة مصر أن يكون لها فخر السبق إلى طبع هذه الخطب ونشرها بين أهل الفضل — فى مصر وفى سائر بلاد الشرق — فإنها لتعترف فى صراحة أن حظها كان كبيراً فى المرة الأولى ؛ و إنه لكذلك فى هذه المرة الثانيـة . إذ انتهزت الفرصة السـانحة ، فرصة إخراج هذه المجموعة للناس، فقدمت نفسها للقراء وقدمت فى الوقت ذاته دليلاً كافياً على قيمة ما تخرجه دائماً من غذاء للعقول ، ورعاية للثقافة ، وخدمة للتاريخ — التاريخ الاقتصادى المصرى الذى يجدر بكل مصرى أن يستوعبه بعناية و إمعان وخاصة فى هذا العهد الجديد

عاش « طلعت حرب » لخدمة مصر والمصريين

ووفق الله مطبعة مصر لخدمة الجميع

مطبعة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعة الأولى

كان لمطبعة مصر الحظّ أن تطبع بعض الخطب التى كان يلقيها حضرة صاحب العزة المالى الكبير محمد طلعت حرب (بك) بكميات قليلة تسدّ حاجة الراغبين فيها من أرباب الصحف الذين كانوا يستمعونها ويرغبون فى نشرها ، أو من الأصدقاء والمريدين الذين يودون الاحتفاظ بصورة منها ، فتجمّع من وراء ذلك فى محفوظات المطبعة مجموعة لا بأس بها من الخطب التى فاه بها حفظه الله

ولما كانت هذه الخطب قيّمة فى ذاتها ، وكانت تعتبر فى كثير من مناسباتها والوقائع الواردة فيها جزءاً هامًّا جداً من تاريخنا الاقتصادى والمالى فى الوقت الحاضر ، فضلا عن أنها تدل على ناحية من نواحى تفكير هذا المالى الكبير ، فقد رأت المطبعة أن تنتهز هذه الفرصة السانحة فتجمع هذه الخطب فى كتاب واحد ، حتى لا تعرّض للضياع والنسيان وحتى يسهل الرجوع إليها لمن يشاء أن يستقصى أهم الحوادث والأفكار الخاصة ببنك مصر

وقد ذهبت المطبعة فى التحرى عن الخطب التى فاه بها هذا المالى الكبير إلى زمن أبعد من الزمن الذى عاشت فيه المطبعة ذاتها وعاش فيها البنك نفسه . وعلى هذا يرى المطلع فى هذه المجموعة أننا أثبتنا فيها ترجمة خطبة ألقاها باللغة الفرنسية فى سنة ١٩١٣ فى حفلة أقيمت لتكريم وزير تجارة سابق فى حكومة فرنسا وهى أقدم خطبة عثرنا على

أصلها . وقد يكون هناك خطب أخرى ألقاها فى مناسبات نعرفها أو لا نعرفها غير أن أثرها للأسف مفقود يعزّ العثور عليه

والمجموعة هى مجموعة خطب كما يدل عليه عنوانها . والمطلع على فهرس هذا الكتاب يرى أننا قد أثبتنا فيه ستة وعشرين موضوعاً . منها تسعة عشر موضوعاً عبارة عن خطب ألقاها لمناسبات شتى بين سنة ١٩١٣ وسنة ١٩٢٧ ، ومنها تقرير قدمه إلى لجنة الصناعة والتجارة بالاشتراك مع حضرة صاحب المعالى يوسف قطاوى باشا فى سنة ١٩١٦ عن الصناعة والتجارة الألمانية قبل الحرب . وقد أثبتنا ترجمة هذا التقرير كمستند فى تاريخ فكرة طلعت حرب بك الاقتصادية والمالية قبيل تأسيس بنك مصر . ثم يرى القارىء أيضاً فى هذه المجموعة صورة نداء موجه إلى الأمة المصرية فى يناير سنة ١٩٢٥ للاكتتاب العام فى أسهم الشركة المصرية لتجارة وحليج الأقطان . وقد أثبتناه فى هذه المجموعة بالرغم من أنه موقع منه ومن أعضاء مجلس إدارة الشركة ، وذلك لأهميته أيضاً كمستند اشترك حضرته فى وضعه للدلالة على ميوله فى تعضيد الأعمال الصناعية . ثم محضر وضع الحجر الأساسى لبناء بنك مصر الجديد وقد أثبتناه حتى تكون المجموعة كاملة لاثبات هذا التاريخ الرائع فى حياة البنك ، ثم أدخلنا فى هذه المجموعة ثلاث قصائد تفضل بها أمير الشعراء أحمد شوقى بك فى ثلاث مناسبات هامة من حياة البنك : فى حفلة تأسيسه سنة ١٩٢٠ ، وفى حفلة وضع حجره الأساسى فى سنة ١٩٢٥ ، وفى حفلة افتتاح داره الجديدة فى سنة ١٩٢٧

وما كان يسعنا أن نغفل هذه القصائد الخالدة وأن لا ندمجها فى هذه المجموعة التاريخية حتى يتآخى الشعر فى أسمى خياله ، والمال فى أسمى فكرته ويلتقيا متقاربين فى هذه المجموعة النفيسة

وكثيراً ما رغبنا فى عمل هذه المجموعة قبل الآن فكان سعادته يرفض التصريح لنا

بطبعها ، غير أننا انتهزنا مناسبة افتتاح بنك مصر فى داره الجديدة بشارع عماد الدين فألحنا فى انتهاز هذه الفرصة وطبع هذه المجموعة وحليناها بصور بعض أعضاء مجلس الادارة ولبعض مناظر الدار المباركة تخللت صفحات الكتاب حتى يكون تذكاراً أدبياً بين عهدين لبنك مصر : عهده فى داره القديمة التى درج فيها ، وعهده فى داره الجديدة التى انتقل اليها فى هذه الأيام . وإذا كان العهد الماضى قد انقضى مملوءاً بالنجاح والتوفيق ، وهو أهل للفخار ، فاننا ونحن نتقدم بهذا التذكار الأدبى موضحاً ناحية من نواحى تفكير هذا المصلح العظيم ، وقائماً كأثر باق من هذا العهد القديم ، نتفاءل خيراً ويحق لنا أن نتفاءل خيراً بأن يكون العهد الجديد فى البناء الجديد أعظم بعون الله نجاحا وأكثر توفيقاً وأظهر فخاراً للوطن ولجهود أبنائه أجمعين فى هذا العمل القومى المتين

كما أننا إتماماً للفائدة قد أثبتنا فى نهاية هذه المجموعة بعض قطع خبرية ومقالات أدبية نشرت فى الجرائد لمناسبة افتتاح دار بنك مصر الجديدة

وإن مطبعة مصر التى هى مدينة بأكبر دين لبنك مصر فى تأسيسها لتنتهز هذه الفرصة ، فرصة انتقال بنك مصر إلى داره الجديدة ، لتعرب عن أمانيها الخالصة أن يجعل الله هذه الدار الجديدة داراً مباركة مقرونة بالتوفيق والنجاح لخير الأمة والمصريين أجمعين

والله يهدينا إلى سواء السبيل

القاهرة فى ١٥ يونيو ١٩٢٧

مطبعة مصر
شركة مساهمة مصرية

حضرة صاحب المعالى احمد مرهت يكن باشا

رئيس مجلس إدارة بنك مصر ووزير سابق

خطبـــة

محمد طلعت حرب بك

فى وليمة اتحاد المزارعين

لتكريم

المسيو سيجفرد

كان اتحاد المزارعين في مصر قد أولم ، عقب جمعيته العمومية المنعقدة في ٢٩ مارس سنة ١٩١٣ ، وليمة للمسيو سيجفرد وزير التجارة سابقاً فى الحكومة الفرنسية

ولهذه المناسبة كان قد حياه رئيس شرف هذا الاتحاد اجاتون بك ثم رئيس الاتحاد المسيو بيو بك ثم مسيو فكتور موصيرى ثم حضرة محمد طلعت حرب بك فخطب بالفرنسية الخطبة التى نثبت ترجمتها فيما يلى(١)

ليس من عادتى أن أخطب ولا أن أخطب بالفرنسية حتى ولا بالعربية ، ولـكنى اليوم أجرأ على الـكلام لعلمى أنى وسط أصدقاء أعتمد على تساهلهم وتسامحهم

قد كان فى نيتى أن أتغيب عن القاهرة هـذا المساء ولـكنى لما أشعرت بواسطة رئيس اتحادنا أن جناب المسيو سيجفرد سيكون حاضراً هذا الاجتماع أحببت بكل ارتياح حضوره لأحييه باسم مواطنىّ

سادتى :

إن من الناس طبقة لا يستطيع الانسان إلا أن يحبها ويعجب بها لأن أهلها ليسوا ملـكاً فقط لبلادهم التى يعملون فيها بل لأن عملهم أيضاً ـ وخاصة إذا كان وطنهم هو فرنسا ـ يكون منبعاً للنور يضىء الانسانية جمعاء . وعائلة سيجفرد من طراز هذه الطبقة

---

(١) انظر النص الفرنسى بعد الترجمة فى نفس هذه المجموعة

وقد عرفت هذه العائلة منذ ثمانية أعوام تقريباً فأحبتها وأعجبت بها من حيث لا تدرى

عرفتها من خلال ذلك الاحساس الذى ولده فى نفسى المأسوف عليه العالم الحسابى العظيم المسيو أوجين ليوتى الذى خصص جزءاً من حياته فى الجهاد المتواصل والسعى المتوالى ليثبت ضرورة قيام الأعمال على النظام الحسابى وضرورة الأخذ بيد الحسابات إلى مصافّ العلوم . ولقد وصل هذا العالم النحرير بفضل مساعدة أعوان له من بينهم عائلة سيجفرد لانجاح الأفكار والمشروعات التى كان يعمل لها والتى كان يعود أثرها على فن التعليم وعلى عالم الأشغال وعلى مستقبل التعليم التجارى فى فرنسا

من خلال كتاب أوجين ليوتى (عن التعليم التجارى والمدارس التجارية فى فرنسا وفى الخارج) تعرفت بجماعة سيجفرد

واسمحوا لى أيها السادة أن أذكر لكم ما كتبه المسيو أوجين ليوتى عن تاريخ تأسيس وتقدم مدرسة التجارة والنسج فى ليون . قال : —

« يتصل تاريخ مدرسة ليون بتاريخ مدرسة ميلوز تلك المدرسة التى فُتحت فى شهر أكتوبر سنة ١٨٦٦ واضطرت إلى أن تقفل أبوابها فى سنة ١٨٧٢ تاركة وراءها شهرة استحقتها بجدارة

« إن هذه المدرسة العالية للتجارة فى ميلوز ، هذه المدرسة التى تستدعى أن نكتب عنها للذكرى بعض سطور ، هى فى الحقيقة بنت فكرة سامية ذكية وطنية وكانت بداية تقدم التعليم التجارى فى فرنسا

« ولمدرسة ميلوز هذه رابطة وثيقة بعائلة سيجفرد . ذلك بأن اثنين أخوين من هذه العائلة ، جول وجاك سيجفرد ، كانا موظفين فى مكاتب أبيهما التاجر فى ميلوز ، فلفت نظرهما مقدار ما يدفع إلى وسطاء من الانجليز والأمريكان لتوريد الأقطان .

حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا

نائب رئيس مجلس إدارة بنك مصر وعضو مجلس إدارته المنتدب وعضو مجلس الشيوخ

وبالرغم من أنهما كانا شابين فانهما قد حصلا بالحزم على اجتياز المصاعب وتحرير التجارة من هذا العبء الثقيل، عبء مصاريف الوسطاء فى توريد الأقطان، فذهبا وأسسا بالتتابع فى أورليانز الجديدة بأمريكا وفى بومباى بالهند بيوتاً تجارية تصدر المحصول الشعرى النفيس مباشرة إلى ثغر الهافر حيث استقرا فيه. وبفضل ذكائهما ونشاطهما نجح عملهما بالرغم من حداثة سنهما، وكان نجاحهما منبعاً لثروة عظيمة

« وفى أواخر سنة ١٨٦٠ تحادثا فى مساء ذات يوم عن المصاعب التى اضطرا إلى اجتيازها، وعن الجهود التى طال صبرهما فى بذلها، وعن العمل الشاق الذى فتقا الحيلة فى القيام به. ثم نظرا نظرة إلى هذا الماضى واعترفا بأنهما لو كان لديهما، منذ بداية الأمر، معلومات تجارية أكثر من التى حصلا عليها بالتمرين على العمل، ولو فى محل يحاكى محل والدهما، لكان طريقهما فى الحياة أقلّ مشقة، ولجاء نجاحهما أتمّ. ثم صمما أن يعملا على فتح مدرسة خاصة فى مسقط رأسهما لتعليم أبناء بلدتهما المعلومات العالية التى بدت لهما ضرورية لمزاولة أعمال التجارة الكبرى

« وتأميناً على تنفيذ فكرتهما الوطنية اتجها إلى جمعية ميلوز الصناعية وعرضا عليها تأسيس مدرسة للتجارة بجوار مدرسة الصناعة حتى تكون متممة لها، وكم كنا نود أن ننقل هنا المذكرة التى قدماها لهذه الغاية إلى الجمعية الصناعية المشار إليها لاشتمال هذه المذكرة على اعتبارات هامة هى وليدة التجربة والخبرة والذوق السليم؛ وإنما يكفينا أن نثبت هنا ما قالاه فى ختام هذه المذكرة فقد انتهيا منها بقولهما:

« ومن الضرورى، بعد ما تقدم من البيان، أن نثبت الخدمات العظمى التى يمكن أن يؤديها هذا النوع من مدارس التجارة إلى الصناعة فى فرنسا. إن هذه المدارس من شأنها أن تخرج طائفة من العاملين، ينتشرون فى أنحاء العالم البعيدة ويمتزجون شيئاً فشيئاً فى أعمال التجارة فيزيدون من ثروتهم الشخصية ويزيدون من ثروة بلادهم القومية »

« وبمثل هذه الفصاحة فى البيان شفع الأخوان هذا النداء إلى الجمعية الصناعية بمبلغ من المال هو مائة ألف فرنك لتأسيس مدرسة للتجارة العالية فى ميلوز

« وكأن فصاحة هذين التاجرين قد امتزجت بسخاء لا يسعنا إلا الثناء عليه ، لأن التاجر الذى يعطى من ذهبه شيئاً لتأسيس معهد ذى منفعة عامة ، أى لمصلحة الوطن ، ليس مثله إلا كمثل الجندى يجود بدمه لمصلحة الوطن

« حقاً إن دفع مائة ألف فرنك ، لخدمة فكرة ، شىء جدير بالاعجاب . ولو أن فرنسا وجدت من بنيها عدداً من هؤلاء القادرين على مثل هذه التضحية لما كانت اليوم فى موضع الخطر الذى تتعرض له ، ولكانت الشبيبة الفرنسية أكثر نفعاً وأكثر عملا بفضل الاتجاه الذى تتجه إليه ، يحدوها الارشاد الذكى والنصيحة الحسنة — ولكنا لانجد إلا قليلا من العاطلين وكثيراً من العاملين ، ولكانت مدارس تجارة قد تأسست فوق أرضنا كما تأسست فى ألمانيا لاذاعة المعارف التجارية ، ولكان شباننا النابهون قد تمكنوا من الحصول على إعانات مالية للسفر فى الخارج كما نصح بذلك الأخوان سيجفرد ليتموا تعليمهم وتجاربهم وليفتحوا الأسواق التى تحتاج إليها صناعتنا . تلك الصناعة التى تقف تحت رحمة الوسائل غير الشريفة من المنافسة ، أو على الأقل تحت رحمة المنافسين الذين يستمدون قوة من تعليمهم وإقدامهم

« ومهما يكن من الأمر ، وبما أننا نفتح الكتاب الذهبى للتعليم التجارى ونسجل فى الصفحة الأولى منه اسم مؤسسى مدرسة تجارة عليا فى باريس كأول مدرسة من نوعها فى فرنسا ، فلنسجل فى الصفحة الثانية منه اسم الرجلين اللذين أحسنا استعمال ثروتهما الشخصية بطريقة نافعة نبيلة ، واللذين منذ ذلك الحين لم يكفا عن الدفاع بالقلم واللسان عن قضية التعليم التجارى والمدارس التجارية . » اهـ

وكذلك نلقى الأخوين سيجفرد يعملان بنفس الحماسة فى ثغر الهافر . وإننا

حضرة صاحب العزة الدكتور فؤاد سلطان بك

عضو مجلس الادارة المنتدب لبنك مصر وعضو مجلس النواب

نستسمح حضراتكم لنقل ما ذكره مسيو أوجين ليوتى فى هذا المؤلف النفيس عن عملها فى هذا الثغر ، قال : —

« فى الهافر ، منذ بداية سنة ١٨٧١ ، فى بداية هذه الحمى التى تملكت فرنسا وهى طريحة الآلام ، حمى ضرورة العمل على رفعة البلاد لتقف موقفاً لائقاً بها أمام عدو متعلم وضرورة إصلاح نظامنا التعليمى وتوجيهه فى اتجاه عملى — نقول فى وسط هذه الحمى تقدم الأخوان سيجفرد وهما يشعران بأهمية التعليم التجارى ، فوجها إلى تجار مدينة الهافر نداء فصيحاً جديراً بأن ينقل بالحروف . وهذه هى القطعة التى عثرنا عليها والتى تستحق أن تتبوأ مكاناً خطيراً بين مستندات تاريخ التعليم التجارى فى بلادنا

« قال الأخوان سيجفرد ما يأتى :

« فى وسط المحن المؤلمة التى أراد القدر أن يصيبنا بها فكرنا فى أن من أفضل الطرق الفعالة لتجديد قوى الحياة فى فرنسا أن تفتح أبواب العمل فى الصناعة والتجارة للشبان الأذكياء الذين يبحثون فى هذه الأعمال عن رفاهيتهم واستقلالهم وحريتهم الصحيحة . وقد ألفنا لهذه الغاية لجنة تنظيم مؤقتة لدراسة الحالة ووضع القواعد التى تشاد بمقتضاها مدرسة عالية للتجارة فى ثغر الهافر مع مراعاة الرقى الذى وصلت إليه المدارس التجارية العالية فى فرنسا وفى الخارج ، والذى أصبح تأثيره الحسن أمراً واقعاً لا ينكره إنسان

« وتعد هذه المدرسة الحرة للشبان الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والعشرين حيث يدرسون فيها دراسة خاصة قوية الأسس فيخرج منها موظفون أكفاء ورؤساء مستنيرون ، ومديرون ممتازون ، وبالجملة رجال عمليون يخدمون وطنهم أنى عملوا فى الأعمال الحرة أو فى الأعمال العامة

« ويلوح لنا حقاً أن لوجود مدرسة للتجارة عالية من الأهمية ما لا يجعلنا نتردد

فى التأكيد بأنها ستكون للتجارة الفرنسية على العموم ، ولتجارة سوق الهافر على الخصوص ، سبباً وواسطة للسير بالتجارة فى مدارج هامة للرقى ، وثابتة بقدر ما تكون مستندة إلى أحسن المبادىء الاقتصادية التجارية »

وقد كادت المدرسة أن تفشل فى سنة ١٨٨١

ولكنها كيف تفشل والأخوان سيجفرد اللذان أسساها على قيد الحياة ؟ والواقع أنهما أنقذاها بدون تردد حيال التضحية الواجبة لاحيائها

وإن الذى نحتفل به الليلة هو أحد هذين الأخوين اللذين قال عنهما ليوتى أنهما أحسنا استعمال ثروتهما الشخصية بطريقة نبيلة نافعة ، واللذين لم يكفا عن الدفاع بالقلم واللسان عن قضية التعليم التجارى ، وقضية كل ما يتعلق بحالة بلادهما الاقتصادية

ولسنا نحييه هنا فقط بصفته وزيراً سابقاً فى فرنسا بل نحييه أيضاً بصفته رجل خير ورجل وطنية مستنيرة

لقد كنت أظن ، أيها السادة ، أن إحساس الخير واندفاع القلوب فى سبيله ميزة فى عائلة سيجفرد اختص بها الرجال

غير أن مدام سيجفرد قد أظهرت لنا فى السفواى أنها تعرف كيف تشرف الاسم الذى تحمله ، فقد أخذت على عاتقها أن تكون ذات أثر محسوس فى فعل الخير وفى تحسين حال بنى الانسان . فكما أن زوجها قد أخذ على عاتقه تحسين حال الرجال فهى قد أخذت على عاتقها تحسين حال الجنس اللطيف — فهما فى هذا يعملان على فكرة واحدة وفى سبيل غرض أسمى واحد

وحقاً ينبغى أن نحب مسيو سيجفرد وأن نتخذه مثلا يقتدى به

فالثروة فى اعتباركم واسطة ، ولا ينبغى أن تكون غاية ، ويجب أن نقدرها كما تقدرون

إننا نريد أن نتبع آثاركم ، وأن نعمل شيئاً من الخير لبلادنا

إن مطالبنا متواضعة : فنحن نريد فقط أن نتبوأ مكاناً تحت الشمس ، وأن نعيش مع الآخرين وكما يعيش الآخرون

نريد أن نكون منتجين وأن نحسن الانتاج ؛ ونريد أن نورد ما ننتج وأن نحسن التوريد ؛ ونريد أن نستهلك وأن نحسن الاستهلاك

نريد أن نكون عملاء محمودين وأصدقاء محبوبين

ونؤمل أننا ، باحتذاء مثلكم ، نستطيع أن نصل إلى هذه الأغراض

ونحن نشكركم على الطريق الذى دللتمونا عليه . ولهذا فاننى لم استطع منع نفسى من الحضور لأقول لكم ما اعتقد

وليحيَ مسيو سيجفرد

وليحيَ جميع العاملين لخير بلادهم

Mais comment pouvait-elle sombrer quand les Siegfried, leurs promoteurs étaient là. Ils en ont opéré le sauvetage, sans hésiter devant les nouveaux sacrifices nécessaires pour lui assurer l'existence.

Celui que nous sommes heureux d'honorer ce soir, est l'un des deux frères qui ont su faire, comme le dit Léautey, un noble et utile emploi de leur fortune et qui n'ont jamais cessé de plaider par la parole et par la plume la cause de l'enseignement commercial et des écoles de commerce, ainsi que la cause de tout ce qui touche à l'état économique de leur pays.

Ce n'est pas seulement en sa qualité d'ancien ministre de France que nous saluons M. J. Siegfried, mais encore et surtout en sa qualité d'homme de bien et de patriote éclairé.

Je croyais, Messieurs, que ce sentiment du bien et cet élan du cœur étaient dans la famille Siegfried du domaine exclusif des hommes.

Madame Siegfried vient de nous prouver, au Savoy, qu'elle sait faire honneur au noble nom qu'elle porte. Elle a pris à tâche d'être utile à ses semblables et d'améliorer leur sort. Comme son mari s'est chargé des hommes, elle s'est chargée du sort du beau sexe, partant tous deux des mêmes idées et ayant le même but.

Oui, Monsieur Siegfried, nous devons vous aimer et vous avoir comme modèle et exemple.

Selon vous, la fortune est un moyen; elle ne doit pas être un but; nous devons l'entendre comme vous.

Nous voulons suivre vos traces et tâcher de faire un peu de bien à notre pays.

Nos prétentions sont très modestes ; nous voulons seulement avoir une place au soleil, vivre avec les autres et comme les autres.

Nous voulons être bons producteurs, bons fournisseurs et bons consommateurs.

Nous voulons être bons clients et bons amis.

Nous espérons qu'en vous imitant, nous pourrons arriver à ces buts.

Nous vous remercions de nous avoir indiqué le chemin, et c'est pourquoi je n'ai pu m'empêcher de venir vous dire ce que je pense.

Vive les Siegfried et tous ceux qui font du bien à leur pays !

Nous retrouvons encore les frères Siegfried déployant le même zèle au Havre.

Une citation encore de ce remarquable ouvrage d'Eugène Léautey :

« Au Havre, dès le commencement de 1871, au début de cette fièvre de relèvement qui s'empara de la France abattue et qui lui montrait la nécessité, pour faire face à un ennemi instruit, de réformer notre instruction et de la diriger surtout dans une voie positive et pratique, les frères Siegfried, pénétrés de l'opportunité de l'enseignement commercial, adressaient au commerce de leur ville un éloquent appel, qui mérite d'être reproduit ici en entier. Voici ce morceau que nous avons réussi à retrouver et qui prendra place parmi les documents intéressant l'histoire de notre enseignement commercial :

« Au milieu des épreuves douloureuses que la Providence a infligées à « notre patrie, nous avons pensé qu'un des meilleurs moyens de concourir effi- « cacement à la régénération de la France, est d'ouvrir la voie à la jeunesse « intelligente, qui cherche dans le travail et particulièrement dans le commerce « et l'industrie, le bien-être légitime, l'indépendance et la vraie liberté.

« Dans ce but, nous nous sommes réunis en comité provisoire d'organi- « sation pour étudier les conditions d'existence et jeter les bases d'une Ecole « supérieure de commerce, à établir au Havre, en tenant compte des progrès « réalisés dans l'établissement d'institutions du même genre, créées en France « et à l'étranger, et dont la salutaire influence est un fait connu de tous.

« De cette école libre, ouverte aux jeunes gens de seize à vingt ans, « devront sortir, après de fortes études spéciales, de bons employés, des chefs « éclairés, des administrateurs d'élite, en un mot, des hommes positifs qui « dans la vie commerciale et privée, comme dans la vie publique et politique « rendront service à leur patrie.

« Une Ecole de commerce vraiment supérieure nous semble avoir une « telle importance, que nous n'hésitons pas à affirmer, qu'elle sera, pour le « commerce français en général, et plus particulièrement pour la place du « Havre, la raison et le moyen de développements importants et durables, « appuyés qu'ils seront sur les bonnes et sages maximes de l'économie com- « merciale ».

L'Ecole, un moment, faillit sombrer en 1881.

excellente école industrielle, une école de commerce qui la complèterait. Nous voudrions pouvoir reproduire ici le mémoire qu'ils adressèrent à cet effet à la Société industrielle, car il contient des considérations fort remarquables dictées par l'expérience et le plus pur bon sens. 'Est-il besoin, concluaient M.M. Siegfried, de faire ressortir les services que rendraient des écoles de cette nature au commerce et à l'industrie de la France. Qui ne voit que leurs élèves répandus dans les pays lointains développeraient peu à peu les affaires françaises et, tout en faisant leur fortune, accroîtraient d'une façon considérable la prospérité de leur patrie.'

A l'appui de cet éloquent plaidoyer, les frères Siegfried adressaient à la Société Industrielle une somme de 100.000 francs destinée à la fondation projetée.

« L'éloquence des deux négociants se doublaient ainsi d'un rare exemple de libéralité que nous ne saurions trop louer. Aussi bien le commerçant qui donne ainsi son or à une fondation d'intérêt général, c'est-à-dire à la patrie, marche de pair avec le soldat qui lui donne son sang. Cent mille francs au service d'une idée ! Ah, si la France comptait beaucoup de négociants capables d'un semblable sacrifice, notre commerce ne serait pas aujourd'hui dans le péril où il se trouve ! Bien conseillée, bien encouragée, la jeunesse française aurait pris une direction plus sensée, plus utile, plus pratique. Nous compterions moins de déclassés et plus de travailleurs. De nombreuses écoles de commerce eussent été fondées sur notre sol, comme en Allemagne, pour propager les connaissances commerciales; enfin, au moyen de bourses de voyages, de commandites d'élèves diplômés, ainsi que le conseillaient M.M. Siegfried, un grand nombre d'émigrants, convenablement instruits et expérimentés, auraient créé partout des débouchés, fondé ces comptoirs qui font défaut à notre industrie et qui la mettent à la merci de concurrents plus ou moins loyaux, mais à coup sûr instruits et entreprenants.

« Quoi qu'il en soit, puisque nous avons ouvert le livre d'or de l'enseignement commercial, dont la première page appartient aux créateurs de l'Ecole supérieure de commerce de Paris, la première fondée en France, inscrivons en tête de la seconde page le nom des deux hommes qui ont su faire un si noble et si utile emploi de leur fortune et qui, depuis lors, n'ont pas cessé de plaider, de la parole et de la plume, la cause de l'enseignement commercial et des écoles de commerce ».

C'est à la lecture de son ouvrage: L'*Enseignement commercial et les écoles de commerce en France et à l'étranger,* que j'ai fait la connaissance des Siegfried.

Je vous cite, Messieurs, ce que dit Eugène Léautey en parlant de l'historique de la fondation et du développement de l'Ecole de commerce et de tissage de Lyon:

« L'histoire de l'Ecole de Lyon s'aboutie à celle de l'Ecole de Mulhouse qui, ouverte en Octobre 1866, dut fermer en 1872, non sans avoir acquis une rapide et juste célébrité.

« Cette Ecole supérieure de commerce de Mulhouse, à laquelle il convient de consacrer ici quelques lignes de souvenir, dut son origine à une action à la fois généreuse, intelligente et patriotique, qui marqua le point de départ du développement de l'enseignement commercial en France.

« Deux frères M.M. Jules et Jacques Siegfried, qui étaient employés dans les bureaux de leur père, commissionnaire à Mulhouse, avaient été frappés du fort tribut payé à des intermédiaires américains ou anglais pour l'importation du coton. Quoique bien jeunes encore, ils ne craignirent pas de tenter d'affranchir notre commerce de ce lourd surcroît de dépense et fondèrent successivement à la Nouvelle-Orléans et à Bombay des maisons qui expédièrent directement le précieux textile au Havre, où ils s'étaient établis. Grâce à leur intelligence et à leur activité, cette entreprise, peut-être un peu hardie à leur âge, réussit et fut la source de leur fortune.

« Vers la fin de 1865, causant un soir des difficultés qu'ils avaient eu à surmonter, des efforts de patience, de travail qu'ils avaient dû déployer, ils s'avouaient que s'ils avaient, au début, possédé des connaissances commerciales plus générales que celles qu'ils devaient à un simple apprentissage, même chez un maître comme leur père, leur tâche eut été moins laborieuse et leur succès peut-être plus complet. Ils résolurent alors de provoquer la création dans leur ville natale d'une école spéciale, où leurs jeunes compatriotes pourraient acquérir cette instruction technique supérieure qui leur paraissait indispensable à la pratique du grand commerce.

« Afin d'assurer l'exécution de cette pensée patriotique, ils s'adressèrent à a Société Industrielle de Mulhouse et lui proposèrent de fonder, à côté de son

DISCOURS

DE S.E. M. TALAAT HARB BEY

Le 29 Mars 1913, au banquet annuel de l'Union des Agriculteurs qui, cette année, était présidé par M. J. Siegfried, ancien Ministre du Commerce de France, S.E. M. Talaat Harb Bey, après d'autres orateurs, a prononcé le discours suivant:

MESSIEURS,

Je n'ai pas l'habitude de faire des discours en français ni même en arabe. Mais aujourd'hui, je me risque, sachant que je me trouve au milieu d'amis sur l'indulgence desquels je puis compter.

Je devais m'absenter ce soir du Caire. Mais lorsque j'ai été prévenu par notre Président que M. Siegfried serait des nôtres, j'ai tenu à venir le saluer au nom de mes compatriotes.

MESSIEURS,

Il y a une catégorie de personnes qu'on ne peut qu'aimer et admirer. Ces personnes n'appartiennent pas seulement à leur pays, parce que le bien qu'elles y font, et surtout lorsque ce pays est la France, jaillit sur toute l'humanité. La famille Siegfried est de ce nombre.

Il y a huit ans environ, j'ai commencé à l'admirer et à l'aimer, certainement sans qu'elle s'en doute.

Je dois ce sentiment, qui n'a fait que grandir depuis, au regretté Eugène Léautey, cet érudit savant comptable, qui a consacré une grande partie de sa vie dans une lutte suivie et bien raisonnée pour mettre en évidence et en relief la nécessité de l'ordre comptable dans les entreprises et dans les affaires, et d'élever la comptabilité au rang d'une science.

Il a réussi, grâce au concours puissant de certains partisans haut placés dont les Siegfried, à faire triompher ses idées et à intéresser le monde enseignant et le monde des affaires à l'avenir de l'enseignement commercial en France.

تقرير عن الصناعة والتجارة الالمانية

مقدم إلى لجنة الصناعة والتجارة

من حضرتى محمد طلعت حرب بك ويوسف قطاوى أصلان باشا (١)

القاهرة فى ١٢ يونيو سنة ١٩١٦

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الصناعة والتجارة

نتشرف بأن نبلغ سعادتكم نتيجة المهمة التى تفضلتم فكلفتمونا بها بخطابكم المؤرخ ١٨ أبريل ١٩١٦ ، وهى البحث عن الأساليب التى اتخذتها التجارة الألمانية والنمسوية لتثبيت أقدامها فى الأسواق المصرية

والواقع أننا لم نهتمّ فى بحثنا إلا بموضوع التجارة الألمانية لأنها هى وحدها التى فتحت الطريق ومهدت السبيل الذى انتفع الغير به

والذى نلاحظه أنه ليس لألمانيا طريقة خاصة بالنسبة لمصر . بل إن لها طريقة عامة هى عبارة عن برنامج اقتصادى عام لنمو صناعتها وارتقاء تجارتها ، وهذا البرنامج الاقتصادى العام هو وليد تطورها التاريخى والسياسى

وليس من شك فى نتائج هذا البرنامج العام إذا نحن قارنا المستوى الذى وصلت إليه ألمانيا فى وقتنا الحاضر بما كان عليه هذا المستوى قبل حرب سنة ١٨٧٠ التى هيأ الانتصار الحربى فيها طريق الفوز فى الميدان الصناعى والتجارى

فألمانيا تقدر تجارتها الخارجية فى الوقت الحاضر بخمسة وعشرين ملياراً بحيث إنها

---

(١) قدم التقرير باللغة الفرنسية والنص المنشور هنا هو ترجمة النص الفرنسى كما جاء فى أصله تماماً . وقد هنأت اللجنة واضعيه وقررت طبعه ونشره للانتفاع به (انظر محضر جلسة يوم ١٢ يونيه ١٩١٦) ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل بكل أسف

تأتى فى الصف الأول مباشرة عقب انجلترا ؛ وأسطولها التجارى الذى كان يأتى فى الترتيب خلف فرنسا قبل سنة ١٨٧٠ أصبح لا يسبقه فى سنة ١٩١٣ إلا الأسطول التجارى البريطانى وأسطول الولايات المتحدة التجارى ؛ وهى من حيث إنتاج الحديد المشغول والصلب لا يسبقها فيه سابق

ومثل هذه النتائج لا يمكن تفسيرها بغير قوة من العمل فعّالة تقودها إرادة من حديد . وفى الواقع إن أبحاثنا أوصلتنا إلى العثور على طريقة من النظام مدبرة باحكام ترمى إلى توحيد جميع قوى الأمة وتوجيهها فى سبيل غاية واحدة هى السعى إلى تفوق ألمانيا

وسنبدأ بعرض وجوه هذا النظام فى مختلف نواحيه المتنوعة ، معتمدين فى معظم هذا على ما استقيناه من مؤلفات عديدة ظهرت حديثاً فى هذا الموضوع

المطامع الالمانية

حوالى سنة ١٨٨٠ بدأت فى ألمانيا حركة تعضيد الصناعات الألمانية الناشئة للوصول إلى تفوق تجارات الصادرات الألمانية على سواها

ولهذه الحركة مظاهر فى الداخل ومظاهر فى الخارج

فى الداخل

فى سنة ١٨٨٢ كانت نسبة السكان العاملين فى التجارة والصناعة تبلغ ٤٥ ٪ من مجموع السكان فزادت فى سنة ١٩٠٧ إلى ٥٦ ٪ ، ذلك بأنه فى كل سنة يهجر كثير من القرويين قراهم ليلتحقوا بالمصانع مما ترتب عليه نمو المدن نموًّا مطرداً بالسرعة الأمريكية ، ووجود جيوش من العمال بمعنى الكلمة . مثال ذلك مصانع كروب التى تحوى وحدها الآن ٧٣٫٠٠٠ رجل

وقد نشأ عن هذه الحال إثراء هائل فى البلاد يدل عليه أنه فى سنة ١٨٩٥ كان يقدر إيراد مجموع الثروة فى الأمبراطورية الألمانية بمقدار ٢١ ملياراً ، فتراوحت تقديرات هذا الايراد فى سنة ١٩١٣ بين ٤٠ و ٥٠ ملياراً ، وقدر مجموع الثروة الألمانية بمقدار ٣٢٠ ملياراً ، منها نحو تسعة مليارات ونصف مليار مودعة فى البنوك ، وثمانية عشر ملياراً مودعة فى صناديق التوفير

ومن هنا تملكت النفوس الأطماع وداخلتها الرغبة فى أن تبنى كل شىء بناء شامخاً عظيما . فهم إذا أرادوا تشييد دار للبريد أو محطة للسكة الحديدية أو مدرسة لا يبنون ما يريدون أن يبنوا على أساس الحاجات الحاضرة بل على أساس الحاجات بعد أزمان بعيدة

مثل ذلك أنهم حين شيدوا فى بريمهافن هويساً تجتازه البواخر شيدوه وجعلوه يزيد فى طوله بمقدار ٢٢٢ متراً عن أطول باخرة كانت معروفة لديهم وقت البناء

كذلك حين أرادوا توسيع ميناء همبورج أعملوا المعاول والديناميت فى تخريب أحياء واسعة عامرة بالبيوت ليقيموا مكانها حياضاً للمياه

فى الخارج

وفى الخارج عملت البنوك الألمانية والتجارة الألمانية وخطوط الملاحة الألمانية وأقلام الاستخبارات الألمانية على تطويق الكرة الأرضية بخيوط مشتبكة يتعذر على سواهم فك ألغازها

فأنت أنى تذهب تلقَ ممثل التجارة الألمانية أو رسول بيوتها التجارية يحمل معه مشغولات الصناعة الألمانية؛ فاذا بك تراها خرجت عن الأصناف الرديئة وانتقلت إلى درجة الأصناف الجيدة . وإذا بك تراه يقدمها بأرخص الأثمان وبشروط للتسليم والدفع

تتغلب على كل منافسة للمصـــنوعات الأهلية

وعند ما لا تـكفى هذه الوسائط ، عندما تـكون التعريفة الجمركية فى أى بلد من البلدان ، أو تعريفة النقل ، تتعارض ودخول المنتوجات الألمانية بحيث تتألف منها حواجز عائقة من هـذا الدخول — فان المعامل الألمانية نفسها المشتغلة بصناعات الحديد والمواد الـكيميائية والمنشآت الـكهربائية هى التى تنتقل لتستقر فى البلاد الأجنبية كما تستقر فى البلاد المفتوحة بحد السيف

وهذا هو ثغر أنفرس فى بلجيكا فقد كان ثغراً ألمانياً ؛ وهـذه هى أسواق زوريخ فى سويسرا ، وأسواق ميلانو فى إيطاليا فقد كانت أسواقاً ألمانية

صفات الالمانى

وقد ساعدت صفات الألمانى أكبر مساعدة على الوصول إلى هذه النتيجة . فهو ذو إرادة قوية وعزيمة صادقة فى العمل والانتاج ، وإنتاجه عظيم بنسبة عدد العـاملين وعددهم لا شك عظيم ؛ لأنه بالرغم من أن نسبة المولودين إلى المتوفين قد قلت عما كانت فى سابق الأيام ، فان الزيادة لا تزال تقدر بـ ٨٠٠ ٠٠٠ نفس فى كل عام . هذا فضلا عن أن الألمانى قد انطوت نفسه على احترام الطبقات الاجتماعية التى تعلوه مهما كان سبب علوها ، كما انطوت على حب النظام الذى اعتاده بفضل تغلب النظام العسكرى

من أجل هذا ترى الألمانى ينفذ الأوامر فى الأعمال كما ينفذها الجندى فى ميدان القتال . ألم يقل فون بيلو حديثاً : « إن العسكرية هى مدرسة العمال الألمانيين » . بل هناك ما هو أكثر من ذلك : فقد عرف الألمان كيف ينتفعون من نفس العيوب المعروفة عن العامل الألمـانى . فهو معروف بأنه كثيراً ما تنقصه ملـكة الاختراع ومواهب التغيير والتبديل والتحسين الذوقى الفنى . فاتخذ الألمان هذه العيوب وسيلة لتشغيله على قاعدة

العمل فى صنف واحد مفصل محدد . وطريقة الانتاج على أساس العمل المكرر فى قطعة واحدة ، وبكثرة هائلة ، هى أسمى ما تصبو إليه الصناعات فى الوقت الحاضر

وقد ساعدت من جهة أخرى هذه الصفات على جعل ألمانيا أحسن بيئة تنبت فيها وتنمو النقابات والجماعات وصنوف الاتحادات . فتركزت رءوس الأموال ، وتدعمت أعمال الشركات ، وتكونت جماعات العمال ، وتقاربت مصالح الجماعات بين المنتجين . وبالجملة فقد اتحدت وتنظمت للعمل جميع القوى الأهلية فى البلاد

العلم الالمانى

وصفات الألمانى هذه كان لابد لها أيضاً أن تقوده إلى تنظيم الانتاج تنظيماً علمياً هو السبيل الوحيد لا لبعث ملكة الاكتشاف فى النفوس بل للانتفاع من الاكتشافات من أى جهة من جهات العالم جاءت ، كالانتفاع باكتشاف الألوان ، وآلات الدينامو الكهربائية ، ونقل القوى والسيارات وغير ذلك من صنوف الاكتشافات ، التى هى فى أصلها فرنسية أو انجليزية ، وهى مع هذا كانت سبباً فى إثراء الصناعات الألمانية

وكلمة العلم لها وقار فى نفوس الألمان عظيم . وألقاب الدكتور أو البروفسور تحاكى لديهم ألقاب الامارة سواء بسواء

فاذا قيل لديهم « هربروفسور » دبّ هذا فى آذانهم دبيب القوة والاقتدار . فهو يحمل الأوسمة والألقاب ويلقب بصاحب السعادة . بل هو جزء من أركان حرب الحياة الاجتماعية . بل هو يمثل فى شخصه القبض على جزء من السلطة العمومية فى البلاد

ومن المأثور عن أحدهم ، وهو البروفسور ف. فيشر ، أنه قال فى سنة ١٨٩٧ :

« إن من المعترف به عامة أن تفوق الصناعات الكيميائية ناشىء فقط عن تحضير العاملين فيها لمزاولة مهامهم تحضيراً طويل المدى واسع النطاق »

كذلك يؤثر عن أحد مديرى شركة من شركات المنتوجات الكيميائية أنه قال للمسيو فكتور كمبون فى سنة ١٩١٠ أن لديه فى شركته ١٤٥ كيميائياً منهم سبعون فقط يشتغلون فى الأعمال اليومية العادية وسبعون يشتغلون بالأبحاث العلمية الكيميائية ، وأن هؤلاء الأخيرين يكلفون الشركة سنوياً ٣٦٠ر٠٠٠ فرنك وأن تسعة أعشارهم لا ينتج شيئاً ، ولكن العشر الباقى قد يوفق إلى اختراع أشياء تكفى لكسب الملايين فى كل عام

وقد ساعد هذا التصور الألمانى فى تقدير العلم والأبحاث العلمية على تحصين المصنع الألمانى بأنواع من التفوق ليس بعده تفوق . وإذا كان الكيميائيون الألمانيون لم يوفقوا فى عالم الكيمياء إلى اكتشافات أساسية عامة فهم من غير شك يوفقون كل يوم إلى اختراع تحسين جديد على اختراع قديم ، أو يوفقون إلى اختراع لون جديد على أساس قوانين الألوان الموجودة ، أو إلى اختراع منتوج أجزائى جديد

وقد بلغت الصناعات الكيميائية فى ألمانيا مبلغاً من التفوق كاد يقضى فى زمن الحرب على كثير من الصناعات المبنية عليها . مثل ذلك صناعة المواد الملونة — حتى استطاعت ألمانيا بفضل هذا التغلب أن تحصل من الدول المحايدة على امتيازات اقتصادية مقابل دفع ثمنها من منتوجاتها الكيميائية التى احتكرت صنع أصنافها

ولغاية ١٨٣٠ كانت الصناعات الكيميائية الألمانية مقصورة أعمالها على معالجة أملاح ستاسفورت من صودا وبوتاس وعلى استخراج خميرة الجعة . وكانت أول غرفة لرصاص الحمض الكبريتى قد تأسست فقط فى سنة ١٨٢٠ . وكان المصنع الأول والوحيد الذى تأسس فى سنة ١٨٤٣ لصناعة الصودا لا ينتج فى العام أكثر من مائتى طن . ومع هذا كله فان الصناعات الكيميائية سبقت بقية الصناعات فى زمن وجيز

نعم إن الاكتشافات الأساسية للألوان المستخرجة من النيلة جاءت عن طريق فرنسا وانجلترا ، ولكن الألمانيين الذين قد استخرجوا فى سنة ١٩١٤ من مناجمهم نحو ٣٠٠ مليون طن فحم لم يتأخروا عن احتكار صناعة المواد الملونة المستخرجة من قطران الفحم ، وكذلك الحال فيما يتعلق بصناعة الكهرباء التطبيقية الفنية وبصناعات الصلب والحديد

وليس للصناعات الحديدية فى ألمانيا فضل الاختراع الذى يرجع معظمه إلى الصناعات المنافسة فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، لكنها فى ألمانيا تسبق مثيلاتها فى المثابرة على التطبيقات العملية ، وتحسين هذه التطبيقات بتحسين طرق إنتاجها العلمى . وهذا هو ما نراه مثلا فى رجال الصناعة بمنطقة وستفاليا الألمانية . فانهم لم يخترعوا أية طريقة جديدة فى صناعة الصلب ، ولكنهم كانوا أسرع من الانجليز فى تطبيق الوسائل الجديدة فى هذه الصناعة

وإليك مثلا ذا مغزى ، يوضح ما قدمنا ، وهو أن صناعة الخزف فى فرنسا تنقصها فى الوقت الحاضر ساعات خاصة معروفة باسم ساعات سيجر ، لقياس الحرارة فى الأفران . ذلك بأن الساعات التى كانت مستعملة قبل الحرب فى هذه الصناعة ، كانت ترسل من مصنع ألمانى تحت إشراف المصنع الملكى فى « شارلوتنبورج » . ومعنى هذا أن مصانع سيفر الفرنسية الشهيرة لم تكن منظمة ، لا صناعياً ولا إدارياً ، بكيفية تسمح بتموين صناعات الخزف الفرنسية بما ينقصها من ساعات لازمة لقياس حرارة الأفران

أضف إلى ما تقدم أن التشريع الألمانى الخاص بتسجيل الاختراعات وتخويل أربابها البراءات الحافظة لحقوق اختراعهم ليس تشريعاً متشدداً فى التبصر كسواه فى البلاد الأخرى . بل هو تشريع يسر لا عسر ، يشحذ العزائم ، ويحضها على البحث ، حتى إن طلبات البراءات لا تعدّ ولا تحصى ، والقلم الخاص بها يفحص سنوياً حوالى ٣٥٫٠٠٠ براءة اختراع

والأغرب فى هذا الباب ، أن كثيراً من الاختراعات تنكرها بلادها على ذويها فتتحول إلى اختراعات ألمانية . وتسجل وتصدر عنها جوازات أو براءات الاختراع . ثم تخرج تطبيقاتها من ألمانيا لتعود إلى بلد الذى اخترعها

ضرورة التصدير

وقد كان من أثر هذا النظام الذى سبق شرحه أن انتهى إلى نتائج عظيمة الأهمية ، لأن تحسين وسائط الانتاج الصناعى قد أدى إلى الشعور بضرورة زيادة الانتاج بكميات ومقادير هائلة ، ولكنه ظهر بالتالى أن الطلب ليس هو الذى يحدد مقدار ما ينبغى إنتاجه ، بل العدد والماكينات المستعملة فى الصناعات هى التى تحدد ما ينبغى استخراجه منها . أو بعبارة أخرى أن الأفران العظيمة التى تستعمل فى الصناعات ينبغى ألا تطفأ ، والعدة التى يعمل بها العامل ينبغى ألا تقف عن الدوران . والفرن والعدة وسيلتان للانتاج ، يستدعيان تجديداً على الدوام حتى يستخدما فى استخراج أقصى ما يمكن استخراجه من صنوف الانتاج . والعدة العقلية لا تقل أهمية عن العدة الميكانيكية ، لأنه فى صباح اليوم السعيد الذى يصل فيه المخترع إلى اختراع جديد لا ينبغى فقط استغلال اختراعه للقيام بنفقات حياته ، بل ينبغى أن يسد الناتج من هذا الاختراع نفقات الأبحاث التى لم يوفق أربابها للوصول إلى أية نتيجة

حقاً إن هذه الظاهرة ليست خاصة بالصناعة الألمانية ، بل هى ظاهرة عامة من مستلزمات النظام العصرى للصناعات . فبينما كانت الصناعات قديماً تنظم جهودها على أساس الحاجات الحاضرة ، أو الحاجات المتوقعة لمدة قليلة من الزمن : إذا بها فى العهد الحديث تخضع لحكم الضرورة القاضية بأن يستمر العمل فى المصنع بحيث يتكرر ، ويتعهد منتوجه فى مدة أسرع من المدة التى يزيد فيها عدد المستهلكين . ومع

ما تقدم فان أثر هذه الظاهرة فى البلاد الألمانية أشد وضوحاً منها فى أى دولة أخرى

ولهذا فان مسألة البحث عن أسواق خارجيـة لتصريف المصنوعات الألمانية عرضت فجأة فى البلاد الألمانية وبصفة أكثر استعجالا منها فى البلاد الأخرى ، خصوصا لضرورة دفع أثمان المواد الخام ومواد الغـذاء التى ترسل إلى ألمانيا من الخارج ؛ لأن نحو عشرين مليوناً على ٦٧ مليوناً — أى نحو اثنين على سبعة — من السكان يعتمدون فى المواد الغذائية واللحوم اللازمة لهم على ما يصل إليهم من الخارج

وعلى هذا كان تصـدير المصنوعات من ألمانيا ضرورة حيوية لصـــناعاتها التى تبحث عن أسواق خارجية للتصريف ، كما هى ضرورة حيوية للسكان الذين يستمدون غذاءهم من الخارج

وهذا ما يفسر قول أحـدهم ، وهو ألبرت هيس : « إننا نصدر حتى نستطيع أن نستورد ، ونستورد حتى نستطيع أن نعيش »

وقال المسيو ليفى بروهل : « لقـد توسعت ألمانيا فى ترقية صناعاتها توسعاً هائلاً . وهى بهذه الطريقة تَغْنَى سريعاً ، ولـكن على شرط أن تزداد حركة صادراتها على الدوام فهى تعيش مما تصدر . ولـكنها تهـدد بخطر الموت إذا وقفت صادراتها عن الاطراد فى الزيادة . فكأنها مختنقة بما يزيد من منتوجاتها الصناعية »

ولقد كان فتح الأسواق الخارجية مسألة حيوية لانجلترا وحدها بين سنة ١٨١٥ وسنة ١٨٥٠ . ثم انتقل اشتغال البال بهـا إلى فرنسا سنة ١٨٧٠ ، ثم كادت توضع على بساط البحث فى الولايات المتحدة

أما ألمانيا التى توحدت فى شكل أمبراطورية وانضمت إليها الألزاس واللورين فقد قامت أمام عيونها المسائل التى تثيرها ضرورة السعى وراء أسواق خارجية

وعلى هذا كان من الواجب أن تضم الصناعات بعضها إلى بعض فى شكل اتحادات

متينة منظمة لفتح الأسواق الخارجية ـ هذا الفتح أصبح لديهم شعاراً واجب الاتباع .
وكان من الواجب تحويل المنافسة بين الأشخاص فى الداخل إلى منافسة كلية فى أسواق العالم الخارجية : أى أن واجب الصناعات الألمانية قضى عليها بأن تظهر فى هذه الأسواق فى شكل كتلة واحدة ، أو قوة منظمة

ولما كان الصراع الاقتصادى حرباً ككل الحروب فانه لابد من هزيمة العدو ، وكسر قوة مقاومته ، وإملاء ما يراد إملاؤه عليه . من أجل ذلك ينبغى أن تتجه كل الجهود للوصول إلى استغلال القوى القومية العامة استغلالاً نظامياً عقلياً ، تحقيقاً لهذه الغاية ، بحيث لايترك شيء من عناصر هذه القوى للصدفة أو الأهواء

وقد اعتمد الألمان فى هذا السبيل على ثلاثة عناصر :

١ — بنوك التسليف

٢ — نقابات المنتجين وحماية المصنوعات

٣ — وسائط النقل

البنوك الالمانية

كان للبنوك فى ألمانيا أن تعمل على تكوين رءوس الأموال وضمان دورانها فى حركة الأعمال بحيث تستغل منها أقصى ما تستطيع من وجوه الاستغلال

وكان لها فى عملها برنامج مماثل تقريباً لبرنامج البنك الأهلى الألمانى الذى جاء فى المادة الثانية من قانونه الأساسى ما يأتى :

« الغرض من الشركة هو استغلال الأعمال من أى نوع كانت : أعمال البنوك ، والأعمال المالية ، والتسليف ، والاصدار ، والأعمال الصناعية ، والعقارية »

وقد كان من الممكن أن ينشأ عن هذا البرنامج المتنوع بعض اضطراب فى

اختيار العمليات ، وبالتالى فى الأخطار التى يمكن أن تنشأ عنها — غير أن الألمانيين من سنة ١٨٧١ قد عرفوا كيف يجعلون مصارفهم تتطور فى حياتها وفق الحاجات الجديدة ، بصرف النظر عن القواعد التى هدت إليها التجارب فى البلاد الأخرى

ففى انجلترا وفرنسا ، أى فى البلاد الرأسمالية العتيقة ، وجدت الصناعات الناشئة رءوس أموال قائمة ، لا تطلب إلا أن تستغل فى الأعمال . أما فى ألمانيا فان الصفة الظاهرة فى تاريخها الاقتصادى هى أن تطورها الصناعى سار بخطى أسرع من الخطى التى سار بها تكوين رءوس الأموال فيها

وقد عملت البنوك فيها على تكوين رءوس الأموال وجمعها بواسطة ودائع فى صناديقها ، وعلى الانتفاع بما اجتمع لديها منها . وكان ما اجتمع عظيماً ؛ لأن البنوك كانت لا تتردد فى تخويل المودعين فوائد عالية تستحثهم على إيداع أموالهم فيها . وانتهت تلك البنوك بأن اندمج فيها غيرها من البنوك المحلية أو البنوك الشخصية

وللمصارف فى ألمانيا برنامج عمل واحد ، وضعته بالاشتراك فيما بين بعضها ، وتعاقدت على مبادئه بشبه عقد تقضى شروطه بأن المصارف تتألف فى شكل جماعات غايتها الدفاع عن الصوالح العامة ، فهى بالتالى تعمل على تعضيد الأعمال التجارية والأعمال الصناعية والمنشآت الاستعمارية والصادرات التجارية ، وعلى تشجيع إنشاء الأفنية للملاحة ، ووضع الأسلاك للمخابرات ، وما شابه ذلك

وبفضل ما للمصارف من التأثير فى الصحف والرأى العام استطاعت غالباً أن تتقى الأزمات ، أو أن تخفف من آثارها فى حالة وقوعها ، وأن تمنع الهلع من النفوس فى حالة اشتدادها

وبهذا ترى الثروة الألمانية فى حركة مالية مستمرة على الدوام : فى صورة إصدار أسهم صناعية ، أو فى صورة عرض مال للتسليف ، أو فى صورة اشتراك فى الأعمال نفسها

ولا شك أن الخطر المستمر يخالف المبادىء القويمة التى ينبغى أن تسير عليها أعمال البنوك ، ويؤدى عاجلاً أو آجلا إلى نتائج وخيمة ، وهو ما عرفت أن تتقيه إلى حد ما معظم المصارف الألمانية ، بأن جعلت خطر الواحد منها موزعاً على عدة أعمال ، وكل عمل من هذه الأعمال مشمولا برعاية مصارف عدة

على أن مهمة تنظيم المصارف فى الداخل ، وتأمين الحياة العملية لها حتى تعيش وتنمو ، أمر غير كاف فى ذاته . ولهذا اتجهت المساعى إلى تهيئة الوسائل لجعلها تساعد فى فتح الأسواق الخارجية . من ذلك أن « دوتش بنك » حين تأسس نص فى قانونه الأساسى على أن الغرض من تأسيسه هو القيام بأعمال البنوك على اختلاف أنواعها ، وخصوصاً تسهيل العلاقات التجارية بين ألمانيا والبلاد الأوربية والأسواق الخارجية

والغرض المذكور هو برنامج جميع البنوك الألمانية التى عملت منذ سنة ١٨٩٦ على اعتماد الحوالات الألمانية فى الخارج بواسطة البنوك الألمانية التى شاع تأسيسها وكثر عددها فى البلاد الأجنبية

وهذه البنوك الألمانية فى الخارج قد تأسست وفق نظام البنوك الألمانية فى الداخل ، أى أنها تأسست دون أن يكون لها فروع بمعنى الكلمة ، بل بنوك تابعة لها ومستقلة إلى درجة ما فى إدارتها

ولقد شاهدنا نحن فى مصر تأسيس مصرفين ألمانيين من هذا القبيل ، وهما بنك الأناضول والبنك الألمانى الشرقى

أما بنك الأناضول الذى هو وليد الاتفاق بين البنك الأهلى الألمانى والبنك الأهلى اليونانى ، فقد تأسس فى سنة ١٩٠٥ برأس مال قدره عشرة ملايين ، ومركزه فى أثينا وفروعه فى الأستانة وسالونيك وأزمير واسكندرية وهمبورغ

وأما البنك الألمانى الشرقى فقد أنشأه فى سنة ١٩٠٦ البنك الأهلى الألمانى فى برلين ، ودرسدنر بنك ، والشافهوزر ، وهو أقوى من بنك الأناضول ، وكان له فروع فى القاهرة والاسكندرية وطنطا والمنصورة

وكانت مهمة البنوك الألمانية فى الخارج مقاومة النفوذ الانجليزى أو النفوذ الفرنسى ، ولهذا كانت مسلحة بأقوى عدة حتى تستطيع أن تتبوأ مقعداً فى أرض قد سبق إليها غيرها فاحتلها . ذلك أن البنوك الألمانية التى ساعدت على تأسيسها قد أمدتها ، دفعة واحدة ، بما لم يتوافر مثله لغيرها من البنوك إلا شيئاً فشيئاً على ممر السنين

كان إذن لألمانيا بنوك فى الخارج ، وأنى سرت وجدت لها بنوكاً فى مختلف البلدان . وكثيراً ما كان لها فى الخارج بنوك تظن من اسمها أنها غير ألمانية ، ومع ذلك فهى ألمانية صميمة . فلقد كان ألمانيًّا « البنك الايطالى » فى ميلانو ، و « البنك الدولى » فى بلجيكا ، و « بنك أنفرس » فى فلاندر ، و « بنك ليبج » فى بلاد الفالون من أعمال بلجيكا — بل ذهب الناس فى تقديراتهم إلى اعتبار بعض البنوك ، مثل بنك باريس والبلاد الواطئة (هولاندة) والبنك الفرنسى الايطالى لأمريكا الجنوبية — بنوكا تابعة لجماعة ماليين ألمانيين عن طريق البنك التجارى الايطالى الذى هو نفسه تابع لبنك ألمانى

وبالجملة فقد كانت المصارف الألمانية فى الخارج تحكى شبكة العنكبوت من حيث انبساط خيوطها على مختلف الجهات فى أنحاء العالم ، وكان التاجر أو الصانع الألمانى يجد دائماً ، أنى سار ، مصرفاً يقطع له أية كمبيالة مهما كان تاريخ استحقاقها

وطريقة العمل فى المصارف الألمانية تجعل الخطر الذى يتعرض له أى اعتماد مالى ضعيفاً ، وذلك بفضل تعدد البنوك التابع بعضها لبعض ، وبسبب أن كل بنك منها يعتبر فى جهته مركزاً للاستخبار . والألمان قد نظموا طرق استخباراتهم التجارية تنظيماً مبنياً على الطرق المتبعة فى دراسة فقه اللغات وفى العلوم التاريخية

وإن ننس لا ننس فرصة تهيأت لنا أثناء زيارة درسدنر بنك فى سنة ١٩١١ ، فرأينا فى قسم استعلامات هذا البنك جميع البيوت المصرية التى عيناً أسماءها مرصودة فوق « فيش » من صغيرها إلى كبيرها

وبفضل هـذه الدقة تستطيع البنوك التابعة فى مصر لبنوك ألمانية أن تعرف ، فى كل وقت ، مقدرة كل عميل ، وأن تقدر حـد الخطر الذى ينشأ عن معاملته ، والحد الجائز أن تجرى فيه هذه المعاملة

ومن مزايا المصارف الألمانية ، أنها تجعل رءوس الأموال الأجنبية تشترك فى الأعمال الأهلية الألمانية اشـتراكاً غير محسوس . وقد تحققت لديهم هذه المزية بفضل النظام الذى لا يخرج عليه أحد فى ألمانيا

وإليك مثلا يوضح هذه الحقيقة ، وهو البنك التجارى الايطالى ، فقد كان رأس ماله فى سنة ١٩١٤ يبلغ ١٣٠ مليوناً ، وكان الألمان والنمسويون لا يملكون فيه أكثر من أربعة ملايين ؛ ومع هذا فانه بفضـل النظام الذى كان يتبعه المساهمون فى الجمعيات العمومية بقيت الأغلبية دائماً فى جانب إدارة هذا البنك . وبقى مديروه وأعضاء مجالس إدارته ذوو النفوذ وكبار الموظفين — بقى هؤلاء جميعاً ألمانيين يديرون ، لصالح ألمانيا ، أموالاً فرنسية وإنجليزية وإيطالية تائهة فى مجموع أموال البنك

ولهذا استطاعت ألمانيا برؤوس أموال صـغيرة أن تقوم بفضـل نظامها المصرفى بأعمال عظيمة الشأن

نقابات المنتجين وحماية المصنوعات

كتب فريتز ديبنهورست يقول : « لا شك أن معظم الفضـل فى فتح الأسواق الخارجية للتجارة الألمانية يرجع إلى نقابات المنتجين »

ونحن نعرض هنا لنقابات المنتجين (Cartels) من جهة كونها إدارة فعالة استخدمت فى تصدير المصنوعات الألمانية إلى الخارج ، ولا نعرض لها من جهة نظامها الداخلى الذى لا يعنينا فى هذا المقام

ونقابة المنتجين بالمعنى القانونى عبارة عن شركة تضم بين جوانبها عدة منتجين يتعهدون ، فيما بينهم ، على أن يبيعوا بالاشتراك جميع منتجاتهم أو قسما منها

وأفضل الشروط مساعدة على تأليف نقابة من هذا القبيل تقضى بأن يكون الشىء المنتج واحداً غير متنوع ، وأن تكون نفقات إنتاجه وشروط صنعه متساوية ، تقريبا ، بين مصنع وآخر ، وأن يكون من المتعذر تقليد الصنف المتفق على بيعه بصنف آخر يقوم مقامه

وعلى هذا فالصناعى الذى ينضم إلى نقابة من نقابات المنتجين المتفقة على بيع صنف مصنوع معين بالاشتراك ، يفقد حقه فى أن يبيع ، مباشرة ، هذا الصنف الذى ينتجه فى مصنعه ، ويتحتم عليه : إما أن يجعل جميع ما ينتج من هذا الصنف تحت تصرف مكتب النقابة الذى له أن يبيع بالسعر الذى يراه مناسباً ، مراعياً فى ذلك مجموع مصالح الأعضاء المنضمين إلى النقابة ، وإما أن يكون له — فى حالة عدم وجود مكتب للنقابة — أن يتولى بنفسه تصريف مصنوعاته ، ولكن بقيود تتعلق بسعر البيع والكمية التى يسمح له ببيعها ، وهى قيود تحددها لجنة النقابة بما لها من السلطة دون أن تراجع فيها أية مراجعة

وللجنة النقابة الحق فى أن تحدد ، جغرافياً ، المنطقة الداخلية التى يصح للعضو المنتج أن يبيع مصنوعاته فى دائرتها . ومن هنا نشأ نظام خاص دقيق لمراقبة تنفيذ قرارات لجنة النقابة ، يقضى ، ضمن ما يقضى ، بتخويل مفتشى النقابة الحق فى تقرير غرامات على كل طن يباع أكثر أو أقل من الحد المقرر ، أو يباع فى دائرة غير الدائرة المحددة

لبيع مصنوعات كل عضو من الأعضاء

فنقابة المنتجين لا محل لها إذن فى الوجود إلا بشرط أساسى ، هو أن كل عضو من أعضائها يتنازل عن شخصيته فى تصريف المصنوعات الناتجة من مصنعه ، ويجعل أمر هذا التصريف موكولاً إلى قرارات النقابة

وتبرم عادة الاتفاقات والتعهدات الخاصة بهذه النقابات لمدد معينة قصيرة ، ولا يسمح للعضو بالانفصال منها إلا بعد إنذار سابق بمدة معينة

وكانت الفكرة فى أول إنشائها ترمى إلى تحديد المنافسة ، وعلى الخصوص تنظيم زيادة الانتاج عن الاحتياج ، تلك الزيادة التى كان يترتب عليها بخس الأثمان

وتأسيس معظم نقابات المنتجين فى ألمانيا كان بين سنة ١٨٨٠ و١٨٨٥ ، وهو العصر الذى امتدت فيه سياسة التوسع فى الخارج

وإذا كان قد يبدو للرائى أن هناك تعارضاً بين زيادة الانتاج عن الاحتياج وبين ثبات الأسعار ، فان الطريقة الوحيدة للتوفيق بينهما هى أن يصدر إلى الخارج ما يزيد من الانتاج الصناعى عن حاجات البلاد فى الداخل

ولما كانت الأسواق الخارجية محمية بسياجين : سياج المسافات ، وسياج التعريفات الجمركية الحامية للصناعات الأهلية ، فان سعر المصنوعات الألمانية المراد تصديرها إلى الخارج ينبغى أن ينزل — بالرغم من تكاليف النقل ومن الرسوم الجمركية — إلى حد يتساوى فيه مع الأسعار المتداولة فى السوق المراد تصريف البضاعة فيها ، إن لم نقل بأسعار أقل من الأسعار المتداولة

ولذلك ترى الألمان لا يهمهم أن ينزل سعر الشىء المبيع فى الخارج عن تكاليف صناعته بالمصنع أو تكاليف استخراجه من المنجم ، لأنه فى أغلب الحالات كثيراً ما يكون وقف العمل فى المصنع أو المنجم أو عطله فيه بالكلية أعظم ضرراً من الخسارة التى

تنشأ عن البيع فى الخارج بسعر أقل من سعر الانتاج . ولهذا يستصوب غالباً أن يستمر العمل متواصلا فى المصنع ، أو على الأقل أن يقل فيه إلى نسبة معقولة

ويلاحظ من جهة أخرى ، أنه لما كانت المصانع — بفضل نقابات المنتجين ، وبفضل التعريفة الجمركية الحامية للصناعات الأهلية — تهيمن فعلا على الأسواق الداخلية الألمانية ، فان الخسائر التى تصيبها من البيع فى الخارج بأسعار أقل من التكاليف يستطاع التعويض من بعضها ، بزيادة شىء على أسعار هذا الصنف نفسه ، المبيع فى داخل البلاد

ومن أجل هذا ترى نقابات المنتجين قد لجأت إلى ما يسمونه « دومبنج Dumping » وما نترجمه نحن بعبارة « نظام السعرين »

ونظام السعرين هذا يقضى بوضع سعرين ، أو قياسين من الأسعار ، لصنف واحد : سعر عال ، إلى درجة مّا ، للبيع به فى الأسواق الداخلية ؛ وسعر أقل منه ، متغير حسب الظروف ، يباع به الصنف نفسه فى الأسواق الخارجية

وليس الألمان هم الذين قد اخترعوا هذا النظام ، فقد استعمله الانجليز من قبلهم ؛ واستعمله الأمريكيون فى الولايات المتحدة بواسطة نقابات إنتاجهم (Trust) ؛ واستعمله الفرنسيون فى صنف السكر — ولكنهم جميعا استعملوه فى ظروف استثنائية ومؤقتة

أما الألمان فقد استعملوا نظام السعرين بصفة منظمة دائمة

وكان من أثر اتخاذهم هذا النظام قاعدة لهم أنه كان كلما ظهرت فى فرنسا صناعة كيميائية ، أو صناعة مواد ملونة ، أو مصنوعات أجزائية الخ ، هجم عليها الألمان بنظام السعرين ، وقدموا الصنف نفسه بسعر أقل من السعر الفرنسى . ولعل أظهر مثل لنتائج هذا النظام هو ما شوهد فى بداية الحرب من أن فرنسا كان ينقصها حامض الفنيك اللازم لصنع المفرقعات . وسبب هذا النقص هو أنه فى زمن السلم ، كانت

وزارة الحربية الفرنسية تعلن عن حاجتها إلى كميات من هذا الحمض ، فكان الألمان هم الذين يفوزون دائماً بتوريد الكميات المطلوبة لرخص العطاء الذى يقدمون ، فانتهى اليأس بأرباب المصانع الفرنسية إلى أن يقفلوا مصانعهم وألا يعملوا شيئاً فى صناعة حمض الفنيك التى انعدم وجودها فى فرنسا . . .

يستفاد إذن مما تقدم بيانه أن الألمانيين استمدوا من عناصر ثلاثة ، هى : (١) نقابات المنتجين (٢) نظام السعرين (٣) التعريفة الجمركية العالية لحماية الصناعات الأهلية ـ قوة هائلة للتوسع فى تجارة صادراتهم الخارجية . وبناء عليه لم تكن المسافات الطويلة ، ولا الرسوم الجمركية الباهظة ، لتقف حاجزاً دون هذا التوسع ؛ لأن نقابة المنتجين كانت تستطيع دائماً أن تتحمل تكاليف النولون البحرى ، والرسوم الجمركية ـ أى أن تتحمل هذه الخسارة فى سبيل الوصول إلى الفوز النهائى

بمثل هذه الأسلحة صار تصور العلاقات الاقتصادية قريباً من تصور العمليات الحربية ، وصارت الأسواق الخارجية ميادين ملاحمة كميادين القتال

وصار من واجب المصدر أن يقتل الصناعة الأهلية فى مكانها إذا وجدت — أو أن يخنقها قبل أن تولد

وسائط النقل

ليس النظام وحده هو سبب التوسع فى بسط النفوذ الذى فازت به ألمانيا الحديثة بل إن لوسائط النقل هى الأخرى فضلاً فى بسط هذا النفوذ

١ ـ السكك الحديدية

لا تشابه سياسة ألمانيا ، حيال السكك الحديدية ، سياسة فرنسا أو انجلترا أو أمريكا

فالسياسة فى ألمانيا هى أن تضع الدولة يدها على السكك الحديدية ، وتنظم تعريفة النقل بها

أما كيفية وضع يدها على السكك الحديدية ، فقد جاء عن طريق بروسيا التى امتلكت السكك الحديدية التى تخترقها ، ثم اندمجت فيها سكك حديد الدول المجاورة التى لا منفذ لها ، ثم امتد نطاق النفوذ على بقية السكك باتفاقات تزيد أو تنقص فى قوة ربط الصلات بين سكك حديد بروسيا وسكك حديد الدول الأخرى الداخلة فى الأمبراطورية الألمانية ، مثل دولة ساكس ، وهيس ، وبافاريا ، بحيث إن الدولة الألمانية كان بين أيديها فعلا سلاح السكك الحديدية ، تستخدمه فى برنامج سياستها الاقتصادية

وأما كيفية تنظيم تعريفات النقل على السكك الحديدية ، فهى أن الدولة الألمانية لم تتبع فى وضع هذه التعريفات القاعدة القديمة ، قاعدة العرض والطلب ، بل هى اتبعت ما تقضى به الضرورة ، من تعضيد بعض المنتجات ضد المنافسة الخارجية ، أو من مساعدة بعض الثغور الأهلية ، أو من تشجيع بعض البضائع الضرورية حتى تدخل البلاد بأرخص الأسعار

وللدولة الألمانية فى سياسة السكك الحديدية ، تعريفات خاصة مرتبة ، بحيث يستطاع بها : إما الدفاع عن صناعة مهددة بخطر ، وإما تعضيد صنف من الأصناف لتسهيل تصديره إلى الخارج

فى الحالة الأولى ، أى حالة الدفاع عن صناعة مهددة بالخطر ، ترى التعريفة قد أضافت إلى رسوم الجمارك المقررة بمقتضى الاتفاقات التجارية رسماً آخر قد يكون أشد من رسوم الجمارك ، ولو أنه غير منصوص عليه فى الاتفاقات التجارية

وفى الحالة الثانية — أى حالة الرغبة فى تشجيع تصدير صنف من الأصناف إلى الخارج — ترى تعريفة النقل بالسكة الحديدية قد أضافت ، إلى « نظام السعرين » السابق

بيانه ، والقائمة بتطبيقه نقابات المنتجين ، مساعدة أخرى من شأنها أن تعاون على فك الحواجز التى تعوق هذا الصنف عن الوصول إلى الأسواق الخارجية ، ولا سيما حاجز التعريفة الجمركية الحامية للصناعات الأهلية

وهناك أسلوب آخر من أساليب التعريفة الألمانية ، وهو أسلوب استثنائى يقضى ، فى بعض الحالات ، بردّ جميع مصاريف النقل التى يكون قد دفعها المرسل لنقل بعض منتجات معينة داخل حدود البلاد الألمانية

وعلى العكس من ذلك تعتبر تعريفات السكك الحديدية الألمانية بمثابة سلاح دفاعى ضد منافسة النقل الأجنبى

٢ — الملاحة الداخلية

بلغت طرق الملاحة الداخلية مبلغاً عظيما من التقدم ، حيث الأنهر عدلت مجاريها وعمقت أكثر مما كانت ، وأزيل من طريقها كل حاجز عائق عن سير الملاحة ، وحيث الأقنية وسعت قطاعاتها ، واتخذت محطاتها كثغور داخلية ، وافية المعدات ، ترسو عليها البواخر بحمولة لا تقل عما ترسو به على الثغور البحرية ، وتتدخل فيها منقولات الأقيانوس إلى صميم المراكز الصناعية ، وتتحقق بها الوصلة اللازمة للنقل بالسكة الحديدية أو بالبحر

ومعنى هذا أن الدولة الألمانية احتكرت الأقنية واتخذت منها سلاحاً اقتصاديا كما احتكرت السكك الحديدية . وهى بأقنيتها تصبح الحكم فى مسائل النقل بالملاحة الداخلية ، كما هى الحكم فى مسائل النقل بالسكة الحديدية

ومع هذا فان فى ألمانيا لجنة استشارية لطرق الملاحة الداخلية ، وفى الأقاليم لجان إقليمية مؤلفة من أعضاء — يمثلون الزراعة والصناعة وتجارة الملاحة — يجلسون بجوار

مندوبين عن الدولة ، ليزنوا العوامل الضرورية لكل منطقة ولكل فرع من فروع الصناعات القومية

٣ — الملاحة البحرية

شغلت الملاحة البحرية بال الحكام الألمانيين للوصول إلى فتح أسواق العالم إلى درجة اعتبروا معها أن انجلترا هى العدوة التى ينبغى القضاء على نفوذها بأى ثمن

ونحن نرى هنا أيضاً الملاحة البحرية تنمو بسرعة زائدة ، وهى ميزة من ميزات التطور الألمانى فى الأزمنة الحديثة

ففى سنة ١٨٥٦ بدأ يسير أول خط ملاحة نظامى بين ألمانيا والولايات المتحدة بواسطة باخرة واحدة . وفى سنة ١٨٧٠ كانت حمولة الأسطول التجارى لا تزيد عن ٦٤٫٠٠٠ طن ، فبلغت فى سنة ١٩٠١ نحو تسعة ملايين من الأطنان ، ممثلة فى ٥٢٫٠٠٠ باخرة . وفى سنة ١٩٠٩ بلغ عدد البواخر ٦٥٫٠٠٠ باخرة حمولتها ١٣ مليون طن وزيادة

وكانت الشركات الألمانية هى الأولى التى استطاعت أن تشيد بواخر تسير بأكبر سرعة ممكنة وبحمولة هائلة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ ألف طن

واستطاعت هذه الشركات أن تتبادل بين بعضها البعض خدمات من شأنها إنقاص المصاريف العامة التى تستلزمها إداراتها : إما بأن يندمج بعضها فى بعض ، وإما بأن تبرم بين بعضها البعض اتفاقات تقلل من أخطار الخسائر

ومن طرائقهم فى الملاحة البحرية أنهم بمجرد أن يعلموا أن منطقة من المناطق قد أصابها عطل فى الأعمال مؤثر فى حركة التجارة ، تجدهم يحولون دفة بواخرهم نحو مناطق أخرى أكثر خصباً من التى أجدبت ، بحيث إن أسطولهم التجارى يبقى عاملا على الدوام فى دوائر عامرة بالحركات التجارية

ومن طرائفهم أيضاً أن الشركات تتفق مع بعضها البعض على خطة واحدة للعمل، وتشترك مع بعضها بعضا فى إرسال البعثات اللازمة لدراسة الخطوط والأسواق التى يراد فتحها للتجارة الألمانية

وكما أن المصنع الألمانى ينتج، وينتج بكثرة هائلة، لا لحساب عملاء معينين، بل لحساب عملاء المستقبل، كذلك ترى الملاحة البحرية الألمانية لا تنتظر ظهور الحاجة حتى تنشىء بمقتضى ظهورها خطاً جديداً للملاحة، بل هى تخلق الحاجة وتنتظم لسد مطالب هذه الحاجة

قال الهر ريبس كريستوفل: « عند الألمان لا تنشأ خطوط الملاحة البحرية تبعاً للتجارة، بل تنشأ هذه الخطوط قبل وجود التجارة؛ وبانشائها تبعث التجارة من حيث لا تكون »

ومما يساعد على تقدم الملاحة البحرية الألمانية، وجود طائفة من وكلاء الملاحة النشيطين المدربين، يقيمون بصفة دائمة فى مراكزهم، ويعملون باخلاص فى تأدية واجباتهم: فهم من خير الموظفين الأمناء

مهمة الدولة

لم يقف نشاط الدولة الألمانية فقط عند اتخاذ بعض التدابير لتشجيع حركة الصادرات التجارية الأهلية، ولا عند بعض المساعدة تؤديها إلى المصدرين، فان مهمتها تتجاوز ذلك، كما رأيناه فى مسائل النقل

والواقع أن الدولة الألمانية تتدخل، حيث يكون تدخلها مفيداً، لزيادة نطاق التوسع التجارى لصالح الأمبراطورية الألمانية. فهى توعز إلى البنوك بالسياسة الواجب اتباعها؛ والبنوك تتجه جميعها بكامل مجهودها فى سبيل قوة الانتاج، وحركة التبادل التجارى.

والدولة الألمانية تشرف من فوق الجميع على خطوط التجسس التجارى الواسع الأطراف والممتد كشبكة حول نطاق الكرة الأرضية

ولا تقف مهمة الدولة الألمانية عند هذا الحد ، بل هى تذهب إلى تسيير النشاط الاقتصادى فى البلد حسب مقتضيات الأحوال ، بطرق ظاهرة أو طرق خفية

حقاً إن فى طبيعة الألمانى حب التدخل فى كل شىء ، ولكنه يجب أن نعترف بأن كلمة الأمر الصادرة من علٍ قد ساعدت كثيراً على دفع أمة بأكملها إلى الأمام ، أمة غلبت عليها إحساسات الطاعة للنظام ، واحترام الواجب الموكول إليها ، والتعجل بتلبية نداء قائدها العام

فالدولة الألمانية هى التى تعين الأغراض ، وتحدد طرق الوصول إليها . وهى قد اتبعت باستمرار وثبات سياسة اقتصادية ترمى إلى تحبيذ الاتفاقات بين المنتجين ، لاعدام المنافسة بينهم فى الداخل ، وإلى تشجيعهم فى الوقت نفسه لتوجيه جهودهم نحو الأسواق الخارجية ، حيث ميدان العمل المراد احتلاله واسع الأطراف

أضف إلى هـــذا أن كل إنسان يخطب ودّ الدولة ، لأنها مقاولة فى أعمال النقل وذات قوة عسكرية ، وقوة بحرية ـ فهى بالجملة من أحسن وأقوى العملاء للصناعات الألمانية ؛ لأنها ، من حيث كونها مالكة ومديرة للسكك الحديدية ، أصبحت أكبر هيئة تستخدم العمال فى إدارة سككها ، وأكبر مصلحة لاستهلاك الفحم ، وكادت أن تكون هى الشارى الوحيد لمواد السكك الحديدية المتحركة

وهى ، من حيث محطاتها على أقنية الملاحة الداخلية ، تهيمن مباشرة على صناعة الكهرباء ، وتستطيع أن تؤدى بها أكبر الخدمات للصناعات الألمانية

وهى فى أوقات الأزمات ، مثل أزمة ١٩٠٠ — ١٩٠١ ، قد استطاعت أن تخفف من حدتها ، بالاستمرار على توصياتها ، بصنع المدافع وقضبان السكك الحديدية والعربات

والبواخر . وهى على العكس من ذلك تقبض يدها عن إعطاء توصيات حين ترى أن المصانع الأهلية مشغولة بأعمال زائدة ، ولكنها سرعان ما تجرى إليها وتؤمن لها العيش اللازم لحياتها بمجرد ما تبدو فى الجو بوادر أيام سوداء

فالدولة ليست فقط عميلا للصناعة ، بل هى أيضاً عامل صناعى . ومن هنا جاءت المحالفة بين الدولة ونقابات المنتجين ، وهى محالفة ترمى إلى الاحتكار سواء بالنسبة لهذه النقابات أو بالنسبة للدولة

وليست مهمة الدولة مقصورة فقط على التشجيع ، بل هى تتدخل رأساً فى الأعمال. والأمثلة على ذلك كثيرة ، تدل على أن سياسة الأمبراطورية الألمانية هى سياسة أعمال . وما رجال سياستها الرسميون من سفراء ، ووزراء مفوضين ، وقناصل ، ومن يجرى مجراهم إلا رجال سياسة ، يشبهون رسل البيوت التجارية ، وسياحها المتنقلين المكلفين بعرض البضاعة وتصريفها

وكثيراً ما استخدم الأسطول الحربى الألمانى فى سياحات رابحة للبحث عن منافع للتجارة الألمانية

فتح الأسواق الخارجية

طرق وأساليب

لننظر الآن نتيجة هذه المجهودات المدبرة من العناصر المختلفة التى وضحنا وجوهها .

ويحسن بنا هنا أن نلاحظ أنه قبل أن يتسع نطاق الصناعات فى ألمانيا ، إلى الحد الذى تعمل فيه الآن جيوش من العمال جديرين بالاعتبار ، كان كثير من الألمانيين يهجرون بلادهم سعياً وراء الثروة التى كانت تنقصهم فيها

ولما أن أصبحت ألمانيا، بسرعة، ذات صناعات عظيمة الشأن، اتجهت بنظرها إلى

الخارج ، فوجدت أن المهاجرين من أبنائها هم أعظم عدة لها فى تعضيد هذه الصناعات ، لأنهم بقوا متعلقين بوطنهم الأصلى ، فأصبحوا أفضل مستهلك للصناعات الألمانية وأحسن مذيع لمزاياها ، لأنهم كانوا بالضرورة يفضلون المصنوعات الألمانية على مصنوعات البلاد التى يعيشون فيها . فضلا عن أنهم أصبحوا للصناعيين الألمانيين نواة حسنة ، يختار من بينهم الممثلون التجاريون الذين يعاونون ، أحسن معاونة ، ممثلى التجارة السائحين المتنقلين

وقد اندمج هذا العنصر المهم — عنصر الألمانيين المهاجرين فى الخارج — فى الأعمال العلمية التى قضت بعمل كشوف حصر لجميع الأوساط الألمانية المبعثرة فى أنحاء العالم ، وهى كشوف ظهرت فى صورة خريطات وكتب ومجلات أثبتت مواطن الألمان المهاجرين ، فدونت حتى أصغر قرية يقيم فيها ألمانى مهاجر ، وأثبتت مراكزهم ومتاجرهم ، إن كان لهم متاجر ، وبعثاتهم وجماعاتهم . وبالجملة أثبتت جميع أحوالهم باعتبارهم مقدمة أو طليعة ألمانيا فى الخارج

وقد كان لاثارة إحساس الوطنية فى نفوس الملايين من الألمانيين المهاجرين نتائج لا تقدر ، حتى إن الخسارة التى خسرتها ألمانيا بهجرتهم منها قد استعاضتها بما كسبت من امتداد سلطتها ولواء نفوذها فى الخارج ، فهى وإن فقدت عدداً أو كما ، بالنسبة لحاجة الصناعات إلى الأيدى العاملة ، فقد كسبت كيفا أو نوعا بالنسبة لما ناله المهاجرون من خبرة فى مهاجرهم ، حتى أصبحت الهجرة فى العهد الحديث لا تصيب إلا المتعلمين من تجار الطبقات الوسطى ورجال الأعمال من كل صنف والفنيين والمهندسين والزراعيين . وهم حيث نزلوا وجدوا السبيل ممهداً والطريق معبداً بمن سبقوهم من بنى وطنهم إلى المهاجر المختلفة ، بحيث لا يكون لهم الا أن يندمجوا فى الجماعات المنظمة من قبل

وبفضل وجود هؤلاء المهاجرين استطاعت النظم الأهلية المتينة أن تعمل أعمالها ، فبدأت بدراسة المسائل المراد حلها ، كما تدرس المسائل العلمية

فاذا كانت المسألة المراد حلها هى فتح سوق معينة خارجية للمصنوعات الألمانية ، رأيت الباحثين منهم يستجمعون أولا العناصر اللازمة لتكوين حكم صحيح ، فيستجمعون البيانات عن أحوال الطقس ، وحاصلات الأقليم ، ونظام البلد السياسى والاجتماعى ، ونظام العملة والجمارك وحالة النقل ، وذوق السكان وعلاقاتهم مع الذين يوردون لهم بضائع من الخارج ، وطريقة الحلول محل هؤلاء الموردين — حتى إذا ما استجمعوا هذه المعلومات دونوها بنظام ، وقارنوها بالمعلومات التى وصلت إليها أبحاث سابقة عن نفس هذه السوق المعينة

وبعد إتمام هذا العمل الدراسى يكتبون إلى تجار هذه السوق بلغة هؤلاء التجار أنفسهم ، وبالأسلوب التجارى الذى هم قد اعتادوه ، ليعرضوا عليهم الأصناف طبقاً لحاجاتهم ولأذواق أهل بلادهم ، ويعرضوا طريقة الدفع : إما نقداً ، وإما شيكاً ، وإما كمبيالة ، حسب المصطلح عليه فى معاملاتهم ، ويجعلوا تواريخ الاستحقاق موافقة لرغباتهم. ونحن نعرف تأثير هذه الأساليب فى الأسواق المصرية ، حيث نرى العملاء فيها مسرعين دائماً للتعهد بتعهدات متى وجدوا باب الاعتماد مفتوحاً وطرق الدفع سهلة

وتدرس طرق وأساليب وفن تجارة الصادرات فى المدارس والجامعات الألمانية ، كما تدرس فى مدارس الهندسة العالية دروس الكيمياء التطبيقية والكهرباء

ولتكوين هذا الفن ، فن تجارة الصادرات ، ولجعل الفيش الذى تدون فوقه جميع التفصيلات اللازمة لدراسة ومعرفة الأسواق الخارجية ، معرفة نظامية ، لابد من تهيئة معدات وافية لاستقاء المعلومات الواجبة

ورجال الدولة فى الخارج ، وخصوصاً قناصلها ، هم أكثر الناس أهلية للقيام بهذه

المهمة . وللدولة فى أهم المدن وكلاء تجاريون وقناصل ، هم فى وظيفتهم تجار قبل كل شىء فى حقيقتهم ، ينتقلون نادراً من مركز إلى آخر ، ويؤدون فيه أعمالهم ، بمرتبات حسنة ، يعاونهم فيها موظفون يرفعون عنهم عاتق أعمال القنصلية الادارية العادية

وللتجارة الألمانية وسائط استخبارية أخرى ، فى شكل جمعيات خاصة ، تعمل على تركيز وسائط الدراسة النظرية والعملية للأسواق الخارجية ، وتجمع المعلومات من الوجهة التجارية المحضة

من ذلك مثلا « اتحاد شركات ريفورم للاعتماد المالى » ، فان لديها نظاماً خاصاً بواسطة الفيش ، تعرف به قدرة كل عميل على الدفع ، والقيام بالتعهدات التى يلتزم بها . ويشمل هذا الاتحاد ٧٠٫٠٠٠ عضو موزعين على ٣٧٠ شركة . ويقدم الاتحاد إليهم كل التسهيلات لتحصيل مطلوباتهم من الخارج . وهو قد تأسس فى سنة ١٨٨١ فى مدينة ماينس ثم انتقل إلى ليبزج . وبلغ فى سنة ١٩١١ عدد فروعه ٣٨٠ فرعاً ، وعدد ممثليه ٣٢٠ ممثلا . فهو عبارة عن تعاون بين الأعضاء فى تبادل الاستخبارات التجارية

وهناك مثل آخر أكثر دلالة فى هذا الباب . وهو أن قلم تجارة الصادرات التابع لبنك الصادرات الألمانية « دوتش إكسبورت بنك » يهتم بأشغال عملائه ، فيرشدهم عن الأسواق الخارجية ، وعن العمليات التى يستطيعون أن يزاولوها فى هذه الأسواق ، ويرسل المندوبين ، وينظم وفود البعثات . ثم هو يرسل إلى عملائه المعلومات التى يطلبونها ، ويبعث إليهم بمجلة دورية لتجارة الصادرات ، قيمة اشتراكها خمسون ماركا فى العام ، ويلحق بها فى الأعداد المعدة للخارج كشف يشمل عدة أسئلة ، توجه إلى كل من يريدون أن يرتبطوا بعلاقات تجارية مع ألمانيا ؛ حتى إذا جاءت الأجوبة على الأسئلة الواردة بهذا الكشف ، فحصت فى إدارة المجلة ، ثم ترتبت العلاقات بين البيوت الأجنبية وبين أحسن بيوت ألمانية تناسبها فى الصنف المطلوب . وللمراسلين أن يرسلوا كشفهم

ببيان المراجع التى يرجع اليها لمعرفة أحوالهم ، وهم مرجوون أن يذيعوا هذا الكشف بأسئلته بين أصدقائهم ومعارفهم

وبفضل هذا الأسلوب تستطيع المجلة المذكورة أن تكوّن ملفات استخبارية من الطبقة الأولى فى الأهمية

وبالجملة فان أرباب الصادرات الألمانيين يصلون إلى معرفة الأوساط التى يصدرون إليها معرفة دقيقة ، ويعرفون كيف ينتخبون وكلاءهم ، ويدركون أذواق عملائهم ، وينوعون فى صنع المصنوعات من الصنف الواحد حسب رغبات البلاد التى ترسل إليها

أما الثقة فى الاعتمادات المالية ، فهم يعرفون كيف يبيعون بأثمان تدفع بعد آجال بعيدة ، ويقبلون أن يكون الدفع بأقساط شهرية

وقصارى القول هم يخضعون لعادات كل بلد ومطالبها فى الأصناف المصنوعة التى ترغب فيها ؛ لأن غرضهم الأساسى أن يزحزحوا المنافسين عن مراكزهم ، ويفتحوا الأسواق الخارجية لتجارتهم

ويحرر الألمان فى غالب الأحيان فواتيرهم وأسعارهم على أساس العملة المحلية ، وباللغة التى يكثر استعمالها فى كل جهة من الجهات . . . وهم لا ينتظرون أن يأتى إليهم الشارى بل يذهبون إليه ، ويعرضون بضاعتهم عليه تسليم محله ، أى أنهم يعفون الشارى من القلق الناشىء عن عمليات النقل البحرى والتخليص والنقل البرى

قال أحد القناصل الفرنسيين إنه ما وصل إلى الألمان عينة أى صنف من البضائع إلا صنعوا مثله بأسعار أقل من أسعاره فى غالب الأحيان

وقال أحد أعضاء غرفة التجارة الباريسية ، إنه مهما طلب العميل أن تصنع له الفاوريقات الألمانية شيئاً ، فان هذه الفاوريقات لا تتردد فى صنع هذا الشىء ، كما طلب إليها حرفياً أن تصنعه ، دون أن تتناقش فى مناسبته أو عدم مناسبته

من أجل هذا التحرى العلمى والعملى عن الأوساط المختلفة ، استطاعت الصناعة الألمانية أن تفسح لها الطريق للدخول بمصنوعاتها فى الأسواق الخارجية . ثم هى استطاعت ذلك أيضاً بفضل المعونة العظيمة التى يقدمها لها ممثل البيوت الصناعية — السائح المتنقل — وهذا السائح قبل كل شىء ألمانى تدفعه حماسته الوطنية على أن يجوب الأسواق الأجنبية لبيع مصنوعات بلاده . ثم هو لا يقف عند هذا الحد أى عند عرض الصنف الذى يسعى لتصريفه ، بل هو أيضاً يدرس الصنف المماثل له فى البلدة التى يسيح فيها ، وكثيراً ما ينقل نماذج ما يرى فى الحال

وكثيراً ما يرحل رب المصنع أو أحد أبنائه سنوياً إلى الخارج ، للاتصال بممثلى مصنعهم ، والوقوف على حاجاتهم ، ودراسة مركز البيوت المنافسة

ويحتم الألمان دائماً فى الممثلين التجاريين أن يعرفوا لغة البلاد التى يعملون فيها . والممثلون يوجهون إلى العملاء الأسئلة ويحولونهم إلى أعوان يشتغلون للحصول على عملاء جدد

والممثل التجارى واقف على صناعة الصنف الذى يشتغل فى تصريفه ، قادر على عمل المقايسات ، وعلى استماع رغبات أرباب التوصيات ، وعلى نقلها إلى المصنع ، وعلى أن يوعز بادخال التعديلات المطلوبة على الصنف . وليس يفلّ من عزيمة الممثل التجارى شىء مما عساه أن يصادفه فى أداء مهمته ، مثل تفاهة التوصيات الأولى ، ولا رفض استقباله أو استقباله بقليل من الرعاية واللطف

ومما يذكر فى هذا الباب حادث شهير ترتب عليه احتجاج رجال السياسة . وهذا الحادث أن ممثلاً تجارياً ألمانياً ذهب إلى تاجر فرنسى فى ليون وألح عليه للحصول على توصية ، فما كان من التاجر الفرنسى — كى يتخلص من مضايقة الممثل التجارى الألمانى — إلا أن أوصاه بصنع زجاجات للمسطردة رأسها رأس خنزير ، مغطاة بخوذة من خوذات

الجندية البروسية . وقد أجيب التاجر الفرنسى إلى طلبه ، وصنعت له المصانع الألمانية هذه الزجاجات بالأوصاف المطلوبة

فالألمانى مرن ، يخضع فى التجارة لكل الظروف ، وهو يذهب إلى حد تخزين البضائع بين أيدى عملائه ، وهو تخزين مجانى لا يستحق الدفع إلا عند الحاجة فقط إلى البضاعة المخزونة لحساب المصانع . وهذا هو ما يجعل عملاءها فى الخارج مضطرين أن يعاملوها بصفة دائمة

وإذا اتسعت دائرة الأعمال بحيث أصبح السائح التجارى المتنقل أو الممثل التجارى غير قادرين على تلبية حاجات السوق فى جهة من الجهات تأسس فى الحال وفى هذه الجهة محل لتصريف البضائع المرغوب فيها

وحلقة الاتصال الأساسية لهذا النظام هو بيت التصدير الذى يتخذ مركزه عادة فى ثغر من الثغور البحرية الكبرى . ومن هذا البيت تؤخذ البضائع لبيوت أخرى ، ممتدة على جهات ، يعمل كل بيت منها فى جهة معينة ، وتربط جميعها برباط واحد . فأحياناً ترى هذه البيوت التابعة لبيت التصدير الأساسى ممتدة على محطات خط ملاحة واحد ، وأحياناً تراها موزعة فى أقطار ذات عادات وأذواق ولغات واحدة أو متشابهة أو نظام عملة واحد . وعلى أى حال فهى موزعة توزيعاً جغرافياً متناسباً وتوزيعاً فنياً بحيث تتركز الاعتراضات على المصنوعات والاقتراحات الخاصة بتعديلها فى المراكز الفنية لابلاغها إلى المصانع . وكثيراً ما يلحق بهذه البيوت متاحف تشمل أصناف المصنوعات وعيناتها بحيث يستطيع الشارى أن يختار منها ما يشاء . وكثيراً ما تتخصص هذه البيوت فيكون منها ما يختص ببيع المنسوجات ومنها ما يختص ببيع أصناف المأكولات

ومن هنا يعرف أرباب الصناعات إلى أى بيوت فيما وراء البحار يتجهون

لتصدير ما يصنعون . ويعرفون أن لهم أن ينتفعوا من مركز موجود قام على خبرة الأعوام الطوال

وبيوت التصدير إنما تستمد قوتها الحقيقية من البيوت التابعة لها فيما وراء البحار ومن الفروع التى تكونت قطعة فقطعة ، وهى بيوت أو فروع أنشأها فى الغالب الشبان الذين أرسلتهم بيوت التصدير ، أو هى بيوت فى الأصل أهلية فاشتركت مع البيوت الألمانية أو أن هذه أدمجتها فيها . وهذه البيوت على أى حال تعمل، على حد قول مسيو فوتيرس ، فتلاحظ الأسواق وتعطى عنها المعلومات وتبيع المصنوعات

وهى معضدة فى عملها بالاعلانات ونشر الدعوة عنها بقوة زائدة . فالممثل التجارى السائح، والممثل التجارى، والوسطاء ، وبيوت التصدير، يجدون الجهات التى يعملون فيها محضرة باعلانات موزعة بكثرة : فمن منشورات وكاتالوجات محلاة بالصور على ورق مصقول وطبع جميل ، إلى خطابات دورية وإعلانات ظاهرة تلفت الأنظار ، وكل هذا مكتوب بلغة البلاد مثل المقاييسات والفواتير بالأوراق والمقاييس والعملة المعروفة فى هذه البلاد . فالسائح التجارى الألمانى لا يظهر فى أى جهة من الجهات قبل أن يكون مسبوقاً بوابل من الاعلانات ، كبيرها وصغيرها ، يوزع بدون مقابل وبكميات هائلة

ثم هناك ، بجوار هذه الاعلانات التجارية المحضة ، الصحافة المحلية ، تكتب بلغة البلاد ممتدحة مصنوعات الألمان ، ثم تأتى من الخارج الطبعات الخاصة من المجلات أو الجرائد الألمانية الكبرى والنشرات المصورة تشيد بالمصنوعات الألمانية ، ومن هذه النشرات نشرة « ويلت إينبلد » التى تطبع بسبع لغات

وبجوار هذه المجلات المعروفة توجد مجلات جغرافية خاصة مثل مجلة الشرق الألمانية « دوتش ليفنت زيتونج » وفيها من المعلومات ما يهمّ أرباب المصانع والمصدرين وممثلى التجارة والمستهلكين ، وهى ترسل إلى جميع الجهات وتحرر بمهارة زائدة للاعلان خفية

عن المصنوعات الألمانية ولايقاظ اشتياق الناس للحصول عليها

ولنشر الدعوة طريقة أخرى مباشرة بتنظيم معارض المصنوعات الألمانية داخل البلاد الألمانية وخارجها ، وتنظيم المعارض القائمة ، ومستودعات العينات ، وخصوصاً مستودعات البضائع التى لا تسمح فقط بالاجابة مباشرة عن كل توصية بل تسمح أيضاً بالتحريض على طلبها

وبهذه الطريقة استطاعت ألمانيا أن تحول بعض البلاد إلى مقاطعات اقتصادية مثل الدول الأمريكية الوسطى

* * *

هذه هى ، يا صاحب السعادة ، الأسباب التى أوصلنا البحث إلى إدراكها لتعليل ما وصلت إليه الصناعة والتجارة الألمانية من التفوق والارتقاء . وهذا هو ما وقفنا عليه من طرائق عملها وأساليبها التى اعتمدت عليها للوصول إلى فتح الأسواق الأجنبية وإخضاعها لتجارتها

وشعار ألمانيا فى هذا الباب هو أنها تنتج كثيراً ، وبأسعار رخيصة ، وتعمل بترتيب ونظام ، فتدرس حالة العملاء وتعمل على إدراك حاجاتهم . وهذا هو سرها فى العمل والنجاح . ولم نجد تاجراً مصرياً أو أجنبياً واحداً ممن حادثناهم إلا أقرنا على ما قدمنا هنا من البيان

وليس علينا إلا أن ننظر فى أى التدابير نستطيع أن نستمد منها الوحى لتحقيق تنظيم حياتنا المالية والتجارية التى ينقصنا فيها شىء كثير لاحظته لجنة التجارة والصناعة فى عدة مناسبات من أبحاثها

وتفضلوا ، يا صاحب السعادة ، بقبول أسمى عبارات الاحترام

١٢ يونيو ١٩١٦ محمد طلعت حرب يوسف أصلان قطاوى

خطبـــة طلعت حرب بك

فى حفلة تأسيس بنـــك مصر

فى مساء الجمعة ٧ مايو سنة ١٩٢٠

احتفل فى دار الأوبرا السلطانيـة بتأسيس بنك مصر ، فخطب حضرة صـاحب العزة محمد طلعت حرب بك لهـذه المناسبة الخطبة الآتى نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

سـادتى :

باسم بنك مصر نشكر لـكم تفضلـكم بتلبية دعوته وتشريف هـذه الحفـلة التى أقيمت احتفالا بتمام الاجراءات التشكيلية التى يقتضيها القانون المصرى لتأسيس البنك

ففى بعد ظهر هذا اليوم اجتمعت جمعية المساهمين العمومية وقررت استيفاء جميع هذه الاجراءات ودونت شهادة الميلاد الذى نحتفل به الليلة . وأملنا فى وجه الله تعالى أن يرعى هذا المولود بعنايته ، ويتعهده بتوفيقه ، فيشب ويترعرع ، حتى يدر خيراً وبركة على البلاد وأبنائها ، فيحتفلوا فى كل عام بذكرى هـذا اليوم السعيد كما يحتفلون إن شـاء الله تعالى بعيده الحديدى ، فالبرونزى ، فالفضى ، والذهبى ، والمئينى ، وهكذا وما ذلك بعزيز على الله تعالى الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا على صبر الصابرين وعزم أولى العزم من المصريين ، وعندنا والحمد لله منهم كثيرون

سـادتى : إن فـكرة تأسيس بنك مصرى ، برؤوس أموال مصرية ، يعمل لمصلحة مصر قبـل كل مصلحة سـواها ، ليست بالحديثـة . بل هى فـكرة قديمة قد أراد الله تحقيقها الآن فى أنسب الأوقات ، وأوفق الظروف . فما علينا إلا أن نشمر عن

ساعد الجد والاخلاص للسير به إلى الأمام . ففى البلاد أموال عظيمة ، بعضها مخزون معطل ، وبعضها فى بنوك أجنبية ، وكلاهما لا تستفيد البلاد منه شيئاً مذكوراً

أحصى جناب المستشار المالى للحكومة المصرية ودائع الأفراد فى بنكين اثنين : البنك الأهلى ، وبنك الانجلو — بما يربو على ٣٥ مليوناً من الجنيهات . ولا يمكن تقدير ما فى باقى البنوك ، لأن من بينها ما لا يفرز حسابات فروعه بمصر على حدة ، ومنها البنوك الخصوصية التى لا تنشر حسابها . ومع كل فلو قلنا إن مجموع ودائع الأفراد ٣٥ مليوناً من الجنيهات فقط ، وقلنا إن نصفها فقط للمصريين — أليس فى استخدام نحو ١٨ مليوناً من الجنيهات فى مصلحة مصر وشؤونها الاقتصادية خدمة كبرى للبلاد وأهلها ؟

ولكن فيم تستعمل البنوك الموجودة الآن هذه الودائع والأمانات ؟

نظرة فى تقارير هذه البنوك تدلنا على أن الجزء الأكبر منها مستعمل خارج هذه البلاد ، فى بونات على خزائن الحكومات ، أو فى سندات قروض الحرب ، أو ما أشبه ذلك من العمليات التى هى فى مصلحة المساهمين فقط أو فى مصلحتهم ومصلحة البلاد التابع لها أصحاب النهى والأمر فى هذه البنوك

يقول جناب المستشار المالى فى مذكرته إن مجموع المبالغ التى شغلتها مصر فى الخارج فى المدة المنقضية من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩١٩ يبلغ ١٥٢ مليوناً وهى : —

١٣	مليوناً المودع من الحكومة ومن الحراسة الرسمية لأموال الأعداء
٦٥	« لحساب إصدار البنكنوت
٦٠	« من البنوك وشركات الرهنيات
١٤	« من الشركات والأفراد
١٥٢	مليوناً

وهذا تقدير تقريبى أيضاً

ومصر كانت أحق باستخدام أموال بنيها فى مصالحها وشؤونها لو أن هذه الأموال كانت فى أيدٍ مصرية تعمل هى أيضاً لمصلحة بلادها كما يعملون ، وكان نظام مصر النقدى والاقتصادى غير النظام الحالى الذى تحيط به ظروف استثنائية والذى نرجو أن يزول بزوالها إن شاء الله

ولا نتكلم اليوم عن إصدار البنكنوت وكيفية تغطيته ، ولا عن عملتنا وكيف أصبحت تابعة للجنيه الانجليزى حتى هبطت بهبوطه مع أن كفة ميزان التجارة فى مصلحتنا ، ولا عن سعر القطع عندنا كيف يحدد تبعاً لسعره بلندرة ، ولا عن إقراض المصريين — من حيث لا يدرون — انكلترا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا وغيرها بحسب جنسية كل بنك أودع فيه المصريون من ثرواتهم أموالا طائلة

كلكم قد عامل هذه البنوك ودخل فيها ، وأناشدكم ضمائركم : ألم يتمنّ كل منكم وهو داخل فى واحد منها لو أن لبلاده بنكا مثله يديره مصريون مثله يعرفهم ويعرفونه ويفهمهم ويفهمونه ؟ ألم يتمنّ أن يرى بين من يشتغلون فيه مطربشاً أو معمَّماً وفى البلاد شباب ناهض يريد عملا فلا يجده ، بل يريد تمريناً على عمل فلا يجد باباً يطرقه ؟

تأسست فى مصر مدارس للتجارة ، عليا ومتوسطة وليلية ، فماذا كان نصيب متخرجيها ؟ هل شغّلت البنوك أو الشركات أحداً منهم ؟ اللهم لا ، إلا النادر الذى لا حكم له . على حين نجد الباقين يشتغلون فى الغالب كتاباً فى المصالح العمومية !

وما كان هذا هو الغرض من تأسيس هذه المدارس !

بجانب البنوك الأجنبية أراد المصريون أن يكون لهم بنك يعمل عمل هذه البنوك ، ويخدم مصر كما يخدم كل منها بلداً آخر ، ويضع يده فى يد كل ناهض بمصر إلى الأمام وكل مريد الخير لها ، وفى يد كل بنك فى مصر يعمل لمصلحة البلاد وأهلها

وها هو ذا البنك قد وُجد والحمد لله والشكر له . وهو فى أول يوم من أيام حياته

يشهد الله جهاراً على ملأ من حضراتكم أنه لا يضمر عداء لأحد ولا يريد إلا أن يعيش كما يعيش غيره ، وأن يكون له نصيب فى خيرات بلاده ، ويجاهد فى معترك هذه الحياة لمصلحة مصر وبنيها ، غير ناظر إلا لهذه المصلحة ، يولى وجهه شطرها أينما كانت . وهو ، وإن بدأ صغيراً ، سيكبر إن شاء الله تعالى باخلاص المخلصين من أبناء مصر الذين سيبوؤنه ، كما هو المأمول ، المكان اللائق به

* * *

سادتى :

ما كاد يظهر نبأ تأسيس البنك حتى وجهت إلينا الاعتراضات الآتية :

أولاً — أننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية

ثانياً — أنه ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك

ثالثاً — أن الأمة ، مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ٨٠٫٠٠٠ جنيه من أسماء كثيرين اكتتب كل منهم بمبلغ زهيد ، مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية

وماذا يراد أن يعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذى قد لا يفى ربحه لدفع أجرة المحل ومرتبات بعض الموظفين ! !

وإننا نرد على هذه الانتقادات ضاربين عرض الحائط بالسباب والشتم اللذين تخللا ويتخللان عبارات بعض هؤلاء المعترضين الذين لا يرضيهم طبعاً أن يشاركهم مصرى فى تلك الأرباح التى يربحونها من المصريين ، كأن الله تعالى قد خصهم بها دون غيرهم ، فتراهم يعادون شخصياً كل من يحاول من أبناء البلاد أن ينال شيئاً منها ، ويقاتلونه ويعتبرونه معتدياً عليهم

١ — أسهم بنك مصر اسمية والمساهمون مصريون

نظن أنه إذا كان الغرض ، فقط ، هو جمع مال المصريين لعمل بنك بدون أخذ الحيطة اللازمة لعدم تحويل هذا البنك إلى بنك أجنبي يعمل كباقي البنوك — ما وجدنا واحداً من المؤسسين يوافق على ذلك ، أو يرى ضرورة لتأسيس بنك كهذا ، والبنوك الأجنبية كثيرة فى البلاد . إنما يعوز مصر حقيقة بنك برأس مال أهلى يعمل لمصر ولمصلحة مصر ، ولضمان ذلك لم يجد من فكروا فى تأسيس البنك سوى جعل الأسهم اسمية ، واشتراط بقائها بيد مصرية . ولهم أسوة حسنة بما يحصل فى البلاد الأخرى فى كل الأحوال التى يريدون ألا يتسلط فيها الأجنبي على مرافق البلاد الحيوية . يعلم ذلك كل متتبع لما هو جار فى البلاد الأجنبية ، ولما تقرره غرفها التجارية وحكوماتها لحماية هذه المرافق الاقتصادية والمالية . وها نحن أولاء نقرأ تقريراً لمدير أحد المحلات الفرنسية التجارية باسكندرية ، ينصح فيه تجار بلاده ألا يوكلوا عنهم فى مصر غير فرنسيين ، ويبلغهم استياء مواطنيه من وجود وكلاء غير فرنسيين عن بعض البيوت التجارية الفرنسية . وليس الفرنسيون بالمنفردين بهذا الاستئثار ، فالكل فى ذلك سواء . وليس الأمر كذلك مقصوراً على أوربا ، فها هى ذى أمريكا تشترط فى سفن ملاحتها كى تكون أهلية ، أن يكون جميع أصحابها أمريكيين ، وأركان حربها أمريكيين ، وأن تكون مصنوعة فى دار صناعة أمريكية . وتشترط اليابان مثل هذه الشروط فى كثير من شؤونها الاقتصادية ، حتى فى سماسرة البورصة . نرجع للبنوك ذاتها نجد أن سويسرا تشترط لحيازة أسهم بنك سويسرا الأهلى — وهو آخر بنك أهلى أنشئ فى أوربا — أن يكون المساهم سويسرياً . وها هى ذى أسوج تشترط مثل ذلك . نعم إن فرنسا تجيز للأجنبي أن يملك أسهم بنك فرنسا ، ولكنها اشترطت من جهة أخرى أن الأسهم

اسمية ، وألا يحضر الجمعية العمومية التى بيدها الحل والعقد إلا ٢٠٠ من كبار المساهمين الفرنسيين ؛ واشترطت مثل هذا الشرط النمسا فى بنكها الأهلى . وبالجملة فالبلد الذى أباح للأجانب امتلاك أسهم من سهوم بنكه الأهلى ، قد قرن ذلك بقيود أخرى تجعل لسياسة البلد الاقتصادية اليد العليا فى تسيير دفة أعمال البنك . وهل كان فى وسعنا أن نحصل على وضع مثل هذه القيود ؟ وهل كان يصدق عليها مجلس الوزراء أو لجنة مستشارى القضايا ؟ إنهم كانوا بلا شك يرون فى ذلك مخالفة للمبدأ الأساسى لجميع الشركات وهو المساواة التامة بين جميع حملة السهوم

وليرنا المعترض صاحب حصة فى رأس مال بنك انكلترا غير انكليزى . فلماذا لا يعاب مثل هذا على الأمم الراقية ، ويعاب علينا أن تشبهنا بهم ، وأردنا أن نحفظ لنفسنا وبلادنا بنكاً واحداً يخدم مصالحنا ؟ وأى ضرر على غيرنا !

يرموننا بأننا جهلاء لا نصلح لادارة بنك ، فحقهم أن يشكرونا على أننا من أول الأمر أردنا ألا نحمل نتيجة جهلنا — لا قدر الله — إلا لأنفسنا ، وألا يشاركنا غيرنا فيها . فما بالهم يناقضون أنفسهم ؟

لا ، لا . إن لكل بلد فى العالم سياسة مالية يجب أن يسير عليها ، واستقلالا اقتصادياً يجب أن يعمل على الحصول عليه والاستمرار فيه . والمهيمن على هذه السياسة وهذا الاستقلال الاقتصاديين فى كل بلد من بلاد العالم هو بنكها الوطنى ، الذى يحصل على امتياز إصدار البنكنوت ، ويكون فوق كل البنوك يشرف عليها ، ولا يزاحمها فى أعمالها . وظيفته مساعدة البنوك بأن يخصم أوراقها ، ويقرضها على قراطيسها متى احتاجت إلى المال ، ويفرج الأزمات ، ويتدارك بقدر الطاقة حدوثها . وهو ميزان الحركة التجارية والسوق المالية ، وبارومتر وفرة المال المعد للأعمال وندرته ، ومحدد سعر الفائدة فى البلاد بحسب ذلك ، ومخزن الذهب العين إلى يوم الحاجة إليه ، يحفظه فى البلاد فلا يخرج

منها إلا بقدر ، ولضرورة تحسين سعر كمبيو البلاد ، أو لضرورة قصوى تقتضيها مصلحة البلاد . . .

وهو المهيمن الأعلى على الثقة والاعتمادات المالية فيها . وبالجملة هو بنك البنوك ، له وظيفة وأعمال خاصة غير مزاحمة البنوك ، وإليه تنتهى جميع العمليات المالية فى البلاد . هذا البنك الوطنى المسيطر على السياسة المالية لكل بلد قد ضمنت كل حكومة عدم تسلط أى يد أجنبية عليه . وهذه هى وظيفة البنك الأهلى فى مصر ، الذى كان يجب أن يكون أهلياً بكل معانى الكلمة : أهلياً فى رأس ماله ، أهلياً فى إدارته ، كما هو الحال فى جميع بلاد الدنيا العاملة على حفظ استقلالها الاقتصادى . أما فى مصر فان الأسهم جعلت لحاملها ، وأصبحنا لا ندرى ولا هو يدرى فى يد من هى الآن أو بعد ساعة ! . ومعلوم أن حملة الأسهم هم أصحاب الرأى الأعلى ، ولهم الحكم فى تسيير أعمال شركتهم . . وهو فى مصر يزاحم البنوك الموجودة فيها فى أعمالها ، وقد كان له العذر فى عدم تغيير خطته ، لأنه لم يكن فى البلاد بنوك أهلية ، ليكون بنكها ، ولا يمكن أن يكون بنكا لبنوك أجنبية ، قد لا تتفق فى الغالب مصلحتها مع مصلحته : فاذا أبطل أعمال البنوك العادية لا يستفيد هو ، ولا تستفيد البلاد شيئاً ، بل الذى يستفيد هو البنوك الأجنبية المزاحمة الأخرى . فضلا عن أن ربحه من البنكنوت المتداول فى البلاد كان إلى سنة ١٩١٤ قليلا ، لعدم التعود كثيراً عليها ، فلم يكن فى الامكان مطالبته بأن يعدل عن الأعمال الأخرى إلا إذا وجد له ربح يعادل ما يخسره من الأعمال المذكورة

هذا الربح لا يكون إلا إذا وجدت بنوك أهلية ، برؤوس أموال أهلية ، تستعمل البنك الأهلى كبنك البنوك : فيربح من معاملتها ، ويترك لها أعمال البنوك العادية ، ويعامل الأفراد بواسطتها ، فيؤدى وظيفة بنك البنوك الحقيقية

لهذا أردنا أن يكون لنا بجانب البنك الأهلى بنك مصر ، نتدارك فيه ما فات لدى

تأسيس البنك الأول . ولا أظن أن البنك الأهلى يرفض اتفاقا يحصل بين شركتنا وبينه على الأساس السابق ، يكون فاتحة خير لهما وللبلاد ، خصوصاً وقد أصبح تداول البنكنوت شائعاً فى مصر ، وأصبح له من ربحه المال الكثير . على أن لا شىء يمنعنا — بل هو الواجب المفروض علينا — أن نجعل البنك الأهلى أهلياً بالفعل ، بحصر أسهمه أو معظمها فى أيدينا نحن المصريين ، مهما قال ذوو الغرض وشتموا وسبوا ؛ فلن يلحق بنا سبابهم ، ما دمنا وطدنا العزم على السير للأمام ، وباخلاص وعزيمة لا تكل إن شاء الله تعالى

أقول ذلك وأنا واثق من أن وراءنا الأمة بأكملها ، راضية عن هذه السياسة الاقتصادية ، عاملة عليها ، معضدة لها

يقولون إن فى جعل الأسهم اسمية ، واشتراط التبعية المصرية فى مالكيها ، تضييقاً لدائرة التداول ، وتصعيباً لحركة هذا التداول

ونقول إن الأمة التى تريد استقلالها الاقتصادى ، يجب عليها أن تشترى هذا الاستقلال بقليل من التضحية ، بل بتضحيات كبيرة ، لا يذكر بجانبها بعض صعوبة يلاقيها من يريد بيع سهم له . على أن لا صعوبة عظيمة ، لأنه قد أبيح البيع — ولكن لمصرى

لا يذكر أيضاً بجانب هذه التضحيات ما ربما لا تحوزه الأسهم من ألاعيب البورصة ، وتقلبات الأسعار فيها بسبب صعوبة تداولها . فان المساهم لم يساهم فى البنك ، على ما نعتقد ، ليضارب بأسهمه . بل ونذهب لأكثر من ذلك ، ماذا يضر الأمة — التى ألفت الوقف — لو وقف بعض بنيها جزءاً من مالهم على استقلال بلادهم الاقتصادى ، واعتبروا الأسهم من أول يوم وقفاً لا بيع فيها ولا شراء . على أن الأمر بالعكس ، فالبيع جائز بقيد واحد ، وهو أن المشترى يجب أن يكون مصرياً ؟

كنا أمام شرّين اخترنا أهونهما ، فهل علينا فى ذلك من ملام ؟ !

* * *

٢ — ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك

إن مجال الكلام فى هذا الموضوع واسع ، نرى الأنسب عدم التوسع فى الخوض فيه . غاية ما نقوله إننا أردنا أن يكون للبنك سياسة خاصة وصبغة أهليـة ، متى تحققت لا نعبأ على يد من تنفذ . فاننا نولى وظائف البنك للا كفأ مهما كانت جنسيته وديانته . ونحن مستعدون للاستفادة من خبرة ومعلومات أى أجنبى ، كمستشار فنى أو كموظف — لا كحاكم ولا مسيطر يحول مجرى سياسة البنك إلى غير ما أراده أصحاب الأموال وتقتضيه مصلحة البلاد . وإن كان الرجال الصالحون للأعمال المالية بمصر قليلين ، فليس الذنب عليها ، ولذلك ظروف معلومة ، لن تحول دون البدء فى خلق الجيل الذى يصلح . فمن لم تخرجه المدرسة ، فالعمل كفيل بايجاده : والوظيفة تخلق العضو

قيل لنابليون ، حينما وضع نظام بنك فرنسا الحالى ، إنه ليس فى فرنسا رجال ماليون خبيرون بأعمال البنوك ، فقال لهم : هذه طائفة يجب خلقها . وقـد خلقت وأصبحت فرنسا ، بعد قرن ، يضرب المثل بخبرة رجالها الماليين وعلمهم

فلماذا لا يصدق على مصر ما صدق على غيرها ؟

إذا استعانت مصر فى بادئ أمرها بغير أبنائها فى بعض شؤونها ، فما ذلك بالعار عليها ، خصوصاً إذا علمنا أن ٤٠ ٪ من موظفى ومستخدمى البيوت التجارية بانكلترا إلى سـنة ١٩١٨ كانوا من الأجانب ، وأغلبهم ألمان ، مما هال غرفة لوندرة التجارية ، ونقابة بقية الغرف بانكلترا ، وصاحت من أجله طالبة تحقيقاً دقيقاً عن السبب فى ذلك ، والعمل على تغيير مناهج التعليم فى البلاد ، لجعلها وافية بتخريج الأكفاء لتولى هـذه الوظائف فيستغنى عن الأجانب . وكثيرون من موظفى بنوك فرنسا ذاتها كانوا ، لوقت قريب ، بل إلى الآن ، أجانب

أمامنا عقبات لا ننكر صعوبتها ، سنذللها بفضل الله ، وحسن ثقـــة مواطنينا ، وبثباتنـا ؛ على أن غيرنا قد بدأ مثلنا ، ولنسأل التاريخ عمـا أصاب البنوك فى كل بلد فى أول عهدها

فبصدر واسع نتلقى هذه المسئولية الملقاة على عواتقنا ، سائلين الله تعالى أن يخفف حملها علينا ، وأن يوفقنا إلى أقوم السـبل ، وأن يولى أمورنا خيارنا ، وأن يهدينا إلى من يحسن إرشادنا وتعليمنا بنية خالصة وعزيمة صادقة

وإنى هنا ، بالأصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن جميع زملائى أعضـاء مجلس الادارة ، نقرر بأننا مستعدون للتخلى عن كرسى العضوية بالمجلس لـكل كـفء يتقدم ، ما دامت ضالتنا المنشودة واحدة ، وهى الأخـذ بيد هذا المولود السـعيد إلى الأمام لخير البلاد ومصلحتها ، وهى تتفق فيه مع مصلحة المساهمين أنفسهم لأنهم مصريون

٣ — عدم استعداد الامة للاعمال الاقتصادية

وعدم اكتتاب الكبار فى أسهم البنك بمبالغ وافرة

لا ننـكر أن الأمة طفـلة فى المشروعات الاقتصادية . ولـكن أين الأمة التى ولدت عالمة ، مستعدة بفطرتها لمثل هذه الأعمـــال ؟ وهل الذنب كما قلنا على الأمة المصرية إذا لم يعلمها أو لم يعودها أحد ؟

سلوا التاريخ أيضاً ينبئكم عما قاست كل أمة فى بداية نهضتها . وهل لـكون الأمة غير مستعدة ، تبقى على عدم استعدادها إلى ما شاء الله ؟ إنها تريد كـغيرها أن يهديهـا هداتها إلى الطريق القويم فتسلـكه وتتعوده . . .

فـكر بعض المصريين فى تأسيس بنك مصر ، فعملوا ما يعمـله غيرهم ، من جمع بعض أشخاص يكتتبون فى أى رأس مال أولى ، يطلب به المرسوم السلطانى . ولم يكن

بوسع القائمين بهذا المشروع أن يفتحوا ، قبل صدور المرسوم ، اكتتاباً عاماً لتظهر قدرة الأمة واستعدادها ، فلماذا هذه المغالطة ؟ والمبلغ الذى جمع ودفعه المؤسسون بأكمله عن طيب خاطر لا يقدم ولا يؤخر ولا يصح اتخاذه دليلاً على شىء ، سوى جمع كلمة بعض أشخاص على استصدار مرسوم سلطانى بتأسيس بنك ليدعى المصريون للاكتتاب العام فيه . وهذا مادعيت لتقريره الجمعية العمومية غير العادية هذا اليوم

يعترضون بأن المساهمين ليس بينهم من اكتتب بمبالغ كبيرة ، ولم نسمع قبل الآن بأن البنك يجب أن يكون ملكاً لبضعة أشخاص . . .

نراجع عدد المساهمين فى بنك فرنسا ورأس ماله ١٨٢ مليون فرنك ، مقسم إلى ١٨٢ ألف سهم ومجموع عملياته فى السنة يقدر بالمليارات ، لا بالملايين ، نجد أنه كان فى نهاية سنة ١٩٠٨ : ٣١ر٢٤٩ مساهماً هذا بيانهم :

عدد	
١٠٣٨١	يملك كل منهم سهماً واحداً
٦٥٨٤	« « « سهمين
٧١٦٦	« « « من ٣ أسهم إلى ٥
٣٦٥٣	« « « « ٦ « « ١٠
١٩٤٢	« « « « ١١ سهماً « ٢٠
٧٠٢	« « « « ٢١ « « ٣٠
٤٥٢	« « « « ٣١ « « ٥٠
٢٥٢	« « « « ٥١ « « ١٠٠
١١٣	« « « أكثر من مائة سهم

فسبعة وعشرون ألف مساهم من ٣١ ألفاً ، لا يملك كل منهم أزيد من عشرة أسهم

وليس بين الأربعة آلاف الباقية سوى ٣٦٥ مساهماً يملك كل منهم أزيد من ٥٠ سهماً ، ومنهم ١١٣ مساهماً فقط يملكون أكثر من ١٠٠ سهم

فأين أغنياء فرنسا؟ هل هم أيضاً غير مستعدين للأعمال المالية ، حتى إنهم لم يساهموا فى بنك فرنسا بنسبة ثرواتهم

نعم إن الأمة المصرية ، كغيرها من الأمم التى ألفت نوعاً من طرق استثمار المال ، يصعب جداً تحويلها عما ألفت إلى ما لم تألف إلا بمرور الزمن والصبر والجلد والمثل الحسن

فمتى رأت مثلا حياً صالحاً اتبعته ، وسارت عليه ، ودخل فى عاداتها . وأملنا أن يكون بنك مصر هو ذلك المثل الحى الذى نقدمه للبلاد

نعرف جيداً أن هذا البنك محتاج لرأس مال كبير ، أكثر مما يحتاج إليه بنك آخر مثله . لأن هذا البنك الآخر يقوم عادة ووراءه عضد من حكومته ، ومن بنك بلاده الأهلى . بل ومن بنوك أخرى ربما اشتركت فى تأسيسه . أما بنكنا هذا فكل اتكاله أولاً على عون الله ، وإخلاص مساهميه ، وثقتهم ببعضهم البعض ، وبينكهم ، وعضد الأمة المصرية ، ثم على رأس ماله الذى يجب أن يتناسب مع مجموع عملياته ومع مقدار الأمانات والودائع التى تودع فيه

* * *

برنامج البنـــك

ماذا يعمل بنك مصر ؟

يعمل كل ما يعمـله بنك تجارى مثله ، لا فرق فيمن يعامله بين أن يكون مصرياً أو غير مصرى . فالمصرية لم تشترط ، كما قلنا ، إلا فى رأس المال ، للأسباب التى أوضحناها ؛ أما فيما عدا ذلك فأبوابه مفتوحة لكل عميل

فى البـلاد أموال كثيرة مخزونة ومعطلة كما قلنا ، وظيفتها فى الأصل التداول بين الناس ، ولها فى كل حركة بركة ، وفى كل دورة ربح لرابح . ففى خزنها وقوف هـذه الحركة ، وضياع لهذا الربح وللفـائدة التى تعود على البلاد من زيادة أرباح بنيها ؛ فضلا عن تعرض هذا المال للضياع بالسرقة أو الحريق أو ما أشبه . وفى البلاد ودائع وأمانات كثيرة ، مستثمر معظمها فى بلاد غير البلاد ، لو استثمرت هـذه وتلك فى الشـؤون المصرية ، وسوعدت بهما التجـارة والصـناعة والزراعة المصرية ، لزادت الثروة المصرية أضعافاً مضاعفة ، ولـكان ذلك عاملاً قوياً على إصلاح حالنا الاقتصـادية ، وإيجاد الـكفاءة الماليـة ، التى هى الأساس المتين للرقى المطلوب . وهـذا ما سيجعله بنك مصر نصب عينيه ، فهو يشجع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود عليه وعلى البـــلاد بالربح العظيم ، ويساعد على إيجاد الشركات الماليـة والتجارية والصـناعية والزراعيـة ، وشركات النقل بالبر والبحر ، وشركات التأمين بأنواعها ، ويتعهـدها حتى تنمو وتقوى ويشتد ساعدها . وبالجملة يعمل على أن يكون لمصر صوت فى شؤونها المـالية ، ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنـوك عن مصالح بلادها . ومن فوائده أنه لا يتأثر بالاشاعات المـكذوبة ، فلا يقفل بابه عن النـاس لأقل إشـارة ترد إليه من الخارج ، بسبب أو بلا سبب ، فتحذو حذوه بقية البنوك على ، اعتبار أنه بنك البلد وأعلم بما يجرى فيه

ولا يفهم من ذلك أن بنك مصر سيكيل المال جزافاً لمن يستحقه ومن لا يستحقه . كلا ، فبنك مصر سيشدد فى التدقيق قبل توظيف أى مبلغ ، ولا يستثمره إلا فى وجوه سليمة مأمونة ، محقق إتيانها ، فى الأجل المحدد لها ، بالأصل والربح وبربح آخر للعميل . فما الأموال التى تستثمرها كل البنوك ، وبنك مصر من ضمنها ، إلا أمانات وودائع ، يجب أن تكون حاضرة لدى طلب أربابها . فلذلك لا تستعمل إلا فيما يكون مضموناً ، ولمن يكون قادراً حقاً على الوفاء فى الأجل المحدد

نعم سيدقق بنك مصر أكثر من غيره ، لأن مركزه استثنائى والعيون شاخصة إليه

لن يشتغل بنك مصر على الاطلاق فى المضاربة لنفسه ، ولن يساعد غيره عليها ، ولن يقرض الأموال المودعة لديه لآجال طويلة ، فلذلك بنوك أخرى خصيصة به

نريد أن يفهم الكل أن بنك مصر ليس جمعية خيرية ، ولا ملجأ للعاطلين ، ولكنه محل تجارة يعمل عملاً تجارياً على مبادىء وأصول قويمة ، لن يحيد عنها إن شاء الله تعالى

سيؤدى بنك مصر لجميع عملائه كل الخدمات المالية التى يحتاجونها بأجر مناسب . وسيعمل ، بالاتحاد مع حضرات التجار ، على تنظيم الحالة التجارية ، وإنشاء الغرف التجارية ، والنقابات ، والشركات التعاونية ، وغيرها ، للدفاع عن مصالح أعضائها ، ودرس أنجع الطرق لترقية شؤونهم ، وزيادة أرباحهم ، باحسان طرق البيع والشراء ، وترتيب الأعمال ، وتنظيم الحسابات ؛ كما يعمل بالاتحاد مع أصحاب المزارع والمصانع على تأسيس النقابات ، وشركات التعاون اللازمة لهم ، وللدفاع عن مصالحهم ومحاصيلهم ومصنوعاتهم

ولن يرى أحد منهم غضاضة فى ذلك : فالبنك بنكهم ، والقائمون بأموره منهم ، ومصلحة الفريقين واحدة ، وضالة الجميع ترقية الشؤون المصرية ، وتنظيم الحركة الاقتصادية بالبلاد

وسيعمل على بث روح العمل والتعاون والتضامن والنظام فى الشبيبة ، وإنماء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم ، والحث على وضع أساس التربية الاقتصادية العملية فى البلاد ، وجعل تعليم الحساب والنظام الحسابى أساساً فى مناهج التعليم فيها

هذا هو برنامج بنك مصر ، سيعمل على تحقيقه تدريجاً بكل تأنٍّ وروية . فالطفرة محال ، والتدرج سنة طبيعية — ليكون لنا وجود اقتصادى إيجابى ، ولتكون لنا رؤوس أموال مصرية فى سوق المال ، تستعمل فى الشؤون العامة المصرية ، ويكون لها وحدها الحق فى تحديد سعر الفائدة والقطع فى البنوك

* * *

دخل فى يد كثير من المصريين أموال عديدة فى هذه السنوات الأخيرة ، ففيم استعملوها ؟

استعملوا معظمها فى نوع الاستثمار الذى ألفوه وهو شراء الطين . فتهافتوا عليه حتى أغلوا ثمنه وأصبحنا نسمع بأن ثمن الفدان قد بلغ فى بعض الجهات ٧٠٠ جنيه !

هذا حسن . ولكن إذا نظرنا إلى مجموع الأمة المصرية ، هل نجد إيرادها قد زاد بانتقال الفدان من يد لأخرى ، وهو هو بعينه يعطى إيراده ، سواء أكان ثمنه مائة جنيه أم سبعمائة ؟ لا ، لأنه إذا ما عادت المياه إلى مجاريها ، ورجع كل شئ لنصابه ، وجدنا أن تلك الأموال التى دخلت فى يد المصرى ، واستعملها فى الطين ، ذهب معظمها هباء فى زيادة ثمن كان له يد فى إيجادها بتهافته على شراء الطين وعدم تنويع طرق استثمار ماله . وهذا التنويع فى مصلحة البلاد التى لا يصح أن تعتمد فى إيرادها وثروتها على نوع واحد من الاستثمار . وفى البلاد سندات الدين العمومى ، وسندات وأسهم شركات كثيرة معظمها فى أيد أجنبية ، كأسهم البنك الأهلى والزراعى والعقارى وشركات

المياه والترامواى وغيرها وغيرها ، لو استعمل فى شرائها أو فى القيام ببعض المشروعات الاقتصادية الجمة المحتاجة لها البلاد من زراعية وتجارية وصناعية لاستثمار خيراتها — جانب من أموال المصريين ، لوجدوا أنفسهم أمام أرباح جديدة تأتيهم من أعمال جديدة غير الطين ، ولحفظوا هذه الأموال والأرباح فى البلاد ، بدل وجودها فى الخارج أو نزوحها إليه ، ولعملوا على إنقاص مقدار البنكنوت المتداول فى الأيدى وإنقاص أثمان الحاجيات — إلى حد ما — تبعاً لذلك . نعم فى يد المصريين أن يساعدوا على تقليل مقدار البنكنوت المتداول فى الأيدى ، بأن يستثمروها فى أى مشروع ، ويشتروا أى قراطيس أو قروض أو على الأقل ، يودعون كل ما زاد عن اللازم لتمشية حركتهم العادية فى أحد البنوك التى يأتمنونها ، يستثمرها بدلهم ، ويحفظها لهم لحين طلبها ، ففى ذلك تقليل لما فى الأيدى من البنكنوت ، وزيادة لنسبة الذهب المخصص لتغطيتها . وإلا فلا يمكن التسليم بأن كل الخمسة والستين مليوناً من ورق البنكنوت ، المتداولة فى الأيدى ، لازمة للحركة ؛ بل لا بد أن جانباً منها معطل بلا فائدة ولا ثمرة ، يثقل على الأسعار والأسواق

والمأمول أن يكون بنك مصر خير مرشد وأقوى عامل لتحقيق هذا الغرض

نعم إن مهمة البنك شاقة ، ولحسن قيامه بها ها هو ذا يؤمل من حضراتكم ومن الأمة المصرية تعضيداً وتشجيعاً ، وحسن ثقة به . فلننهض من اليوم ، لندرك ما فات . وماذا نعمل لادراك ذلك أيها السادة ؟

نحوط بنك مصر الذى أنشأناه بجميع رعاياتنا وتأييدنا القائمين به بثقتنا ، وباثباتنا بالفعل أننا نصلح أيضاً للبناء والتعمير ، وبالاكتتاب فى أسهمه ، وباغفال كل ما يروجه خصومه من الاشاعات عنه ، وبالأخذ بيده على الدوام ، وبتقويم كل اعوجاج يراه أحدكم فيه بالحسنى ، وباختيار الأكفاء لمجلس الادارة ، وباتخاذه بنكاً حقيقياً للمصريين ،

يجمع المال الزائد لدى البعض ليسد به حاجات البعض الآخر ، ويقوم بكل خدمة مالية يكلفه بها الكل ، تنحصر فيه أعمالهم المالية : من إيداع ، وقبض ، وتكليف بدفع أو تحصيل ، وشراء أوراق مالية وبيعها وحفظها وتأمينها وقبض كوبوناتها ، وقطع أوراق وكمبيالات ، وفتح حسابات جارية ، وحفظ محاصيل ، وبيعها لحساب أصحابها ، والتسليف عليها ، وتحويل دفعات داخل القطر وخارجه ، إلى غير ذلك مما يتعلق بالمال وحركته ، بجميع الضمانات والاحتياطات الممكنة ، وبأجور مناسبة . شارته المكسب القليل كثير بتعدد العمليات . ومتى زادت الحركة ، وكثر المال المودع فيه ، وزاد الاقبال عليه ، وأصبح مستودع المال الزائد عند كل عميل يستجره منه حسب لزومه ، وانحصرت فيه أعمال العملاء ـ يصبح كاتب حسابات عملائه وأمين صندوقهم وخازن مستنداتهم ، ومراجع حساباتهم ، ومحصل أموالهم لدى الغير والموكل عنهم ، يدفع ما عليهم لمن يريدون ، والناصح الأمين الذى لا غرض له إلا فائدة عملائه ومصلحتهم — أى فائدة البلاد لأنهم أبناؤها ، وفى إسعادهم إسعادها . ولحضراتكم علينا عهد الاخلاص فى العمل ، والتخلى عن العضوية والادارة لكل كفء يتقدم ، وحسن النية فى كل عمل نأتيه

وإننا واثقون بعون الله وبتعاضد الأمة وإقبالها على هذا المشروع العظيم ، فبنجاحه تحقيق لأكبر آمالها ، وهو الاستقلال الاقتصادى

والله تعالى المسئول أن يمدنا جميعاً بروح منه ، ويوفقنا إلى ما فيه الفلاح والنجاح

الجمعة ٧ مايو سنة ١٩٢٠

قصيدة أمير الشعراء احمد شـــوقى بك

التى ألقيت لمناسبة حفلة تأسيس البنك

قِفْ بالممالكِ وانظرْ دولةَ المال ... واذكرْ رجالاً أدالوها بإجمال
وانقلْ ركابَ القوافي فى جوانبِها ... لا فى جوانب رسمِ المنزلِ البالى
ما هيكلُ الهرَم الجيزىّ من ذهبٍ ... فى العين أزين من بنيانِها الحالى
علا بها الحرصُ أركاناً وأخرجَها ... على مثالٍ من الدنيا ومِنوال
فيها الشـــقاءُ لقومٍ والنعيم لهم ... وبؤسُ ساعٍ ونُعمَى قاعدٍ سال
والمالُ ، مُذْ كان ، تمثالٌ يطافُ به ... والناسُ ، مذ خُلِقوا ، عبادُ تمثال
إذا جفا الدورَ فانعِ النازلين بها ... أو المالكَ فاندبْهـــا كأطلال
يا طالباً لمعالى الملك مجتهـداً ... خُذْها من العلم أو خُذْها من المال
بالعلمِ والمالِ يبنى الناسُ مُلكَهمُ ... لم يُبنَ ملكٌ على جهـلٍ وإقلال
كانت من التاج مصرٌ حيثُ تَلمسه ... فعضّها العُسر فاعْتاضَت بأغلال
تشكو إلى الله والمصرىِّ ما لقيَتْ ... من ساسةٍ بمكان المالِ جُهَّال
سَراةَ مصرَ : عهدنا كم ، إذا بُسطتْ ... يدُ الدعاءِ ، سِراعاً غيرَ بُخّال
تبيَّنَ الصدقُ من مَين الأمور لكم ... فامضوا إلى الماء لا تُلوُوا على الآل
لا يذهبُ الدهرُ بين الترَّهاتِ بكم ... وبين زُهرٍ من الأحلام قتّال
هاتوا الرجالَ وهاتوا المالَ واحتشدوا ... رأياً لرأىٍ ومثقـــالاً لمثقال
هـذا هو الحجرُ الدرِّىُّ بينكمُ ... فابنوا بناءَ قريشٍ بيتَها العالى
دارٌ إذا نَزَلتْ فيهـــا ودائعُكم ... أودعتمُ الحَبَّ أرضاً ذاتَ إغلال
آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ ... هل تبخلونَ على مصرٍ بآمال ؟
فابنـوا على بركاتِ الله واغتنموا ... ما هيأ اللهُ من حظٍّ وإقبـال

خطبة محمد طلعت حرب بك

فى حفلة التجار بفندق سيمراميس

لتكريم حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

وأعضاء الوفد المصرى

بتاريخ ١٣ أبريل سنة ١٩٢١

صاحب المعالى ، سادتى :

لى مزيد الشرف أن تتاح لى فرصة التعبير فى هذه الحفلة عما يخالج قلوب التجار المصريين — وهم كما تعلمون عامل كبير فى حياة البلاد الاقتصادية — من الغبطة والسرور لقدوم معالى رئيس الوفد وزملائه الأفاضل لبلادهم بعد غيبة طويلة ، جاهدوا جهاد الأبطال ، مدافعين عن القضية المصرية خير دفاع ، حتى وصلت بفضلهم ، وبفضل اتحاد الأمة ، والتشجيع الذى لاقوه منها فى كل خطوة من خطواتها ، إلى النقطة الدقيقة التى هى فيها الآن . فعليكم أيها الأبطال ، من جميع تجار مصر ، سلام الله وتحيته

سادتى رئيس وأعضاء الوفد المصرى :

جئتم ، كما قلتم ، لتقوّوا بعزائم مواطنيكم عزائمكم ، وتشدوا أزركم باتحادهم المتين . فرأيتم بأعينكم كيف قابلكم مواطنوكم بدافع من ضمائرهم النيرة ، وباعث من شعورهم الحى

إن تلك الأعصاب التى كانت تهتز حماسة يوم استقبالكم ، وتلك القلوب التى رأيتموها تخفق بالوطنية الصادقة ، لهى أعصاب وقلوب أمة بأكملها ، قامت كتلة واحدة ، تشهد العالم أجمع على أنها مجمعة على طلب واحد لا ترضى عنه بديلا ، فتسقط

تلك الحجة التى كانوا يدفعوننا بها بأن الأمة غير مجمعة على الطلب . وماذا عساهم يقولون اليوم ، وإجماع الأمة أشهر من أن يستر ، وأظهر من أن يمارى فيه

لا يكاد الانسان يصدق أن شبابنا الناهض الذى نراه الآن يلتهب حماسة وحمية ، ونساءنا اللواتى برزن من خدورهن يلقين على المجموع دروس الوطنية الصادقة والأخلاق الفاضلة ، وشيوخنا وأولادنا الذين رأيتموهم متهللى الوجوه بالبشر والسرور يهنئ بعضهم البعض ، كأن الكل فى يوم عيد — نقول لا يكاد الانسان يصدق أن هذا الشباب ، وهاته السيدات ، وهؤلاء الشيوخ والأطفال ، هم بذاتهم أولئك المصريون الذين كنتم تعهدونهم قبل مبارحتكم هذه الديار

نعم هم هم بعينهم ، وقد تغير ما بأنفسهم فغير الله ما بهم ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

وإنه لمن الخطأ أن يظن بأن الضغط يلفت مصر عن نهضتها وينسيها حب الحرية . فان هذا الضغط هو نفسه داؤها الذى تتألم منه ؛ ومن الجهل أن يداوى الداء بالداء

إن للأمم أوقاتاً من الشدة يجب أن تتعلم فيها كيف تحسن الصبر على الحوادث التى ليس فى طاقتها دفعها ولا تغييرها ، ويكون لها هذا الصبر درساً ينفعها فى مستقبلها ، ويعلمها أن تعمل بنفسها ، معتمدة فى العمل على الحكمة والعقل ، وهكذا كان ، والحمد لله

بلغكم فى غربتكم ما حل بمصر إثر ارتحالكم من ضروب العسف والشدة . وكم رأينا إبان ذلك من اضطراب فى تصريحات القوم ؛ وذلك شأن الحائر ، وغلو فى الاستخفاف بأمة كاملة ؛ وهذا شأن المضطرب ، واختلاق لبعض الوقائع وتشويه فى تصوير الأحوال ، وهذا ليس شأن القوى الواثق بالمستقبل — فلم يفت المصريين ذلك ، بل كان داعية اتحاد عنصريهم ، وثباتهم ، وتماسكهم معتصمين بحبل الله

الموجودون هنا أيها السادة تجار ، رجال عمل ، فلما تتغلب عليهم العواطف فى

أعمالهم ، وهم لا ينظرون إلى جميع ما يعرض عليهم إلا من ناحية المصلحة . فهم إذا كانوا يطلبون الاستقلال التام ؛ فليس ذلك لزخرف يبتغونه ، أو لعار يمحونه ، وإنما لخير يرجونه . فلئن توقف رقينا الاجتماعى على تحسين أخلاق الأفراد ، وتوثيق روابط العائلات ؛ فذلك لن يكون إلا بعد أن نأخذ أمرنا بيدنا — ومن أجل هذا نطلب الاستقلال

ولئن توقف رقينا الاقتصادى على التربية الزراعيـــة والصناعية والتجارية وإنماء الكفاءات العملية ؛ فلن يكون ذلك تاماً إلا بعد أن نأخذ أمرنا بيدنا — ومن أجل ذلك نطلب الاستقلال

ولئن كنا غير أكفاء لحكومة بلادنا ، فان المهيمنين على أمورنا وشئوننا أظهروا بتصرفاتهم أنهم أقل كفاءة منا بكثير ، لأنهم لم ينجحوا فى أن يذهبوا عنا تهمة عدم الكفاءة ، التى هم أول رماتنا بها . أمامكم أمم العالم ، فهل رأيتم أمة من بينها تترك للمصادفة حبلها على غاربها فى شؤونها الاقتصادية ، لا رأى لها فى الذب عن مصالحها وتترك طعمة للآكلين ، ومضغة لكل ماضغ . أين الغرف التجارية التى أسسوها أو ساعدوها ؟ أين النقابات الزراعية والصناعية التى نظموها ؟ أين البنوك والشركات المصرية التى عملوا على إيجادها ؟ أين التشريع الذى يقى المصريين ويحمى مصنوعاتهم ومحاصيلهم ؟ تركوا المصريين عزلا من كل سلاح ، بين منافسين ومزاحمين مدججين بأحسن طراز من الأسلحة الحديثة — وبعد ذلك يعيّروننا بأننا لا نصلح لشىء لأننا لم نعمل شيئاً ، وهم هم الذين لم يؤهلونا للعمل ، بل أفسدت السياسة ما كان صالحاً لدينا . لم يشجعوا شيئاً من الصناعة الوطنية ، بل لعلهم وقفوا فى طريقها وقفة المدافع عن مصنوعات الخارج

تباً للسياسة ! ما تدخلت فى شىء إلا أفسدته

فللسياسة أفسدوا التعليم ، وجعلوا غايته تخريج آلات مطيعة صالحة لتسيير ماكينة الحكومة ، على الطريقة التى رسمتها السياسة . وأى شىء أسوأ من اعتراف الحكومة

بأن ليس لديها معلمون مصريون لأى نوع من العلوم . وللسياسة ضحوا مرافق البلاد الحيوية : فالتجارة المصرية ، كما تعلمون ، تحت رحمة الأجانب فى كل شىء . وأسواق المحاصيل المصرية ، هى كذلك ، تحت رحمة الأجانب فى كل شىء . والبنوك الموجودة كلها أجنبية تستثمر تقريباً كل ودائع المصريين وأموالهم فى بلادها الأجنبية ، وتنفذ فى المصريين أوامر تلك البلاد الأجنبية ، وهى فى الغالب ضد مصلحة بلادنا . وليس للتاجر رأى أو كلمة فى المعاهدات التجارية والتعريفات الجمركية التى تعقدها حكومته

وللسياسة أضاعوا احتياطى البلاد ، وبذروا أموال ميزانيتها فى وجوه ليس الكثير منها من الضروريات ولا من الكماليات فى شىء . لكل هذا طلبنا ونطلب الاستقلال ، لنصبح أحراراً فى بلادنا ، نحيك ثيابنا على قدر جسومنا ، ونضع الأنماط المناسبة لنا ولبلادنا وأخلاقنا وعاداتنا . فصاحب الدار أدرى بما فيها . ناظرين للمستقبل بعين ملؤها البصر بالعواقب ، وقلب ملىء بالرجاء ، ونرتكن فى ذلك على عملنا ، فانه من غير الممكن أن تذهب مجهودات أمة أدراج الرياح

لهذا فكر بعضنا أثناء جهادكم للقضية العامة فى وضع الحجر الأساسى لاستقلال البلاد الاقتصادى ، فأسسوا بنك مصر نواة ذلك الاستقلال ، وأول مدرسة عملية يتأهل فيها شبابنا الحى للدخول فى ميدان الحياة العملية التى كان مبعداً عنها ، وتتشرف باهدائكم أول تقرير عن أعمال أول مدة اشتغل فيها هذا البنك

كما أسس التجار الغرفة التجارية لمدينة القاهرة ، ومثلها لمدينة طنطا ، وثالثة لمدينة المنصورة ، وتأسست أخيراً النقابة العامة للدفاع عن مصالح المزارعين . وسيتلو ذلك ، إن شاء الله تعالى ، كثير من المشروعات النافعة للبلاد ، تبنى على أسس ثابتة ، ويقوم بها رجال ذوو همم عالية ، ونفوس كبيرة ، والفرصة تخلق الرجال كما تخلق الوظيفة العضو على قول الفرنسيين

ولا عجب فانه من التغرير بالنفس أن تظن السياسة أن المصريين قد عموا حتى لايروا ما يقع تحت أبصارهم ، فان القوة إذا كان فى استطاعتها أن تقصف أقلام الناقدين ، وتسد أفواه الشاكين ، فليس فى قدرتها أن تكسب قلوب المظلومين . وكل سياسة خطها الانجليز فى مصر فشلت ، لأن قاعدتها لم تكن الاتفاق مع الأمة المصرية ، والعمل على كسب ثقتها

إن هذه السياسة هى التى جعلت المصريين يشفقون على مصالحهم الحاضرة من البوار ، وعلى مستقبل أبنائهم من المذلة ، ونكد العيش ، وليس لديهم علاج نافع لاتقاء الأضرار الحاضرة ، والتذرع لصيانة المستقبل ، إلا الاستقلال التام

فالاستقلال التام أمنية كل مصرى . فعليكم يارجال الوفد ، ويارجال الحكومة التى أولتها الأمة ثقتها ، وعلى كل واحد منا ، أى من الأمة كلها ، بالاتحاد والتضافر لأن مصلحة البلاد تقضى بذلك

أنتم يارجال الوفد ، كما قلتم بحق ، رمز أمانى الأمة ، وعنوان مبادئها . فكل ما وجهته أو توجهه اليكم الأمة إنما هو موجه فى الحقيقة لهذا الرمز وهذا العنوان . وهى تولى ثقتها وإكرامها لكل من يخدمها باخلاص وصدق ، ولكل من يجيئها بالاستقلال التام الذى تنشده . فأنتم حيث تعملون تنزلون على إرادة الأمة ، وإرادة الأمة هى أن يتضافر جميع أبنائها ، ويكونوا يداً واحدة ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً

التجار يعرفون قيمة تحيّن الفرص ، وهم يتوسلون إليكم ، باسم الوطن الذى تخدمون قضيته ، ألا تدعوا فرصة سانحة تفلت من أيديكم ، أو تفوتكم . وقاكم الله شر ذلك ، وألهم الرجال العاملين خدمة هذا الوطن ، بتوحيد كلمتهم ، وجمع قوتهم ، وتماسك أيديهم حتى يصلوا إلى الغرض — وحينذاك طوبى وألف طوبى لمن يأتى به . وأختتم متمثلا بقول شاعرنا شوقى :

صح بالصباح وبشر الأبناء بالمستقبل
واسأل لمصر عناية تأتى وتهبط من عل
قل ربنا افتح رحمة والخير منك فأرسل
أدرك كنانتك الكر يمة ربنا وتقبل

خطبة طلعت بك حرب

فى وليمة بنك مصر لتكريم قناصل الدولة المصرية

أولم بنك مصر فى الساعة الثامنة من مساء يوم الاثنين ٣ مارس سنة ١٩٢٤ فى فندق سيمراميس بالقاهرة وليمة لحضرات قناصل الدولة المصرية لمناسبة تعيينهم لأول مرة فى تاريخها الحديث . وبعد تناول الطعام وقف حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك وخطب الخطبة الآتية : —

صاحب المعالى ، أصحاب السعادة

سادتى :

أشكركم جميل الشكر على ما تفضلتم به من قبول دعوتنا ، وما بعثتم فى نفوسنا من سرور زائد ، بتشريفكم هذا الاجتماع ، تكريماً لرجال القنصليات المصرية ، لمناسبة قرب سفرهم لأول مرة إلى البلاد الأجنبية

وأى سرور لنا أعظم من أن نرى ممثلى مصر التمثيل القنصلى مجتمعين معنا فى زمان واحد ومكان واحد

أليست هذه فرصة قل أن تتهيأ لأى دولة أخرى من الدول العريقة فى التمثيل الخارجى ؟ إن هذه الدول قد استمتعت بتمثيلها الخارجى قديماً ، فبعثت بممثليها السياسيين والقنصليين واحداً بعد آخر ، فأصبح من المتعذر أن يجتمعوا فى صعيد واحد ؛ لأنهم موزعون فى جهات الأرض ، يؤدون واجباتهم ، ويعملون على إعلاء الوطن

أما فى مصر فقد تهيأت لنا فرصة نادرة فى بابها ، سمحت لنا أن نراكم ، وقد أوليتم ثقة جلالة الملك وحكومته السنية ، متهيئين من نقطة بداية واحدة ، هى نقطة

الارتكاز على الوطن ، للرحيل منها إلى نقط مختلفة فى البلاد ، للعمل بمقتضى هذه الثقة فى خدمة الوطن

وإذا كنا نأسف لأن حوادث التاريخ قد حرمتنا حق التمثيل الخارجى فى مدى عدة قرون ، فانا نفرح لأن العصر الحاضر قد اتصل بالعصر الغابر فى استعادة هذا الحق الذى لم يضع بالتقادم ، ونفرح اليوم بالذات لأننا نرى فيكم ، وفيمن سبقوكم ، منذ أسابيع ، من رجال التمثيل السياسى ، حلقة الاتصال بين هذا الحاضر وذاك الغابر . ونرجو أن تكون حلقة متينة ، تشد الحلقات السابقة شداً جديراً بماضينا المجيد ، وتربط الحلقات اللاحقة ربطاً جديراً بآمالنا فى الحياة . فأنتم تتممون عملاً سابقاً من أعمال الأجداد ، وتبنون بناءًا جديداً للأحفاد

أنتم تتممون بناء الأجداد ، وكم عمل هؤلاء الأجداد قديماً منذ عهد توت عنخ آمون ، إلى عهد الدولة الفاطمية !

كان لهم فى غضون المدنيتين العظيمتين ، اللتين ورثناهما عنهم فى دمائنا — مدنية الفراعنة القديمة ، ومدنية العرب المجيدة ، جهود لم تقف عند تشييد القصور والقبور ، والمنائر والآثار ، بل اتجهت إلى كل معنى من معانى الحياة . فكانوا يعملون فى المعنويات والماديات ، وكانوا يبحثون فى الروح والدين وما بعد الممات ، وكانوا يجدون فى حرث الأرض واستخراج كنوزها ، وينشئون الصناعات ويتقنون أساليبها ، وينشرون مدنيتهم على متون التجارة وأجنحتها : فأخرجت الأرض ما أخرجت ، وأبدعت الصناعة ما أبدعت ، واتسعت التجارة ما اتسعت ، حتى لقد عرف التاريخ القديم من كثرة السكان حول ضفتى النيل ما لا يعرفه تاريخ عصرى أو حديث ، وما هذا إلا لزيادة الرفاهية فى استثمار الخيرات بجهود أجدادنا الأقدمين

وكان منهم قديماً السياح ، يجوبون الأقطار ، ويعرفون ما وراءها ، ويربطونها

بمصر ؛ وكان منهم السفراء ، يوفدون إلى الدول المتجاورة ، فيرتبون العلاقات ، ويرعون تنفيذها ، ويعقدون المحالفات ، حتى لقد قرأنا أن أقدم معاهدة عرفها التاريخ هى معاهدة رمسيس الثانى مع سوريا ، وأن هذه المعاهدة التى عثر على نصها فى معبد الكرنك قد فاوض فيها وحملها سفير مصرى من سلفائكم الأقدمين. وكان مبعوثو مصر فى الخارج يعملون لخدمة الوطن ، فى السياسة والعلم والتجارة ، فكانوا يذيعون مدنية أمتهم وينشرون منتجات بلادهم ، ويتحرون أساليب التجارة والصناعة والزراعة عند سواهم ، ليعرضوها على بلادهم

والآن ماذا نرى ؟ نرى حركة الاتصال بالخارج قد انقطعت بنا عدة قرون . فكان انقطاعها ، مضافاً إلى أسباب أخرى ، داعياً إلى جعل الترقى فى أساليب الانتاج ضعيفاً . فأصبحت الزراعة كما ترون تنتج ويتضاءل إنتاجها عاما بعد عام . والصناعة المحلية تعيش بين اليأس والرجاء ، وأصبحت التجارة كالريشة فى مهب الرياح . لا تدرى كيف تسير ، ولا كيف تسترشد فى تصريف البضائع والمنتجات . وأصبح ميزان التبادل التجارى سائراً حسب هوى الغير . أو هوى المصادفة ، لا تبعاً لارادتنا القومية المبنية على تقدير مصلحتنا القومية . وأصبح السكان يزيدون ، ونسبة الثروة الأهلية تنقص عاماً بعد عام . . .

إننا نعلم أن إنماء ثروة البلاد وتحقيق استقلالها الاقتصادى على أساس برنامج قومى واسع الأطراف ، إنما تقوم به الطبقات العاملة فى البلاد ، تعاونها حكومة دستورية رشيدة . ونعلم أيضاً أن العمل على تحقيق هذا الاستقلال واجب مفروض على كل مصرى . وهذا الواجب أساسه ـ فى الحياة الفردية والحياة العامة ـ التوسيع فى الايراد والتوفير من النفقات ، حتى يفيض من الايراد ما تتكون به ثروة فردية أو ثروة عمومية . لهذا نحن لا نطلب إلى حضرات القناصل أن يقوموا بما هو مفروض على بقية الأفراد والجماعات العاملة من الأمة المصرية . ولكننا نطلب إليهم أن يعملوا كما كان يعمل أسلافهم

من الأجداد الغابرين . نطلب إليهم أن يزدادوا معرفة بأحوال بلادنا الاقتصادية ، بحيث لا يكون ابتعادهم عن مصر سبباً فى عدم تعرف شؤونها الاقتصادية . ثم نطلب إليهم أن يدرس كل منهم فى جهته أحوالها الاقتصادية من جميع الوجوه ، وأن يتفهم ما تنتج وما يصلح من إنتاجها لبلادنا ، وما تحتاج إليه من منتجاتنا ، ويرشد عن طرق الانتفاع من التبادل التجارى بين البلدين ، وأن يتفهم طرائق كل قوم يعيش بين ظهرانيهم فى الانتاج والتوزيع . ويرشدنا عن الجديد من هذه الأساليب إرشاداً يصح أن يكون محل التجربة للانتفاع به فى بلادنا أو يبقى قائماً فى ذاته . فان من الأساليب مالا ترى فى تطبيقه اليوم نفعاً وقد ترى فى الغد فائدة فى اقتباسه

بهذا العمل الذى يجمع بين تفهم الحالة الاقتصادية فى مصر والارشاد عنها فى الخارج ، وتفهم الحالة الاقتصادية فى الخارج ، وإرشاد مصر عنها ، وتسهيل الانتقال والاتصال بين مصر والخارج — بهذا العمل تقومون أيها السادة القناصل ، فوق ما هو مفروض عليكم ، بصفتكم مصريين ، بواجب الوظيفة الجليلة . فتعملون على مثال الأجداد فى توفير أسباب السعادة والرفاهية للبلاد ، ويكون لكم شرف الاشتراك فى بناء الاستقلال الاقتصادى — إن لم يكن لجيلنا الحاضر ولأولادنا ، فللأحفاد

وفى الختام نستودعكم الله أيها السادة القناصل ، ونحييكم باسم بنك مصر الذى تشرفتُ بالنيابة عنه فى الاعراب عن سرورنا بالثقة التى نالتكم ، وبعودة التمثيل القنصلى إلى مصر على أيديكم . نحييكم باسم هذا البنك الذى أسس ليكون دعامة من دعائم الاستقلال الاقتصادى . نحييكم وأنتم أول طليعة من طلائع البلاد الرسمية لانارة الطريق لها فى سبيل حياتها الاقتصادية . نحييكم ونرجو الله أن يوفقكم إلى تمثيل مصر خير تمثيل ، ونرجوه أن يجعل عهد جلالة الملك فؤاد الأول ، حفظه الله ، وعهد حكومته الدستورية مقروناً على الدوام بالاسعاد والخير للبلاد

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة توزيع الجوائز السنوية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

سنة ١٩٢٤

التربية الاستقلالية

وما لها فى الجامعة الأمريكية

وفى بنك مصر

سادتى :

إنى سعيد جداً للفرصة التى سنحت لى أن أرى نفسى بين ظهرانيكم ، وأن اشترك وإياكم فى الاحتفال بتوزيع الدبلومات على الطلبة المنتهين

وكم كنت أود أن أكتفى بالحضور ، وأن أشترك معكم بقلبى فى السرور ، دون أن أعرب علناً عن فرحى وعما تكنه نفسى من الخواطر حيال الجامعة الأمريكية الجديدة فى مصر ، وحيال طريقتها فى التربية والتعليم . ولكن الدكتور تشارلس وطسون رئيس هذه الجامعة والدكتور روبرت مكلانهن مديرها ، أبيا إلا أن أخطب ، فوعدت بالحضور ، واعتذرت عن الخطابة ، ووعدت بأن أتكلم

وفرق بين كلام يسوقه المتكلم حديثاً كما يتحادث الصديقان ، وبين خطابة تفى بقواعد الفن ، وحسن الالقاء ، وجمال الفكرة ، ورائع البيان

وعدت بأن أتكلم لأنى أريد أن أحادثكم حديث الصديق للصديق ، يفيض بما فى قلبه من غير تفنن ولا تزويق . أريد أن أحادثكم عن هذه الجامعة ، وأن أتقدم إليكم برأى فيها كمصرى من المصريين

إن من الظلم ، أيها السادة ، أن تتصور أمة الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة شعوب مختلفة ، ركب بعضها فوق بعض تركيباً صناعياً ، لتكوين وحدة قائمة على ارتباط المصالح المادية — أكثر مما هى قائمة على اتفاق أهاليها ، واتحادهم حول ميول أدبية مشتركة ، ومقاصد قومية عالية ، وهدف إنسانى أسمى . فهى أمة وإن تكونت عناصرها الأولى من المهاجرين الذين ضاقت بهم الحرية الدينية فى الغرب ، أو الذين توجهت همتهم إلى إحياء هذا العالم الجديد من عوالم الأرض ، إلا أن هذه العناصر لم تلبث حتى توحدت لغتها وعاداتها وميولها وعشقها الحرية ، فهبت فى أواخر القرن الثامن عشر للدفاع عن استقلال بلادها حتى نالته تاماً غير منقوص ، بجهود رجالها تحت قيادة واشنطون ، ومهارة مفاوضيها فى تتويج فوزهم الحربى بفوز سياسى . ومنذ انتزعوا استقلالهم انتزاعاً ظهروا إذ ذاك أمة واحدة : قليلة العدد ، كثيرة ينابيع الثروة . فكان طبيعياً أن تنصرف الجهود إلى استغلال الثروة من ينابيعها ، وكان طبيعياً أن يبدو نمو الثروة المتزايدة فى الولايات المتحدة أكثر مما يبدو فى أى جهة أخرى ، حتى بلغت هذه الثروة مبلغاً يكفى حاجات سكانها ، ويكاد يغنى عن استيراد ما تحتاج إليه البلاد الأخرى عادة من مواد مصنوعة أو غير مصنوعة . بل فاضت مصنوعات الولايات المتحدة وحاصلاتها الزراعية عن حاجاتها الداخلية ، فصارت تقتحم الأسواق الخارجية ، وتفتح أبوابها بقوة المزاحمة ، وقوة المال ، وقوة الابتكار ؛ وامتلأت خزائنها بالذهب ، حتى تساءل ماليوها عما يصنعون بهذا الذهب المتكدس . ونوه رئيسها المستر كوليدج بهذا الذهب ، لا ليفخر به ، بل ليدعو إلى تخصيص شىء منه فى حل المشاكل الأوربية الكبرى

أمام هذه القوة المادية المتزايدة ، على الطريقة الأمريكية ، طريقة العمل النظامى المنتج بسكون دون التفات إلى ما يقول الغير — أمام هذه القوة تولدت فى الخارج ، ولا سيما فى البلاد الأوربية ، فكرة شائعة ، غير حقة وغير صحيحة ، بأنها أمة مال ورجال أعمال ،

لا أمة علم ورجال أفكار . وهى دعوى باطلة ، كثيراً ما يكون منشؤها الدهشة من تزايد الثروة فى الولايات المتحدة ، أو الغيرة والحسد من سرعة تزايدها وتباطؤ نموها فى بلاد أخرى

والحقيقة التى يعرفها الواقفون على تاريخ الولايات المتحدة وعلى مختلف أنظمتها الأدبية والاجتماعية ، هى أن الأمة الأمريكية لا تقل فى عظمتها الفكرية والعلمية عن عظمتها فى الثروة وجلائل الأعمال . فان لها فى تاريخ العلم أثراً مشهوداً ، وفى تقدم الفكرة البشرية جهاداً محموداً . ولا عجب فانك لا تجد ولاية من الولايات لا تعنى بالعلم ولا تشجع عليه : سيان فى ذلك العلوم الوضعية من رياضة وطبيعة وكيمياء على اختلاف أنواعها ، أو العلوم الأدبية من فلسفة وتاريخ واجتماع وتشريع ، أو الفنون العملية من طب وتعدين وصناعة وكهرباء . ولو لم تعن الولايات المتحدة بالعلم هذه العناية فى جامعاتها المتعددة لما كان لديها هؤلاء المعماريون الذين شيدوا من العمارات طبقات فوق طبقات تعد بالعشرات مما لا مثيل له فى بلاد أخرى من بلاد العالم ؛ ولما ذللوا الأبعاد المتشاسعة فربطوا أطرافها بخطوط من السكك الحديدية جديرة أن تتخذ مثلا فى صناعتها وفن تنظيمها وتشييدها وإدارتها ؛ ولما شقوا الأرض فاستخرجوا أثقالها ، وحملوا خيراتها من ذهب ، وفولاذ ، وحديد ، وسيروا سوائلها فى أنابيب تصب فى بواخر تمخر البحار ؛ ولما كان منهم العلماء فى كل فن : من إديسون فى العلوم الوضعية ، ووليام جمس فى العلوم الفلسفية ؛ ولما كان منهم عقول قادرة على الابتكار والتنظيم ، كما رأينا من رجالهم ، فى زمن الحرب وبعد الحرب ، وكما رأينا أخيراً من الجنرال داوس الذى أوعز بحل أعوص مسألة دولية حلا رضى به الجميع ، بعد أن عجز عن ذلك كبار الماليين والاقتصاديين

من الخطأ الفاضح إذن أن تتصور أمة الولايات المتحدة أمة عمل ومال دون أن

تكون أمة علم وآمال . إنها أمة جمعت بين مظهر القوتين : القوة المادية والقوة الفكرية وهذه الأمة لم تصل إلى ما وصلت إليه من عظمة الثروة ، وجلال الفكرة ، إلا بفضل نظام التعليم والتربية فيها

فالأمريكيون لا يعلمون أبناءهم ليملأوا أدمغتهم بالعلم ، ويخرجوهم من المدارس والجامعات أدوات أعمال ، كما يخرجون الأجزاء المتشابهة للآلة الواحدة من مصانع الفولاذ والحديد . كلا ، إنما يعلمونهم ليفتقوا أذهانهم ، وليتخذوا التعليم ومعاهد التعليم فرصة لتربية الأخلاق ، وتعويد المتعلمين على النظام وعلى ضبط النفس بالنفس من غير خشية العقاب ، وعلى الابتكار والاستقلال الشخصى ، مع احترام حرية الآخرين ، وبالجملة على إخراج رجال قادرين أن يقودوا أنفسهم ، ويقودوا غيرهم ، ويعملوا لأنفسهم ، ويعملوا للخير العام

الأمة الأمريكية إذن هى أمة آمال . وهى أمة قامت قوميتها على قوة أفرادها ، وقوة أفرادها على طريقة التربية فى معاهدها المدرسية والجامعية

ولأن هذه الأمة أمة آمال فقد رأى الكثير من رجالها ألا تكون متاجرهم ومصانعهم وحاصلاتهم هى وحدها التى تطوف أنحاء العالم فيرى الناس فيها رمز الثروة ونماذجها ، وشعروا بوجوب السعى فى الخارج لتحقيق مقصدهم الأسمى فى أن تسود أسباب رقيهم لدى غيرهم . ورأوا أن خير وسيلة لذلك أن ينشطوا إلى مبادلة الأساتذة بين جامعات أمريكا وجامعات الغرب ، وأن ينشروا مدارسهم حيث توجد الحاجة إليها فى الشرق

* * *

ولقد كان للأمريكان بالفعل أثر محمود فى نشر لواء التربية والتعليم فى الشرق ، فان لهم فى سوريا جامعة أخرجت طائفة من الشرقيين طفقوا يذيعون العلم فى

مشارق البلاد ومغاربها ، ويطببون المرضى ، ويخففون أوجاعهم وأسقامهم ، ويتولون الصحف والادارات والشركات فيحسنون إدارتها ، ويهاجرون إلى حيث يهاجرون بين مصر والخرطوم وبغداد وكلكتا وكل ثغر من الثغور الأمريكية . وللأمريكان فى الاستانة — روبرت كوليج — مثل آخر من أمثلة المعاهد الدراسية الأمريكية التى أفادت فى تربية البنين والبنات على قاعدة التربية الاستقلالية الأمريكية أكبر فائدة

ثم هاهم أولاء منذ أربع سنوات قد شرعوا يقيمون لنا فى مصر أثراً أدبياً من آثار مدنيتهم الراقية ، ويقدمون نموذجا أخلاقياً بجوار نماذجهم التجارية ، ورمزاً سامياً لمقصدهم الأسنى فى حب التعاون والتقارب بين الشعوب

هاهم أولاء قد أسسوا لنا فى مصر هذه «الجامعة الأمريكية» التى أحييها تحية المرحب بها ، المتوقع لها النجاح فى جميل سعيها ، والخير للبلاد من نجاحها

ها هم أولاء قد قامت منهم جماعة فى واشنطون عاصمة الولايات المتحدة فتبرعوا بالمال اللازم لشراء هذا القصر الفخم يحيط به الفضاء الواسع من جميع جوانبه

ها هم أولاء قد قاموا فشَرَوْا هذا البناء لجامعة من جامعاتهم فى الخارج ، بعد أن عجز المصريون ، بكل أسف ، عن شراء هذا البناء نفسه لجامعتهم المصرية

ثم ها هم أولاء قد أمدوه بأعظم المعدات ونظموه أحسن تنظيم ، وولوا أمره أساتذة من خيرة أساتذة الأمريكان والمصريين

وتختلف الجامعة الأمريكية عن المدارس الأمريكية السابق إنشاؤها فى القطر المصرى من جهة أساسية ، وهى أن المدارس القديمة أنشأها المبشرون فقامت على فكرة دينية ، ولدعوة دينية خاصة . أما الجامعة الحاضرة فانه يلوح لنا أنها بعيدة عن أية دعاية من هذا القبيل ، كما يدل على ذلك توزيع موادها الدراسية ، وعدم تخصيص وقت منها للتعليم الدينى

ونرجو أن تسير الجامعة على هذا المبدأ المحمود ، فتبتعد عن كل اتجاه ديني خاص ، ولا سيما أن التعويد على الأخلاق الفاضلة أمر تحضّ عليه جميع الأديان

والجامعة الأمريكية ، على حالتها الحاضرة ، ليست جامعة بالمعنى المعروف فى البلاد الأوربية . فهى ليست حتى الآن معهداً يجمع عدة كليات لمختلف العلوم العالية ؛ إنما هى فى الواقع معهد علمى يتلقى الشبان بعد دراستهم الابتدائية ، ويحضرهم لدراسة العلوم الثانوية مدى أربع سنين ، تحضيراً منطبقاً على برنامج الحكومة الثانوى ، بحيث ينتهى شبانه إلى الحصول على الشهادة الثانوية بقسميها الأدبى والعلمى . ويحضر فريقا آخر منهم تحضيراً إعدادياً خاصاً مدة أربع سنين أيضا بحيث ينتهى شبانه إلى الحصول على دبلوم من الجامعة ، تؤهلهم لأن يكونوا قادرين ، بمعلوماتهم التى اكتسبوها ، على أن يزاولوا أعمال الحياة ، أو أن يستمروا فى دراستهم العالية بجامعة بيروت أو إحدى الجامعات الأمريكية ، فضلا عن استمرار المفاوضة مع الجامعات الأوربية لجعل دبلوم القسم الاعدادى مسوّغا للطالب حق الانتساب إلى قسم من الأقسام العالية فى هذه الجامعات

وإذا نظرنا إلى كلية الآداب والعلوم ، على حالة دراستها الثانوية الحاضرة ، وجدنا أنها خطوة عظيمة فى إصلاح التعليم بمصر ، لأن التعليم لدينا قد سار زمناً طويلا على قاعدة إعداد رجال موظفين خاضعين للرؤساء البريطانيين ، لا على قاعدة تخريج رجال قادرين على أن يتحملوا مسئولية الأعمال ، ويزاولوها بقدم راسخة ، وعزيمة صادقة . فنشأ عن ذلك أن جاءت برامج التعليم صماء جافة ، تتجه إلى العقل دون أن يكون لها منفذ إلى القلب أو إلى إثارة الهمة فى النفوس وتحريكها إلى الأخلاق التى هى عماد الرجل فى حياته ، وركن الأمة فى حياتها . وبهذا كان النقص ظاهراً فى دور تعليمنا الثانوى والعالى على السواء ، وكان الرجال النابهون الذين خرجوا من هذه الدور نوابغ

تفخر بهم البلاد إنما خرجوا منها كذلك لاستعداد خارق فى ذكائهم جعلهم يقاومون الفاسد من طرائق التعليم ، ولظروف سمحت لأغلبهم باتمام كفاءتهم العقلية والخلقية بالدراسة الخصوصية ، أو التعلم فى الجامعات الأجنبية

أما الجامعة الأمريكية فتعمل لا على تخريج موظفين فقط ، إذ قال رجالها صراحة فى برنامج كلية الآداب والعلوم إنهم يعنون عناية خاصة بالأخلاق ، وأنه « قد حان لمصر فى نهضتها الحديثة أن تستدل حجاباً كثيفاً على زمن طويل قضاه العلم محدود الدائرة لا يشفى غليلاً ، وأن ترفع الستار عن فترة أخرى جديدة يرتقى فيها العلم بين جمهور المصريين عامة ، وقادتهم على الأخص ، إلى مستوى من السمو والرفعة بحيث يدنى مآرب مصر والمصريين »

وهذا يصلون إليه بطريقة التربية الأخلاقية التى تبث فى الطالب روح الابتكار ، وتعوده على الاستقلال ، وتحبب إليه القيام بالواجب للواجب ، لا خشية العقاب ، وتروضه على مبدأ التعاون بين التلاميذ والأساتذة ، حتى يشعروا بأنهم أفراد عائلة واحدة . وكل هذا فى وسط طلق الهواء ، تغذى فيه العقول بالعلوم ، والأجسام بالألعاب الرياضية ، والأخلاق بالفضيلة الشخصية والفضيلة الاجتماعية — وسط لا ظلام فيه ، فتنشأ النفوس صريحة ؛ ولا قيود من التعسف تحوطه ، فتربى النفوس على الحرية الصحيحة

إنكم ، أيها السادة الأمريكيون ، بانشاء معهدكم هذا ، قد قلدتمونا نحن المصريين جميلا نقرّ لكم به ، ونذكره بالحسنى والثناء الجزيل . إنكم قدمتم لنا مثلاً من مدنيتكم الراقية نرى فيه رمز قوتكم الأدبية التى نتعشقها ، وحريتكم التى نصبو إليها أكثر مما نرى رمز هذه القوة فى اتساع ثروتكم وتضخم خزائنكم بالذهب

لقد اعتاد بعض الغربيين من بلاد أوربا أن يصفوا الشرق بأنه لا تبهره إلا القوة المادية : قوة الجيوش والأساطيل ، أو قوة القراطيس والذهب الرنان . ولو أنصفوا

لعلموا أن فى مصر وفى الشرق روحاً تحنّ إلى العدل والانصاف . ولو أنصفوا لرأوا كيف يعترف لسان حال مصرى بالجميل ، أمام مظهر القوة الأدبية الممثلة فى تأسيس هذه الجامعة . وهكذا كلما وجدت بين الشرق والغرب روابط المودة والتقارب ، المجردة عن الغايات ، زاد السلم انتشاراً فى ربوع العالم ، والتقى الشرق والغرب عند أفق واحد من الحرية والاخاء الانسانى

أنتم ، أيها السادة الأمريكيون ، تعملون بهذا الروح ، فمرحباً بعملكم ، ومرحباً بجهودكم ، وشكراً لكم ألف مرة على ما تصنعون . إنكم لا تبلغون بقوة أساطيلكم وقوة جيوشكم ، وقوة ذهبكم ، وقوة تجارتكم من نفوس الشعب المصرى ، وحسن تقديره ، بقدر ما تبلغونه بالعمل الأدبى الجليل ، عمل التعاون مع المصريين على تهذيب الشبيبة المصرية الناشئة على خير المبادىء

أتريدون أن أصارحكم بما هو فى نفسى أكثر من هذا ؟ إن مصر يوم تتمتع باستقلالها تمتعاً صحيحاً ، ويوم ترسم لها أنظمة جديدة للتعليم ، ويوم تضع لها سياسة جديدة للمعاهد الدراسية — جدير بها أن تستوحى من معهدكم شيئاً كثيراً من طرائق التربية والتعليم ، وأن تتخذ من كليتكم مثالاً صالحاً يحتذى به فى إصلاح التعليم الثانوى وأن تكون — وثقوا أنها ستكون كذلك بلا شك — أحرص على حرية التعليم فى البلاد مما هى عليه الآن ، وأبعد عن الاحتكار ، أقرب إلى الحرية الأمريكية فى معاهد التعليم منها إلى الاحتكار الممقوت فى التعليم بأى حجة من الحجج . فسيروا فى عملكم مطمئنين إلى المستقبل ، وثقوا أن صداقتكم والمصريين ، وتعاضدكم وإياهم فى العمل المشترك لصالح القطرين الصديقين — أفضل من أى حماية يراد فرضها على مصالحكم والمصالح الأجنبية فى مصر

سادتى

أرانى قد أطلت عليكم الحديث ، وأخشى أن يكون الشبان الذين قد أتموا دراسة القسم الاعدادى ، والذين تسلم إليهم دبلوماتهم فى هذا اليوم ، أخشى أن يتسرب إليهم الظن بأنى نسيت أن اليوم يومهم ، وأنى سأختم حديثى دون حديثهم

كلا !

إنكم ، أيها الأبناء ، قد انتهيتم بسلام من مرحلة من مراحل تعلمكم ، وهى المرحلة الثانوية ، وحصلتم على الدبلوم الاعدادية للدراسة العالية فى الجامعات الأمريكية ، فهنيئاً لكم بما حصلتم

إنكم قد لبثتم فى هذه المدرسة أربع سنين ، ولم تنالوا الدبلوم إلا بعد شروط حددتها الجامعة فى برنامجها بقولها « ليست الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن يمنح دبلوم الكلية مقصورة على نيل درجات حسنة فى مواد الدروس أو جواز الامتحانات المدرسية ، بل هناك صفات أخرى تريد الادارة أن تأنسها فى حملة دبلومها ، كالاستقامة ، وسلامة الخلق ، وحب خدمة الغير ، والمقدرة على إشغال المراكز السامية فى الحياة الاجتماعية ، مع صحة البدن والكفاءة العلمية — ويجرى العمل تدريجياً فى قياس هذه الصفات عاماً إثر عام »

وإنى لا أشك ، لما أعرفه من فضل أساتذتكم ، أنكم قد ربيتم على هذه الأخلاق الحميدة مدة دراستكم فى هذه الكلية . ولا شك أنها ستكون نبراساً لكم فى الحياة المستقبلة ، لا تحيدون عنها قيد شعرة ، سواء منكم من أراد الاستمرار لتحصيل العلوم ، أو من أراد منكم الاكتفاء بما حصل ، وولوج الحياة العلمية منذ الآن

وإذا كانت لدى وصية أوصيكم بها ، فانى أوصيكم بأن تأخذوا من الصور التى ارتسمت فى أذهانكم ، من أعمال أساتذتكم ، وأخلاقهم الفاضلة ، مثالاً تحتذونه .

أوصيكم بأن تفهموا الحرية على صحتها كما عاموها لكم ، وأن تجعلوا اعتمادكم على النفس بعد اعتمادكم على الله ، قائد جهودكم فى الحياة ، وألا تنسوا فضل هذا المعهد وفضل أساتذتكم عليكم . وأن مصر هى وطنكم الأصلى ، أو وطنكم الذى ربيتم فيه ، وأن الولايات المتحدة ، وإن لم تروها ، وطنكم الثانى الذى أخذتم عن رجاله نعمة التعليم والتربية الحقة . وإن واجبكم أن تكونوا دائماً فى الحياة أداة صلة لدوام حسن التفاهم وتبادل المنافع ، على قدم المساواة ، والصداقة بين القطرين

بقى علىَّ أن أحادثكم بكلمة أخيرة عن « بنك مصر » ، لا لأنى أريد أن أحادثكم عن عمل يومى لى به اتصال خاص ، بل لأنى أجد فى الفكرة التى قامت عليه ، تشابها كثيراً مع المبادىء التى تأسست من أجلها جامعتكم . ومن غريب الصدف أنهما ولدا فى عام واحد ، أى فى سنة ١٩٢٠ . فهما من هذا الوجه متشابهان فى اتحاد العمر ، وقلوبنا متشابهة فى حبهما ، وإرادة التمسك بهما ، والدعاء لهما بزيادة التوفيق وطول البقاء

أحادثكم إذن عن بنك مصر لما بين فكرته وفكرة جامعتكم من الاتحاد والتشابه . فالجامعة عمل علمى أسس لتكوين رجال أكفاء ، يعتمدون على أنفسهم : وبنك مصر عمل اقتصادى أسس لتكوين رجال يعتمدون على أنفسهم . وكما انقضى على جامعتكم أربعة أعوام وهى تزداد رقياً عاماً بعد عام : كذلك يرتقى البنك سنة بعد أخرى

ولا فرق بين جامعتكم ومصرفنا ، إلا أن جامعتكم قد حفتها القلوب بالرعاية من الأجانب والوطنيين على السواء ، أما مصرفنا فقد حفته قلوب الكثيرين وتشككت فيه عند بدايته ألسنة القليلين

وكم حاول هؤلاء المتشككون أن يثنونا عن عزمنا حتى لا يكون للبلاد مصرف وطنى حقيقى ! كم قالوا إن المصريين لا يفلحون فى أعمال يقومون فيها بذاتهم ، حتى ذهبوا فى ادعائهم أن علم المحاسبة لا يدركه المصريون ، لأنه من واردات الخارج ، فلا يصح أن

يرقم إلا بأرقام الخارج ! غير أن شيئاً من الأخلاق التى أسست جامعتكم من أجلها ، شيئاً من الصبر والاعتماد على النفس والأمانة والصدق فى المعاملة ، قد أخرس المتشككين وأجمع كلمة المصريين على أن هذا البنك أساس الاستقلال الاقتصادى للبلاد

لهذا فانى أدعوكم ألاّ تتصوروا النجاح فى الحياة معلقاً على وظيفة ينالها الشاب فى الحكومة . بل النجاح معلق قبل كل شىء على الصفات التى تتحلى بها نفوس الأشخاص. فاذا كانت هذه الصفات من شأنها تكوين شخصيات مستقلة ، معتمدة على ذاتها ، قوية فى إرادتها ، كان النجاح مضموناً . واستقلال الشعوب لا يكون حقيقياً إلا يوم يكثر فيه استقلال الأفراد . أما إن كانت هـــذه الصفات قائمة على التبعية فى التصور والارادة لتصور الغير وإرادته ، كان النجاح فى الحياة غير مضمون

ولو أننا ، نحن المصريين العصريين ، تعلمنا وربينا على مبادىء هذه الطريقة الأمريكية القويمـة ، الكافلة بتخريج رجال مستقلين ، يعملون فيزجون بأنفسهم فى ميادين العمل المنتج ، فينافسون ويزاحمون وينجحون ـ لكان لدينا الآن بدل تلك الجيوش العاطلة من الشبان طوائف من الرجال يسدون الفراغ من الأعمال ، ويستخرجون الثروة من كنوزها ، ويصقلونها وينوعونها بجدهم ومبتكرات أفكارهم ، فيغنون البلاد وهى مفتقرة إلى كل عامل من أبنائها ، ويأخذون بها فى مدارج الرقى بكل أنواعه ، فتعتز بهم البلاد ، وتدنو إلى أوج الكمال

وإنى إذا حييت معهدكم هذا فلأنى أحيى فيه المربى الحقيق لصفات الاستقلال الفردية ، والاعتماد على الذات . فلتقولوا معى لتحيَ الجامعة الأمريكية ، ولتحيَ التربية الاستقلالية ، ولتحيَ مصر ، وليحيَ ملكنا فؤاد الأول ، ولتحيَ الولايات المتحدة

خطبة طلعت حرب بك

فى نادى التجـــارة العليا

أقام نادى التجارة العليا في أواخر مارس سنة ١٩٢٤ حفلة تكريم لعزته لمناسبة دخوله عضواً في مجلس الشيوخ ، فخطب الخطبة الآتية :

أبنائى الأعزاء وسادتى الأفاضل :

لا أخفيكم أنكم يوم دعوتمونى إلى هذه الحفلة لمناسبة دخولى فى هيئة مجلس الشيوخ شكرت لكم جميل إحساسكم ولكنى ترددت فى قبول دعوتكم

ترددت فى قبولها لأن الروابط التى تربطنى بكم ، وتربطكم بى ، عديدة ، تجعلنا كأننا من أسرة واحدة ، بل نحن فى الواقع من أسرة فكرية وعملية واحدة

ترددت فى قبولها لأن ناديكم هذا الذى تكرمونى فيه اليوم قد ظهر أنى أنتسب إليه كما تنتسبون

وترددت فى قبول دعوتكم ، لأن مدارسكم التجارية التى تخرج معظمكم منها والتى لا يزال بعضكم يتمم العلم فيها ، لى بها روابط قد تختلف عن روابطكم بها من حيث نوعها ، ولكنها لا تقل عنها قوة . فقد اهتممت كما يعلم بعضكم بهذه المدارس وكان لى فخر الاشتراك فى بذر بذرتها بمصر منذ شهر مارس سنة ١٩١١

ولا زلت أهتم كما تهتمون بها ، وأتتبع كما تتبعون تقدمها ورفع مستواها العلمى عاماً بعد عام ، لأنى أشعر معكم بالاعتراف لها بالجميل . أنتم تعترفون بجميلها لأنها هى التى أتمت تكوين ملكاتكم ، وأعدتكم لمهام الحياة التى تقومون بها الآن ؛ وأنا وأمثالى من أرباب الأعمال نعترف لها بالجميل لأنها هيأت لنا طائفة من شبان البلاد قاسمتنا نصيباً وافراً من هذه الأعمال ، وجعلت آمالنا فى توسيع دائرة الأعمال الحرة

التجارية والاقتصادية التى يعود نفعها على البلاد تزداد قوة ورسوخا ، كلما قويت ورسخت فى نواحى هذه الأعمال الحرة ، نواة المتخرجين من مدارس التجارة

ثم ترددت فى قبول دعوتكم لأنى أعرف الكثير منكم بالذات معرفة وثيقة . فمن بينكم متخرجون من مدارس التجارة العليا فى مصر وفى أوربا يعملون فى بنك مصر ؛ ومن بينكم جماعة آخرون من المتخرجين جمعتنى وإياهم صلة واحدة من أعمال مشتركة فى البنك وفى جهات أخرى ، وبينى وبينكم ، فوق صلات العمل ، صلة قوية أخرى هى صلة الفكرة ، والميول المشتركة المتجهة نحو العمل لرقى البلاد فى طريق استقلالها الاقتصادى

أتدهشون إذن إذا قلت لكم إننى ترددت فى قبول دعوتكم ؟ أتدهشون إذا قلت إننا عائلة فكرية واحدة يجمعنا النادى وتجمعنا عاطفة الاعتراف بالجميل للمدارس التجارية ، وتجمعنا صلة الأعمال ، ويجمعنا اتحاد الميول لخير البلاد ، وللنفع العام ؟

ترددت فى قبول دعوتكم وقلت إن أفراد العائلة الواحدة فى غير حاجة لأن يكرم بعضهم بعضاً . وقلت إن تفضل جلالة الملك حفظه الله بتعيينى ضمن أعضاء مجلس الشيوخ لم ينصرف إلى شخصى الضعيف بقدر ما ينصرف إلى بنك مصر ، أولاً ، وإلى العائلة الفكرية العملية التى نحن أفرادها . فعلام التكريم إذا كانت واجبات العمل الجديد العام التى فرضتها علىّ عضوية الشيوخ سأؤديها جهد استطاعتى ، مدفوعاً بحب الوطن وما يليق من ثقة جلالة الملك ، وبشعور المسئولية التى تجعلنى أحس أنى ، إلى درجة ما ، أمثل بنك مصر فى مجلس الشيوخ ، كما أمثل فيه عائلتنا الفكرية العملية ؟

والواقع أنه لو كان الانتخاب إلى مجلس الشيوخ غير مبنى فقط على مبدأ تقسيم البلاد تقسيماً جغرافياً بل أيضاً — كما هو الحال فى بعض البلدان الراقية — على مبدأ آخر يقضى بضرورة تمثيل التجارة والصناعة والزراعة والمهن الحرة والطبقات العاملة

المنتجة ، لكان لحضراتكم ، باعتبار أنكم من أعمدة التجارة الوطنية ، رأى فى اختيار من ينوب عن التجارة فى مجلس الشيوخ

ترددت ، فألحتم فى قبولى دعوتكم ، فتجاوزت عن كل ما مر من الاعتبارات ، وقبلت طوعاً لاعتبارات أخرى تغلبت على ما عداها

قبلت دعوتكم لأنكم إذا اعتبرتم التكريم موجهاً إلى شخصى ، فأحياناً ما يحتفل أفراد العائلة الواحدة ببلوغ أحدهم سن الشيوخ ، وأنا وإن قاربت هذه السن ، إلا أن ثقة جلالة الملك قادتنى إلى مقعد من مقاعد الشيوخ . وأقبل منكم اليوم هذا التكريم على أنه فرصة لاشتراككم معى فى إعلان الشكر لجلالة الملك على ما أولى أحد أفراد عائلتكم من ثقة

وقبلت دعوتكم على أنها غير موجهة لشخصى بل لبنك مصر

وقبلتها لأنتهز فرصة مشاهدتكم مجتمعين ، حتى أشكركم على ما أظهرتموه نحوى فى اجتماع الجمعية العمومية للنادى يوم ١٧ فبراير الماضى ، وإجماعكم على تجديد انتخابى رئيس شرف للنادى ، وإن كنت لم أشعر به إلا يوم دعوتكم إياى لهذه الحفلة

قبلت إذن لهذه الاعتبارات الأخيرة . وإنى أشكركم على دعوتكم من صميم قلبى . أشكركم بما يشكر به شيخ من شيوخ العائلة الواحدة أفراد عائلته . أشكركم بقلب مملوء بالمحبة والعطف الأبوى . وأشكر من تفضل منكم بالخطابة ولا ألومهم إلا على شىء واحد ، وهو أنهم وجهوا إلى من الثناء ما لا أستحق ، وما قد يخجل إذا تذكرت أنه صادر من أبنائى

* * *

والآن ، وقد اجتمعت بكم فى هذا النادى الذى ترفع فيه التكاليف بين الكبير والصغير ، والرئيس والمرءوس ، لتسود رابطة الاخاء التى من أجلها تأسس ناديكم . الآن

وقد وقفت موقف المخاطب لكم جميعاً ، فانى أخشى أن أغادر مكانى وفى نفوس بعضكم أن أزيد عما تقدم من الكلام . وأخشى أن ألحق بعد ذلك بتحديد موعد لالقاء محاضرة، وأفضل أن أنتهى الآن مما عساه أن تطلبوه إلىّ فى الحال ، كما طلبتم ذلك فيما سبق من الأيام . ولكنى لا ألقى عليكم محاضرة فأصدع أسماعكم اليوم بالأرقام والمال والاقتصاد ، بل أحادثكم حديثاً أخوياً ، كما يحادث شيخ من الشيوخ أبناء عائلته فى مباسطة وإيناس ومفاتحة قلوب ، لا فى قساوة نصح وتعليم وإرشاد

وعمّ أحادثكم ؟

أأحادثكم عن مجلس الشيوخ الذى من أجل تعيينى عضواً فيه اجتمعتم اليوم ؟ وماذا عساى أن أقول عن مجلس الشيوخ ؟ إنه لم يجتمع حتى الآن إلا جلسات معدودة لا يسع الانسان أن يعتمد على ما دار فيها ليتخذه أساساً للحكم على اتجاه هذا المجلس وتقدير روحه ، وتعيين النفع الذى يعود من وجوده على البلاد باعتباره أداة توازن دستورية . والتوازن ، كما هو مفروض فى المال لحسن سير الأعمال ، وكما هو مفروض فى الميزانية العمومية وفى حساب الأعمال التجارية والخصوصية ، هذا التوازن محتم أيضاً فى الحياة الدستورية ، حتى يكون من توزيع سيادة الأمة ، زيادة فى الحرص على صيانة مصالحها . وحتى إذا وقع خطأ ، لا يعصم منه الانسان وكان هذا الخطأ ناشئاً عن عنصر من عناصر السيادة ، أصلحه العنصر الآخر بروح من الوفاق ، يجب أن يسود دائماً بينها لصالح البلاد . وفى هذا الاشراف المتبادل ، وفى هذه الهيمنة المشتركة على شؤون الدولة يتحقق التوازن الدستورى كما يتحقق ميزان المراجعة بين صفحتى السلب والايجاب

دعونا إذن من مجلس الشيوخ ومجلس النواب ، ولنقصر القول فى ذلك على الدعاء بأن يوفق الله البرلمان إلى سبيل الرشاد ، وأن يهديه إلى سداد الرأى لصالح البلاد

عمّ أحادثكم بعد هذا ؟

قد يكون من رغبة بعضكم أن أتكلم فى موضوع ، ومن رغبة الآخرين أن أحادثهم فى موضوع آخر . والموضوعات كثيرة والحديث شجون . قد يكون حرياً بنا فى هذا اليوم أن نترك هذه الموضوعات الاقتصادية والمالية ، على أن تجعلوها محل مباحثكم فى اجتماعات . ويكفينى أن أسألكم : ماذا أعددتم لأنفسكم فى هذا النادى حتى تقوموا بنصيبكم من الجهاد القومى العام ؟

إننى لا أقصد بهذا السؤال أن ألومكم ، أو أعيب على بعضكم أى تقصير . ولا أقصد به أن تخرجوا من دائرة أعمالكم ، وتزجوا بنفوسكم فى ميادين السياسة بعد أن أصبحت السياسة مشاعاً للجميع ، يتحدث بها الناس فى المجامع والبيوت ، كما يتحدثون بها فى القهاوى والمنتديات

إنما أقصد بسؤالى : هل أنتم قاصرون حياتكم على عملكم اليومى ، تؤدونه على أحسن حال وكفى ؟

أم أنتم تشعرون ، بصفتكم مصريين ، أن عليكم نصيباً من الواجب القومى العام يتحتم عليكم أداؤه ؟ وإذا كان عليكم هذا النصيب من الجهاد القومى العام ، ففى أى اتجاه يجب أن تسير جهودكم لابراء ذممكم من هذا النصيب ؟

أسئلة خطيرة لابد أنها تكون قد طافت بنفوسكم ، فاشتاقت أن تكشف عن حلها ، وتفحص عن الجواب الشافى عليها . أسئلة أدعوكم إلى إعمال الفكرة فيها ، وتحديد الجواب عليها

أسئلة أطرحها عليكم ولا أتركها بغير جواب ، فقد يكون من الواجب على مثلى إزاءكم أن يعينكم ببعض الرأى ، على استكشاف هذا الجواب

إنى أرى بين أعضاء هذا النادى قسم الطلبة الذين لا يزالون فى مدرسة التجارة

العليـــا ، وقسم المتخرجين من المدارس التجارية

أما الطلبة فانى أحيي جهودهم فى النهضة الوطنية الحديثة ، وأعرف أنهم كانوا من أكبر عماد هذه النهضة ، وأعرف أنهم أدوا أجلّ الخدمات للوطن . ولـكن الآن وقد دخلنا فى دور من الحياة الدستورية ، وأصبحت الـكلمة لممثلى الشعب وحكومته ، فعلى الطلبة من أعضاء هذا النادى أن يحصروا قواهم الفكرية والجسمانية فى إتقان دروسهم وتوسيع معلوماتهم ، بالمطالعة المنظمة ، حتى ينتهوا من دراستهم بسلام إنهم ، إن فعلوا ، فقد أدوا أكبر خدمة إلى نفوسهم وإلى البلاد ، لأنهم بحصر قواهم فى الدراسة يتممونها وهم أكفاء قادرون حقاً على مكافحة صعوبات الحياة . ولأنهم بذلك يكونون قد رفعوا مستوى المعارف الاقتصادية ، فتنتفع البلاد بمعلوماتهم سريعاً ، دون أن يبطىء الانتفاع بهم حتى يكسبوا بالخبرة ماقد يفوتهم ، لاسمح الله ، بسبب اللهو عن الدروس فى زمن التعليم . إن نصيبهم من الجهاد القومى ، وهم طلبة ، هو أن يحسنوا تحضير أنفسهم باتقان عملهم الدراسى ، حتى يعتادوا على إتقان العمل فى ذاته ، فيكونوا قادرين ، بعد انتهائهم من دراستهم ، على إتقان ماهو مفروض عليهم من واجبات الحياة الخاصة والحياة العامة

أما متخرجو المدارس التجارية من أعضاء هذا النادى ، فانى لا أظن أنهم ، بأداء عملهم المفروض عليهم يومياً ، كل فى دائرة عمله ، حتى لو أحسنوا عملهم بما يوجب ارتياح ضمائرهم ، ورضاء رؤسائهم ، يكونون قد قاموا بكل ماهو مفروض عليهم فى هذه الحياة

إن عملكم اليومى يستوجب مجهوداً وشدة التفات أعرفهما بالذات فيكم . فأنتم فى الحكومة ، وأنتم فى دور التجارة ، وأنتم فى المصارف — تشتغلون بالأرقام فتضمون وتطرحون وتبوبون وتفصلون وتحسبون ثم تحسبون . أنتم رسل النور والتوضيح حيث تعملون . أنتم رجال المحاسبة التى لاينتظم عمل بدونها ؛ فهى أساس النظام فى ربط

الأموال العامة ، وتوزيع نفقاتها ، ومعرفة التوازن بين إيرادات الدولة ومصروفاتها ، وفى معرفة حالة البيوتات والشركات والجماعات المالية والتجارية والصناعية والزراعية وعلاقة كل واحدة منها بعملائها ، وإثبات ومراجعة ما تملك ، وتقدير نتائج أعمالها من ربح أو خسارة . وهى ، بأرقامها الدقيقة ، علم من العلوم الوضعية الصحيحة ، التى تتفسر بها الحقائق واضحة لا ينتابها الشك من جانبيها فى أى حين . وهى ، بأعمدتها وبوضعها وبطرائقها فى المقابلة والمراجعة والعرض ، آية من آيات الجمال فى حسن التنسيق والتبويب والتفصيل . وهى قد أثرت التجارب بفضلها فأصبحت علماً من العلوم العصرية المشهود بنفعها فى مجموع المعلومات البشرية ، حتى الشرائع السماوية قد أثبتت أن علم المحاسبة واجب فى تنفيذ أحكامها . وهذه هى الزكاة فى الاسلام قد وجبت على الحر المالك لنصاب حال عليه الحول ، فارغ عن الدين ، وعن حاجته الأصلية ، معد للنمو . وهل يمكن تنفيذ أحكام الزكاة ، على اختلافها ، فى النعم والعين والحرث وعروض التجارة ، ما لم يحدد النصاب ويدر عليه العام ، ويعرف الدين من غير الدين ، وما هو حاجة أصلية وما هو غير حاجة أصلية ، وما هو معد للنمو وما هو غير معد للنمو ؟ وهل يمكن إجراء هذا بغير التقدير الذى تقضى به قواعد المحاسبة ، التى أنتم حملة أسرارها بين المصريين ؟

أليس هذا التكليف يقضى على كل مسلم أن يضع ، فى آخر عامه ، ميزان حاله المالية ، بتبيين ما له وما عليه ، بغاية التوضيح والتفصيل ، وميزانية عن إيراده ومصروفه فى العام المقبل ، ليعرف ما يزيد من صافى ماله عن حاجته الأصلية ، أى ليعرف قدر الزكاة المفروضة عليه ؟

وهل يطلب علم المحاسبة أكثر من ذلك ؟

أنتم ، إذن ، فى عملكم اليومى تقومون بعمل واجب جليل جميل . وأنتم إذن كلما

أتقنتم عملكم اليومى ، وصرفتم إليه جهودكم بذمة واطمئنان قلب وارتياح ضمير، زادت مراكزكم فى الحياة ثباتاً ، باعتبار أن سر الحياة فى مبدأ توزيع الأعمال ، وأن النجاح فيها موقوف على إتقان كل عامل عمله اليومى

إنما أنتم فوق عملكم اليومى مصريون متعلمون . وبقدر حظكم فيما وصلتم إليه من درجات التعلم ، ودرجات التجربة ، التى هى مدرسة الحياة العملية ، يقع على عاتقكم بقدره قسط يجب أداؤه من واجب الجهاد القومى العام

إنكم ، إن قمتم بعملكم اليومى ، وشفعتموه بعمل إضافى تقومون به فى أوقات فراغكم ، فى ناحية من نواحى العلم والفكر ، ونواحى الترقى الاجتماعى ، ونوعى الاقتصاد والمال ، تكونون قد أديتم نصيبكم من الجهاد القومى العام

وأى شىء أحق أن تشغلوا به وقتاً من أوقات فراغكم أفضل من أن تؤدوا واجبكم العام فى تفهم مسألة استقلال مصر الاقتصادى ، وتعرف وجوهها ، وكيفية تحقيق هذا الاستقلال ، وتذليل الصعاب التى تقف فى سبيله

إن هذا المجهود فى سبيل الواجب العام يصح أن يقوم به الفرد منكم ، كما يصح أن يقوم به الجماعة

أما الفرد فهو قوة فى ذاته ما دامت إرادته قوية ، وعقله مستنيراً ، وقلبه مخلصاً ، وعزيمته صادقة ، وصبره طويلا ، ومثابرته متواصلة فى خدمة الصالح العام . والأمثلة على قوة الفرد كثيرة فى جميع الشعوب ، وجميع الأوقات ، لا يعدها حصر . إنما يلذ لى ، ونحن فى نادى التجارة العليا ، أن أضرب لكم مثل أخوين لهما من هذه الصفات حظ وافر ، فأديا لبلادهما أجل الخدم . هذان الرجلان هما المسيو جول سيجفرد وزير التجارة سابقاً فى فرنسا وأخوه جاك سيجفرد . ولدا فى الألزاس ، وتعلما تعلماً بسيطاً ، وعملا فى مكتب أبيهما التاجر فى مولوز ، فرأيا كيف يكسب الوسطاء الأجانب فى نقل

الأقطان من خلف الأقيانوس إلى الألزاس . فانتقل أحدهما إلى الهافر ، والآخر للهند ، وأسسا محل تجارة بهما ، يورّدان لبيت أبيهما ولغيره القطن ، حتى غنِي أبوهما ، وصار ذا ثروة واسعة . عندئذ أدركا أن لو كانا قد تعلما مبادىء التجارة فى مدرسة من المدارس لكانت قد خفت عليهما مشقات العمل ، والتعاريج الكثيرة التى مرّا بها حتى تم لهما النجاح فى حياتهما . فاقترحا على محافظ مولوز تأسيس مدرسة للتجارة فيها ، تكون نموذجاً لمدارس أخرى تنشأ بفرنسا على منهاجها ، وشفعا اقتراحهما بمبلغ ١٠٠٠٠٠ فرنك لتنفيذ هذه الفكرة ؛ فأسست أول مدرسة للتجارة ، ونجحت نجاحاً باهراً . ولما وقعت حرب السبعين ، ودخلت مولوز تحت السيادة الألمانية ، نقلت المدرسة إلى ليون ، وأدخل فيها تعليم الغزل ؛ ثم رحل الأخوان إلى الهافر ، فاستمرا فى جهادهما ، وأسسا بها مدرسة أخرى للتجارة ، منحاها ١٠٠ ألف فرنك أخرى

وكانت لجول سيجفرد اليد الطولى فى إنشاء مدرسة التجارة العليا بباريس ، وفى إعلاء شأن علم المحاسبة والتعليم التجارى فى مدارس ومعاهد فرنسا . وقد زار مصر مرتين : مرة فى سنة ١٨٦٢ وأخرى فى مارس سنة ١٩١٣ ، فكان لى ، مع آخرين ، حظ الاحتفاء به يومئذ عن المصريين والتنويه بفضله وإخلاصه وقوة إرادته فى العمل العام — وفى مثل هذا فليتنافس المتنافسون ، وليعمل كل فرد بهذه الأخلاق ؛ وهو لابد واصل إلى تحقيق غاية من الغايات التى تعتبر حجراً فى بناء استقلالنا الاقتصادى

وأما الجماعة منكم فقد ربطتكم رابطة هذا النادى ، لتكوين رابطة من الاخاء والتضامن بينكم . فلينصرف هذا التضامن إلى البحث المشترك عن الجهود التى يمكنكم أن تقوموا بها فى سبيل استقلال مصر الاقتصادى ، لتبحثوا عن جميع وجوه حياتنا الاقتصادية ، وخصوصاً حياتنا التجارية الخاصة ، وتتعرفوا عللها ، وتقارنوا أحوالها بأحوال البلاد الأخرى ، وتعلموا ما يصح أن نقتبسه منها وما لا يصح

إنكم إذا عملتم هـــذا وبقيتم فى دائرة البحث العلمى ، وقمتم بهذا المجهود الذى لا يكلفكم شيئاً سـوى التفكير فى المسائل الاقتصادية والمالية العامة ، تكونون قد قمتم بنصيبكم من الواجب المفروض عليكم بصفتكم مصريين ، وبصفتكم منتسبين إلى المدارس التجارية ، وإلى هذا النادى . . .

وأختم حديثى معكم بتكرار شكرى على لطف إحساسكم فيما أردتم به من اجتماع اليوم ، وأرجو الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الصالح العام لهذه البلاد

خطبـــة طلعت حرب بك

فى افتتاح فرع بنك مصر

بالمحلة الكبرى

فى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤

سادتى الأعزاء

سلام عليكم ثم شكر لست أستطيع أن أوفيكم حقه ، شكر على عواطفكم الجميلة وإحساساتكم النبيلة التى ساقتكم معنا للاحتفال بهذا اليوم السعيد ، يوم افتتاح فرع لبنك مصر فى مدينتكم الزاهرة

وكم كنت أود أيها السادة أن تتهيأ لنا فرصة هذا الاجتماع قبل اليوم بزمن طويل لولا أن نجاح فكرة « بنك مصر » — هذا النجاح الظاهر من شدة إقبال المصريين ، وإطراد أرباحه ، والتوسع فى دائرة أعماله — قد جعل الأهالى فى مختلف بلدان القطر يتسابقون فى طلب تأسيس فروع بها ، ويلحون فى إنجازها بأسرع وقت ، حتى تقوم بالخدمات التى تعرف المصارف الوطنيـة وحدها كيف تقوم بها للأهالى . وقد انهالت علينا هذه الطلبات انهيالاً يدل على ثقة البلاد فى « بنك مصر » ، وطمأنينتهم إلى مستقبله الباهر المتين برعاية الله ومعونة المصريين . غير أنه لم يـكن من المستطاع ، تأسيس هذه الفروع كلهـا دفعة واحدة ، فى مختلف الجهات ، ولذا كان لا مفر من تقديم بعضها عند التنفيذ على البعض الآخر

ولو أن حكماً عدلا فصل فى موضوع أولوية مركز على آخر ، وجهة على أخرى من الجهات التى رغبت فى تأسيس فرع لبنك مصر ـ لقضى فى هذا بالأولوية لمدينتكم العامرة

ولم هذا ؟

ألأن مدينتكم جمعت ، بما يحيط بها من خضرة سندسية ، وما يتخللها من أبنية فخمة عالية ، بين جمال الطبيعة الريفية ، وجمال العمارة فى المدائن الناشئة ؟

أم لأنها مدينة قديمة ، قد نجهل اسمها الجغرافى عند قدماء المصريين . وإن كنا لا نجهل أن منطقتكم هذه كانت ، من يوم أنْ تكونت الدلتا ، عروس الوجه البحرى فى الحضارة والعرفان والعمران ؟

أم لأن منطقتكم هذه ، كما امتزجت بمدنية قدماء المصريين ، امتزجت أيضاً بمدنية العرب التى اتخذها المصريون مدنية لهم ، وصقلوها بميزتهم الخاصة بفطرتهم وذكائهم وذوقهم ؟ أليس من بين القرى المجاورة لبلدانكم أسماء عربية صميمة تدل على أثر المدنية العربية المصقولة فى هذه الجهات ؟

قد يكون هذا وذاك . ولكن المحقق هو أن لمدينتكم ميزة خاصة ، قل أن تشاركها فيها مدينة مصرية أخرى . وهذه الميزة هى أنها تمثل نوعاً من التوازن الاقتصادى والاجتماعى الذى نرجو أن يسود فى جميع جهات القطر المصرى . إنها ، بمجهود رجالها العاملين ، نموذج المدينة المصرية فى المستقبل القريب . إنها تمثل التناسق الجميل بين الانتاج الصناعى والانتاج الزراعى ، بل هى تمثل المدينة العصرية فى الأقاليم الريفية . أى أنها تمثل كيف تتحول المدينة من سكونها المحدود وسط الحقول ، إلى المدينة العامرة بالصناعات ؛ تتحرك الأيدى العاملة فيها كما يتحرك النحل فى خلاياه ، وتمثل كيف تتحول من ضواحيها الأيدى العاملة فى الزراعة إلى أيد عاملة فى الصناعة . وفى هذا التطور والتحول تحقيق لأمنية من أكبر الأمانى القومية ، وهى إيجاد طبقات اجتماعية عاملة مختلفة الجهود ، يكمل بعضها بعضاً ، ويتكون من مجموعها وحدة أهلية ، متنوعة الوظائف ، لا يتم بدونها الاستقلال الاقتصادى المنشود

إنى لا أبالغ ، أيها السادة ، فى تقدير مركز مدينتكم واتخاذها نموذج هذا التوازن. وفى وسعى أن أثبت لكم بالأرقام ما أقول ، ولو أنى أسرع فأرجوكم ألا تنزعجوا من الاشارة إلى الأرقام ، فلست أقدم لكم منها إلا القليل المنتج للدليل

إن فى القطر المصرى عيباً جوهرياً فى تكوين طبقاته العاملة ، وتوزيع جهودها على مختلف نواحى الانتاج . وقد نشأ عن هذا العيب اختلال فى التوازن الاقتصادى والمالى ؛ يكفى للتدليل عليه أن نقارن بين العاملين على الانتاج الزراعى ، والعاملين على الانتاج الصناعى ، ثم العاملين فى التجارة . عندئذ نرى أن العاملين بين مصريين وأجانب وذكور وإناث ، يبلغون فى الأعمال الزراعية ٤ر٠٠٨ر٩٠٠ شخص فى حين أنهم لا يزيدون عن ٥٢٦ر١٥٧ فى الأعمال الصناعية . أى أن المشتغلين بالصناعات يبلغون ثمن العاملين فى الزراعة فى حين أن المشتغلين بالتجارة لا يزيدون عن ٢٧٦ر٥١٠ أى نصف المشتغلين بالصناعات و $\frac{١}{١٦}$ من المشتغلين بالزراعة

هذه الأرقام الثلاثة التى قدمناها لحضراتكم تنطق صراحة باختلال التوازن فى توزيع المجهود الانتاجى . والقاعدة التى دلت عليها التجارب أن الاستقلال الاقتصادى يتكون من تنظيم جهود الانتاج ، وتوجيهها بتناسق إلى جميع جهاته ، من زراعة وصناعة وتجارة ، بحيث لا يكون الاهتمام بناحية من هذه النواحى ، أكثر مما تقتضيه طبيعة الأشياء وضرورة التوازن ، سبباً فى تعطيل الاهتمام بناحية الانتاج الأخرى . وهى ، إذا تعطلت ، وجدت الحاجة إلى الغير فيما ينقص هذه الناحية من إنتاج . وبقدر ما توجد الحاجة إلى الغير ، فى زراعة أو صناعة ، يقنص الاستقلال الاقتصادى بما يوازى قيمة هذه الحاجة — مهما كان لها بدل من المنتجات المحلية — وتزداد التبعية إلى الآخرين فيقل مقابلها شىء من رخاء البلاد تكتسبه بلاد غيرها

ولهذا كان التوازن الاقتصادى فى توزيع مجهودات الانتاج ناموساً جوهرياً فى

حياة الأمم . وليست توجد لتحقيق هذا التوازن نسب حسابية ثابتة ، كأن يقال مثلا إن التوازن يستلزم ثلث المجهود للزراعة ، وثلثه للصناعة ، وثلثه الأخير للتجارة ، وأنواع الوظائف الاجتماعية الأخرى من إدارة وتعليم ومهن حرة . كلا ، لأن البحث عن حدود ونسب لهذا التوازن ، متعلق بطبيعة البلاد ، وعادات أهلها ، ومناخ إقليمهم ، وحاجاتهم الاجتماعية ، وحاجات الأسواق الخارجيـة من منتجاتهم . إنمـا الذى نقول هو إنه كلمـا تعددت وتنوعت مجهودات الانتاج ، وتقاربت فى نسبها بعضها إلى بعض ، وجد التناسق الذى ينتج أكبر رخاء ممكن فى البـلاد . فاذا كانت البلد خصـبة فى أرضها ، صالحة للاستغلال الزراعى ، كان طبيعياً أن تستدعى مجهوداً فى هذه الناحية أكثر من المجهود فى كل ناحية من نواحى الانتاج الأخرى . وإذا كانت طبيعة البلد جبلية ، غنية بمناجمها ومعادنها ، كان طبيعياً أن يكون الاهتمام بالصناعة مقدماً على سواها . هذا أمر بدهى

إنما مهما تكن أحكام الطبيعة فى تكوين بيئات الأمم ، فان للانسان حاجات تتسع باتساع مدنيّته . وهذه الحاجات إذا استطاع أن ينتجها فى بلاده ، كان هذا أدعى لزيادة رخائه من الالتجاء إلى غيره فيها . لهـذا اتجهت الشعوب الراقيـة إلى الاشتغال بما تقتضيه طبيعة البيئة : إن صناعية ، وإن زراعية ؛ ولـكنها اتجهت أيضاً إلى تكميل النقص بمجهود إنسانى متواصل ، حتى يتم التوازن فى الانتاج ، ويقل الالتجـاء إلى الغير ، ويتحقق الاستقلال الاقتصادى

خذوا مثلا البلاد الأخرى وقيسوها على حالة بلادنا . خذوا مثلا البـلاد الصغيرة التى يبلغ سكانها ثلث أو ربع سكان القطر المصرى . ماذا ترون إذاً ؟ ترون بلجيكا : بلاداً صغيرة فى حدودها ، كبيرة فى مجهودها ـ ترونها مثال الأمة النشيطة ، عملت على التوازن بين الزراعة والصناعة ، ففاضت منتجاتها وأموالها عن حاجات البـلاد ، وخرجت تبحث عن منافذ لها فى الخارج . وهذه الشركات البلجيكية ، ماثلة أمامكم فى بلادنا ، بين شركة

مصر الجديدة ، وشركة ترام القاهرة ، وبنك بلجيكا فى الخارج ، وصندوق الرهنيات ، والشركة العقارية الصناعية ، وشركة الأسمنت بالمعصرة ، وشركة المقاولات المبانى (ليون رولان وشركائه) ، إلى غير ذلك من شركات صناعية وتجارية ومالية شتى

ثم ماذا ترون ؟ ترون سويسرا : بلاداً كثرت هضابها ، وقلت وديانها — ومع هذا اعتلى فلاحها الهضاب ، وبسط عليها من أنواع المنتجات أصنافاً شتى . أما نحن ، وبلادنا منبسطة انبساط الوادى ، ينساب فيه النيل ، فقد وقفنا عند زراعة أساسية واحدة ، وجمدنا عن تنوع الزراعات . وترون سويسرا بلاداً ليس فيها أثر للفحم ، ولا منجم واحد لاستخراج الحديد أو الفولاذ أو أى معدن آخر من معادن الصناعة إلا القليل التافه الذى لا يعتد به ؛ ولكنها عرفت كيف تبادل غيرها بزبدها وجبنها وخشب غاباتها ، حتى تحصل على الفحم والحديد والفولاذ ، فتنشىء أكبر الصناعات : من أدق آلات الكهرباء ، إلى جهاز قُطُر السكك الحديدية والبواخر ، إلى أرق منسوجات المخرم بالقطن المصرى فى مقاطعة سان جال

ثم ماذا ترون؟ ترون السويد والنرويج ، بل ترون فنلندا المنفصلة حديثاً عن الروسيا : بلاداً صغيرة فى تعداد سكانها ، واسعة فى مساحة أراضيها ؛ ولكنها بلادِ الثلوج والغابات ، تنتج غاباتها أخشاباً ، فتتحول فى أماكنها إلى ورق ذاع صيته فى الخافقين . فالغابة والعناية بالغابة مجهود زراعى ؛ وفاوريقة الورق مجهود صناعى ؛ وتصريف الورق مجهود تجارى — وقد تناسقت هذه المجهودات الثلاثة تناسقاً أوجد التوازن الاقتصادى المنشود

كل هذه الدول الصغيرة ، غنية بفضل تنويع مجهوداتها وتوازنها ؛ وبالرغم من قلة عدد سكانها ، كلها فى رخاء لا يشبه رخاءنا فى مصر . ولا أطيل عليكم الأرقام وأساليب التدليل لتقرير أنه إذا كان المصرى يتمتع بجزء واحد من نعم المدنية والحياة ، فان كل

ساكن من سكان تلك البلاد يتمتع بعشرة أجزاء ، لا لشيء إلا لأن لديهم التوازن فى الانتاج ، ونحن محرومون من هذا التوازن فى مصر

حقاً إن مصر بلاد زراعية ، وإنها كانت زراعية منذ الأزل . ألم يكن فيها قديماً من فائض الخيرات والغلال ما كانت تمد به البلاد الأخرى ، عطفاً وإحساناً ، كلما حلت بجاراتها الضائقة ، أو اجتاحتها الجائحة ؟ ثم هى ستبقى زراعية إلى الأبد ، مادام النيل يجرى فى مجراه وما دام المصريون واثقين من القبض على منابعه . ألم يقل هيردوت ما قاله كهنة المصريين من أن « مصر هدية النيل » ؟ وإذا كانت مصر هدية النيل حقاً فان المصريين خاضعون لأحكام هذه الهدية ، مضطرون بحكم الطبيعة ، وبحكم الوراثة ، وبحكم الحاجة ، أن يحولوا أرض النيل فى مواعيده من « عنبرة سـوداء إلى لؤلؤة بيضاء إلى زمردة خضراء » . فلا عجب إذا كان العاملون فى الزراعة يعدون بالملايين ، بينما العاملون فى الصناعة والتجارة يعدون بالآلاف

ولكن لكل زمن أحكامه . ففى الزمن القديم حيث كانت مصر تغدق غلاتها وحاصلاتها الزراعية إغداقاً ، كلما أصيبت جاراتها بمجاعة — فى هذا الزمن كانت مصر تتاجر مع هذه الجارات فى أوقات الرخاء ، وكانت تبعث من مصنوعاتها أصنافاً وألواناً ، بين فلك وملابس من كتان وفئوس ومواعين وعقاقير وأعطار وحلى وغير ذلك مما يدل على أن التوازن الانتاجى لم يكن ليجهله قدماء المصريين

أما هذا الزمن الحديث ، الذى نعيش فيه ، فيستدعى ، أكثر من كل زمان آخر من حياتنا التاريخية ، أن يزيد اهتمامنا بالصناعة ، على الأقل فيما لدينا من موادها الخام ، ولو قلت الأيدى العاملة فى الزراعة . بل إن من الطبيعى أنه كلما زاد العاملون فى الصناعة قل العاملون فى الزراعة ؛ وكلما زاد التناسب فى الانتاج بينهما زاد التوسع فى أعمال التجارة وليس يخيفنا نقص عدد العاملين فى الزراعة بسبب تحويل بعض الجهود إلى الصناعة

لأن هذه هى سنة التحول من لا صناعة إلى صناعة ، أو من صناعة صغيرة إلى صناعات كبيرة ، ولأن النقص فى الأيدى العاملة إذا وصل إلى حد يقل عن الحاجة كانت الحاجة أم الاختراع . والاختراع موجود، وهو آلات زراعية نعرض عنها الآن لكثرة الأيدى العاملة ؛ وسيأتى حينٌ نقبل عليها، ونزيدها تحسيناً، ونجعلها ملائمة لطبيعة أرضنا ، ولا يعوقنا ارتفاع أثمانها عن استعمالها ، لأن فكرة التعاون الزراعى تكون قد تمكنت من جماعات الزارعين والمنتجين تمكنها فى البلاد الأخرى ، فتتحد النقابات فى عدة قرى لشراء ما يلزمها من هذه الآلات واستخدامها بدل الأيدى فى فلاحة الأرض وخدمتها واجتناء محصولها . وبودى أن يقوم إخصائى ، فيقوّم حاصلاتنا الزراعية بنسبة الأيدى العاملة فيها ، ويقوم الحاصلات الزراعية فى بلد مثل ألمانيا بنسبة الأيدى العاملة فيها أيضاً — وهناك يظهر الفرق بين البلدين ، وهناك يظهر أن هذا الفرق راجع إلى عاملين : عامل الآلات الزراعية فى الزراعة ، وعامل إتقان الأساليب الفنية الحديثة فيها . فالآلة وتحسين فن الزراعة يغنيان كثيراً عن مليون أو أكثر من مليون عامل ، يتحولون من الزراعة إلى الصناعة . فضلا عن هؤلاء العاطلين الكثيرين الذين تؤويهم الصناعة بعد أن لفظتهم الزراعة ، فانهم عند التوازن يصبحون عمالاً نافعين ، فيقل باشتغالهم عدد العاطلين ، ويضعف عامل قوى من عوامل الاجرام المتزايدة عاماً بعد عام

* * *

وإذا تقرر أننا مصابون فى عموم القطر باختلال فى التوازن الاقتصادى ، ناشىء عن توزيع الجهود القومية توزيعاً غير متناسق ولا متناسب بين مختلف فئات الانتاج من صناعة وزراعة وتجارة ، وتقرر مما تقدم أن هذا الاختلال مقلل للرخاء ، مضعف لتحقيق الاستقلال الاقتصادى ، فلتسمحوا لى أن أنتقل الآن من العام إلى الخاص ، من القطر المصرى إلى مدينة المحلة الكبرى ، وأن أثبت لكم أن مدينتكم خالية فى

تـكوينها الاجتماعى من العيب العام ، عيب فقدان التوازن الاقتصادى فى الانتاج

وإنى لا أطيل عليكم فى هذا الدليل ؛ ويكفينى لاقامته أن ألفت أنظاركم إلى خمسة أو ستة أرقام ، أرجو كم أن تعيرونى التفاتاً فى تأملها . أما الرقم الأول فخاص بتعداد مدينة المحلة الـكبرى — لا مركز المحلة الـكبرى — وهو يبلغ ٣٨٫٠٨٨ نفساً . ويبلغ العاملون من هذا العدد ١٠٫٤٥٨ ، وجهود هؤلاء العاملين موزعة بالـكيفية الآتية :

	العـدد	النسبة المئوية
المشتغلون بالأعمال الزراعيـة	٢٫٧٤٠	٢٦
« بصناعة المنسوجات	٣٫١٦٧	٣١
« بالصناعات الأخرى	٢٫٧٠٧	٢٦
« بالتجارة	١٫٨٤٤	١٧
المجمـــوع	١٠٫٤٥٨	١٠٠

وهذا هو مثال التوازن فى توزيع جهود الانتـــاج . فان ٣١ فى المائة من هذه الجهود موجهـة إلى صناعات النسيج ، كأن هـذه الصناعات تشغل الحيز الأول من حياة المحلة الـكبرى ، ثم يليهـا الأعمال الزراعية . ومن البدهى أن تأتى الأعمال الزراعية ، فى مدن الأقاليم ، فى الصف الثانى من الانتاج ؛ لأن المدن للصناعة ، ويجب أن تتحول من الزراعـة إلى الصناعة . ثم يلى ذلك الصناعات الأخرى خلاف صناعات النسيج ، ثم التجارة

هذا التوزيع المتناسق فى توجيـه الجهود العاملة هو الذى نود أن يسود جميع المدن المصرية سـواء فى صناعات النسيج أو فى صناعات الـكهرباء والحديد . نود أن يكون فى كل مدينـــة من العاملين فى الصناعات ، ومن رؤوس الأموال المودعة فى

الصناعات ما يساعد على إيجاد التوازن العام بين الانتاج الزراعى والانتاج الصناعى للقطر المصرى

وكما أن التوازن الاقتصادى قد أنتج النتائج الباهرة فى الدول التى قدمناها لكم مثلاً، كذلك قد أنتج هذا التوازن فى مدينتكم، وبنسبتها المحدودة، نتائج جديرة بالاعتبار

إننى لا أبحث عن ممتلكاتكم، لأدل على أن نسبة الثروة العقارية ورؤوس الأموال المودعة فى صناعاتكم ومتاجركم من أكبر النسب المعروفة فى القطر المصرى، ولا أبحث عمّا لكم وعما عليكم، لأقرر ما قد يكون صحيحاً، وهو أنكم من أقل المدن ديناً. لا أبحث فى هذا وذاك، وإنما يكفى أن أستدل على حالة الرخاء بما يرى فى مدينتكم من عمارات فخمة فاخرة، قل أن يوجد مثلها فى بندر من البنادر الأخرى

وقد أنتج التوازن فى مدينتكم عدم جمود رأس المال وبقائه من غير تشغيل، أو تشغيله فى حدود ضيقة؛ فتحرك وانتقل من الايداع فى الأراضى الزراعية وحدها إلى التشغيل فى الحاجات الصناعية وفى الأعمال التجارية؛ فدار، بدل الدورة الواحدة فى الزراعة، دورتين أو ثلاث دورات فى الصناعة والتجارة فى خلال العام الواحد؛ وترتب على سرعة دوراته تنشيط الأيدى العاملة، وتشجيع المبادلة، وشحْذ العقول المفكرة، حتى تسرع بالانتفاع قدر سرعة الدوران

وأنتج التوازن فى مدينتكم زيادة الشوق إلى العرفان، والاقبال على التعليم. بدليل أن الملمين بالقراءة والكتابة فى المحلة الكبرى يبلغون ٨٤ فى الألف، فى حين أنهم لا يزيدون فى مجموع بلاد القطر عن ٦٨ فى الألف. وهم فى بقية جهات مركز المحلة الكبرى التى جمدت على الزراعة وحدها، يبلغون ٤١ فى الألف، وفى نفس مديرية الغربية فى عموم متوسطها، يبلغون ٦٠ فى الألف. فمدينة المحلة الكبرى تسبق فى هذا الباب المتوسط العام للقطر المصرى، ولمديرية الغربية، ولمركز المحلة الكبرى.

وأنتج التوازن فى مدينتكم أن قلت الجرائم فيها عن بقية القطر . فان نسبة ما وقع من جرائم حقيقية ، بين جنايات وجنح ومخالفات ، بلغت للقطر المصرى ١٥ فى الألف ، ولمركز المحلة الكبرى ١٢ فى الألف . ولو أن الاحصاءات الرسمية فصلت ما يخص مدينتكم دون مركزكم ، لاتضح أن نسبة الجرائم التى ترتكب بين جدران مدينتكم أقل من هذه النسبة

وقد يعترض علينا عالم جنائى فيقول : أنتم تخطئون لأنه حيث يوجد التوازن الاقتصادى يوجد الرخاء ، وحيث يوجد الرخاء تزيد الشهوات فتزيد الجرائم . وجوابنا أن هذا صحيح فى الأوساط التى انتزعت من قلوبها الرحمة ، فقامت البيئة الاجتماعية على الجشع والاستئثار بالرخاء فى طبقة ، والذل والاستعباد فى طبقة أخرى . أما فى مصر ، والرحمة قائمة فى القلوب ، ومبادىء الدين الاسلامى تحض على التضامن والمؤاخاة والعطف والاحسان ، فان الرخاء الناشىء عن التوازن قائم وسط بيئة أخلاقية رحيمة ، تؤاخى بين الناس ، ولا تثير العداء ، فيقل فيها الأجرام ولا يزيد

ليس صحيحاً إذن أن يستلزم الرخاء زيادة ارتكاب الجرائم . ولكن الصحيح حقاً هو أن زيادة الرخاء تستلزم كثرة المبادلات ومضاعفة المعاملات ؛ وحيث تكثر وتتضاعف يكثر التعاقد ، وحيث تكثر العقود يكثر الاختلاف على تفسير أو تنفيذ شروطها — فيكثر بالتالى الالتجاء إلى المحاكم ، فتكثر القضايا المدنية أمامها . ولا تقل القضايا المدنية فى وسط من الأوساط متزايد الرخاء ، إلا حيث توجد وسائط أخرى للفصل فى المنازعات المدنية ، كمحاكم التجارة ، وهيئات التحكيم ، ومحاكم الفصل بين المال والعمال . وعلى هذا فاننا لا نخطىء فى الاستنتاج إذا شاهدنا أن متوسط ما يصيب الألف ساكن فى مركزهم هو ٥٧ قضية مدنية ، وأن ما يصيب الألف فى مجموع القطر ١٢ قضية . وأن تعليل هذه الزيادة راجع إلى رخاء مدينتكم ، وإن هذا الرخاء ناشىء

عما وضحته لكم من التوازن فى توزيع جهودهم ، وتوجيهها بتناسق إلى خير جهات الانتاج

هذه هى النتائج الباهرة التى نلمسها بالمحسوس والأرقام الصريحة ، والتى وصلت إليها مدينتكم بفضل هذا التوازن

* * *

بقيت لى كلمة أرجو كم صبراً على سماعها — كلمة عن صناعة النسيج التى يرجع إليها الفضل فى إحداث التوازن والتناسق فى توزيع جهودكم وتنسيقها . إذ لولا وجود ٣ر١٦٧ عاملا وصاحب معمل يشتغلون بهذه الصناعة ، لا نقلب التوازن فى مدينتكم ، فصارت كالمدن الريفية الأخرى ، لا تمتاز عنها شيئاً . بل لا نبالغ إن قلنا إن صناعة النسيج للمحلة الكبرى كالعمود الفقرى فى الجسم البشرى

لست أدرى فى أى وقت سبقنا أجدادكم الكرام ، فخرجوا من المجهود الزراعى — الذى لا زالت بلاد القطر منغمسة فيه — إلى الاشتغال بالصناعة ، ولا سيما صناعة الغزل والنسج . وكم نتمنى أن يقوم من أبنائكم من يختص بتاريخ الغزل والنسج فى الخارج وفى مصر ، حتى يستجمع لنا من آثار الأجداد السالفين ما يسمح لنا بمعرفة تاريخ اشتغالكم بهذه الصناعة النفيسة ! وكم نود أن نهتدى بضوء تاريخكم ، لنعرف المجهود الطويل الذى صرفته أجيال من أبطال المحليين لتدعيم صناعات النساجة فى المحلة الكبرى ! نريد أن نعرف هذا لنقدر المرحلة التى قطعها الآباء والأجداد ، والمراحل التى يجب علينا قطعها فى الحاضر ، وعلى أولادنا وأحفادنا قطعها فى القادم . وإلى أن نعرف هذا التاريخ ، على أساس المستندات الصحيحة ، نستطيع منذ الآن أن نقرر أنكم لستم أحداثاً فى صناعة النسيج ، فقد ورثتموها عن آباء ورثوها عن أجداد . ولدينا على هذا بعض شواهد ، نسوقها دليلا على اشتغالكم بها منذ مائة عام على أقل تقدير :

منها أن كلوت بك كتب فى كتابه الشهير عن مصر سنة ١٨٤٠ أنه كان فى مصر وقتئذ ١٥ وسطاً للغزل والنسج ، تنتج مليونى قطعة قماش ، وأن المحلة الكبرى كانت وسطاً كبيراً من هذه الأوساط المعدودة

ومن الشواهد أيضاً أنه لما أقامت فرنسا معرضاً عاماً فى سنة ١٨٦٧ وأراد المغفور له الخديو إسماعيل أن تمثل مصر فيه ، وقد مثلت فيه فعلا تمثيلا استقلالياً أغضب الدولة العلية وقتئذ ، وقع الخيار على أحسن ما يعرض من منتجات البلاد ومصنوعاتها ، فكان مما وقع عليه الاختيار منسوجات قطنية من المحلة الكبرى عرضت فى مجموعة رقم ٢٧ من هذا المعرض ، وصوفية عرضت فى مجموعة رقم ٢٨ ، وفوط من الصوف والحرير عرضت فى مجموعة رقم ٢٩ . وقد أثبت هذه الحقيقة التاريخية المسيو شارل إدمون المكلف من قبل الحكومة المصرية وقتئذ بتنظيم القسم المصرى فى هذا المعرض ، والذى كتب مؤلفاً خاصاً بهذا القسم وطبعه فى سنة ١٨٦٧ نفسها

وإذا كنتم قد أنتجتم من المنسوجات القطنية والحريرية ما يستحق أن يعرض باسم مصر ، وفى وقت كان لا يرضى فيه المغفور له الخديو إسماعيل أن يعرض باسم مصر إلا كل طريف وثمين ، وكنتم أنتجتم هذه المنسوجات منذ ستين عاماً ، أى منذ جيلين — فلا عجب أن تكون شهرة منسوجاتكم قد تأصلت فى البلاد . ونحن فى حياتنا لا زلنا نذكر كيف تحسنت صناعتكم ، وكيف بقيت متينة مع تعدد أصنافها ، وتنوع ألوانها ، وجمال ذوقها . . .

غير أنى لا أخدعكم فأذكر ما يحسب لكم ، وأسكت عما يحسب عليكم . وأنتم ونحن من رجال الأعمال نستعمل هذه الطريقة « الدوبية » فى الحسابات . فلم لا نستعملها فيما يشغلنا من شؤون عامة ؟

أذكر إذن ما يحسب عليكم بعد أن ذكرت ما يحسب لكم . أذكر أن مما يحسب

عليكم أنه بالرغم من توارثكم هذه الصناعة من الأجداد إلى الآباء، ومن الآباء إلى الأبناء، فانها لا تزال فى مدينتكم على حال تقرب من الفطرة . لا لأنكم لم تحسنوا شيئاً من منسوجاتكم ، فليس من العدل أن ينكر عليكم إدخال التحسين فى أصناف منسوجاتكم من حيث متانتها، ودقة صناعتها ، ورواء بهجتها؛ بل لأنكم ما زلتم تعتمدون على الأيدى بدلاً من اعتمادكم على الآلات . صحيح أن عمل اليد أدق وأمتن من عمل الآلة ، وأن هذه قد تكون ميزة المنسوجات المحلية ؛ ولكن فوائد الآلات لا تعادلها أية فائدة من صناعة اليد ولاسيما أن آلات النساجة قد دخلها من التحسين ما يجعلها قادرة على إنتاج ما لا تستطيع اليد إنتاجه من الدقة ، وخصوصاً لأن الأفق التجارى ينبغى ألا يبقى على الدوام محدوداً بكمية محدودة ، تصرف فى دائرة محدودة ؛ ويتحتم أن ينتقل من هذا الأفق المحدود ، إلى أفق أوسع مدى ، وأبعد حدوداً ، حتى لو وصل إلى حدود الغرب . والانتقال إلى هذا الأفق البعيد ، لا يتأتى بالاستمرار على الصناعة باليد — فيجب إذن أن تحل الآلة محل اليد

إن محمد على الكبير كان قد نهض بالبلاد نهضة صناعية عامة ، ما عاشت حتى ماتت ، أو كادت تكون فى حكم الأموات بموته . وهل تدرون السبب الحقيقى لتدهور الصناعة فى عصره ؟ السبب الجوهرى هى أنها قامت على وسائط يدوية أو ميكانيكية بقوة دواب الحمل . وهى قامت بهذه الوسائط فى وقت كان قد أحدث اختراع البخار ثورة اجتماعية واقتصادية هائلة ، تحولت بها الصناعات فى أوربا وأمريكا من الطرق الميكانيكية الحيوانية ، إلى الطرق الميكانيكية البخارية . فلم تستطع صناعات مصر أن تنافس مصنوعات أوربا ، فانهزمت أمامها

والآن نحن لا زلنا ، تقريباً ، عند حد الوسائط التى كانت تستخدم ، فقد كان لديكم ٢٤٥٥ نولاً سنة ١٩١٧ حسب ما تبين من المعلومات التى جمعتها وقتئذ لجنة الصناعة

والتجارة ، وربما يكون لديكم الآن ثلاثة آلاف نول . وماذا يمكن أن تصنع هذه الأنوال بجوار الملايين من الأنوال التى قد تحويها مدينة واحدة من مراكز الصناعة القطنية وحدها ؟

إن بقاءكم على هذه الحال من الأنوال قد يدوم بفضل متانة صناعتكم اليدوية ، ولكن ربحكم منها يبقى على الدوام ضئيلا محدوداً . ويستحيل ، مع هذه الحال ، أن تتحول مدينتكم إلى مركز صناعة كبرى . وهى إذا تحولت وتطورت فى أدوات عملها ، أنتجت كثيراً ؛ وأنتجت مع العناية منسوجات دقيقة متينة ، لا تقل عن دقة ومتانة اليد . ومتى أنتجت كثيراً ، بحثت عن موارد التصريف ، فوجدتها حتما داخل البلاد وخارجها ، ولاسيما فى بلاد المشرق القريب

نحن لا نريد بهذا أن نقول باحداث ثورة فى صناعات المحلة الكبرى ، وقلبها ، بين عام وآخر ، من نظامها اليدوى الحالى إلى نظام آلى ، بل نريد أن نقول إن صناعات النسيج فى القطر المصرى لا يصح أن تعتبر صناعات ذات أثر حقيقى فى رخاء البلاد وثروتها ما لم تتحول بالتدريج ، هذا التحول : من الأيدى إلى الآلات . . .

ولدينا الآن ميزة ، وهى أن العصر الحاضر هو عصر تحويل الآلات البخارية من الفحم إلى المازوت . والمازوت يستخرج من بلادنا بمقدار عدة آلاف من الأطنان ؛ ومن الميسور حجزه لحاجات القطر الداخلية مقابل الاتاوة التى تفرضها الحكومة على الشركات . وعليه فنحن نربح عند تركيب الآلات الصناعية إعدادها منذ وضعها للادارة بالمازوت ، ونربح الاعتماد فى الوقود على مادة موجودة فى البلاد

والعصر الحاضر أيضاً هو عصر الكهرباء . فترى كثيراً من الصناعات فى الغرب قد سارت شوطاً بعيداً فى طريق التحول من البخار إلى الكهرباء . أما نحن فى مصر فانه إذا تيسر لنا الانتفاع بمساقط المياه من خزان أسوان وبقية الخزانات والأهوسة

الواقعة على النيل ، كان لدينا منبع عظيم الشأن للحصول على الكهرباء اللازمة لاحياء الصناعات الكبرى فى مصر ، بدون حاجة إلى وقود من الخارج . وقد يكون من مساقط المياه القريبة من المحلة الكبرى ما يكفيكم لانشاء مصانع الغزل والنسيج بالكهرباء ، تأتيكم رخيصة ، وتستضيئون بها فى البيوت

ومما يحسب عليكم ، كما يحسب على القطر كله ، أنكم تعملون للنسيج ولا تعملون للغزل ، أى أنكم تشترون خيوطكم من الخارج . ولا يمكن أن تحيا صناعة النساجة ، وتتحول إلى صناعة كبيرة ، ما لم تكن مسبوقة بصناعة الغزل ، ومقرونة بصناعة الصباغة . ومما يؤخذ عليكم بالذات أنكم تشتغلون فى المنسوجات الحريرية منذ زمن بعيد ، وتكتنف مدينتكم الأراضى الواسعة تملكونها ؛ ومع هذا ليس فوقها أى عناية بأشجار التوت ، لتربية دود القز ، بدليل أنه لا يوجد واحد فى المحلة الكبرى يشتغل بتربيتها — فى حين أنه يوجد لديكم ٧٧ شخصاً يشتغلون بتربية النحل . ويكفى أن تأخذوا مثلا من أرباب المصانع فى منشستر ، وأن تعلموا كيف يهتمون بزراعة القطن فى جميع أنحاء العالم والتملك على ناصية المحصول اللازم لمصانعهم — لتعلموا أن الله منحنا أحسن أرض تنتج من التوت لدود القز ما يغنى عن أكبر محصول للقطن ، وما يغنى عن متابعة صناع منشستر ، إلى حقول الأمم الأخرى ، تستعمرها لغايات مصانعها الاقتصادية

إن هذا يحسب عليكم . والذى صارحتكم فيه تمام المصارحة لا ينفى الثقة فى حاضر مدينتكم ، ولا فى مستقبلها الباهر . فهى فى مصر كما كانت منشستر فى انجلترا منذ قرنين ، وكما كانت ليون فى فرنسا قبل قرن ونصف قرن من الزمان ، وكما كانت ميلوز فى الألزاس واللورين منذ مائة عام . وستصبح بعد القليل من عشرات الأعوام ، بفضل جهودكم وعنايتكم ، منشستر وليون وميلوز — مصر . وإن فى قدرتكم أن تقطعوا المرحلة المتأخرة من حياة صناعتكم بالاعتماد على الاكتشافات الحديثة . فلتثابروا على عملكم ،

وليكن أفق آمالكم واسعاً ، ولتعملوا دائماً فى حزم وإقدام . وفى مثل عملكم فليتنافس المتنافسون

سادتى :

أرانى قد أطلت الكلام عن مدينتكم ؛ وعذرى فى الاطالة أنى أحبها كما تحبونها. أنتم تحبونها كوطن صغير لكم ، وأنا أحبها كبيئة من أحسن البيئات استعداداً لصناعات الغزل والنساجة الكبرى . . .

والآن أحدثكم عن معشوقة أخرى ، ليس بينها وبين مدينتكم إلا كل محبة وصداقة وكل تضامن متين فى المصلحة العامة

أحدثكم عن بنك مصر . أحدثكم عن البنك الوطنى الحقيقى الذى يشعر بما يشعر به أهل كل جهة من جهات القطر ، ويشعر بحاجات البلاد لتحقيق استقلالها الاقتصادى ، ويعمل ، قدر جهده ، لبلوغ هذه الغاية العظمى

أحدثكم عنه ، وهو يشعر معكم بأهمية مدينتكم الحاضرة ، وبمستقبلها الباهر القريب ، ويعتبر نفسه سعيداً إذا هو اشترك معكم ، اشتراك الأخ مع أخيه ، فى المعاونة على تأسيس هذا المستقبل الجميل

إن « بنك مصر » هو فى الأصل بنك للودائع . فهو يقوم أصلا بأعمال مصارف الودائع ، من قبول ودائع ، وتسليف على بضائع ، وبيع وشراء حوالات ، وفتح حسابات ، وتسهيل معاملات ، ومقايضات ومبادلات

غير أنه لما كان « بنك مصر » قد تأسس بأموالكم وأموال المصريين ، وقام بادارة مصريين ، فقد كان من الطبيعى ألا يقف عند حدود مصارف الودائع ، دون أن يشعر بحاجات البلاد إلى المشروعات الاقتصادية والمالية النافعة ، ويسعى إلى تحقيقها ما وجد إلى هذا السعى سبيلا . وهو قد وفق إلى هذا السعى ، بفضل الله وفضل نجاحه

وفائض أرباحه . وطريقة هـذا هو أن قرر المساهمون فيه ألا يحصلوا على حصتهم فى الأرباح كاملة ، بل أن يكتفوا منها بحصة معقولة ، بلغت فى العام الماضى سبعة ونصفاً فى المائة ، على أن يخصص باقى الأرباح : بعضه لاحتياطى إضافى ، خلاف الاحتياطى القانونى ، وبعضه للمساهمة فى المشروعات المالية الاقتصادية النافعة ، تشجيعاً لها وتعضيداً لتحقيق نفعها للبلاد . وهـذا الفائض قد أخذ منه فى العام الماضى مبلغ عشرين ألف جنيه ، ساهم بها البنك فى تأسيس مطبعة مصر ، وفى تأسيس مصنع ورق ، وفى تأسيس شركة لتجارة وحليج الأقطان

ولا شك أنه إذا استمر البنك على هذا النجاح — وليس ما يوجب الشك مطلقاً فى استمرار نجاحه — وإذا استمر المساهمون على الاكتفاء بحصة من الأرباح ، مثل حصة السنة الماضية ، أو أزيد منها قليلا — وليس ما يوجب الشك فى حكمة تصرف المساهمين — فان النتيجة الطبيعية هو أن يفيض بالتدريج مبلغ كبير من المال ، غير مأخوذ من رأس مال البنك ، الذى لا يمس بأى حال من الأحوال ، ولا من احتياطيه ؛ بل مأخوذ من أرباح المساهمين ، لايداعه فى المشروعات الوطنية النافعة . فاذا تحقق ربحها — كما هو المأمول — عاد الربح إلى المساهمين من جديد . فيكونون قد استغلوا ، بشىء من أرباحهم ، رأس مال جديد ، يقوى من شوكة البنك وعظمته . وإذا ، لا قدر الله ، لم يتحقق الربح المنشود ، خلافاً لكل تقدير ، فان الخسارة فى هـذه المشروعات لا تخرج عن حدود مساهمة البنك فيها . وفى هـذه الحالة تعتبر الخسارة كزكاة عن أموال المساهمين وجهت فى طريق المشروعات الاقتصادية . والتجربة الاقتصادية إذا عملت ولم تنجح فى ربحها ، لاقدر الله ، فانها تجربة لها قيمتها ، تعتبها تجربة أخرى رابحة ، يقوم بها البنك ، أو يقوم بها سواه

ولا ريب أن تشجيع صناعات الغزل والنسج يدخل فى الأغراض التى يرمى

إليها تعاون البنك على أساس الاعتبارات المتقدمة ، أعنى عن طريق التسليف بضمانات أو عن طريق المساهمة من فائض الأرباح فى الشركات

إن « بنك مصر » الذى نحتفل اليوم بافتتاح فرع له فى المحلة الكبرى ، هو إذن بنك عموم الطبقات من المحليين . ففيه يودع صاحب المال أمواله ، يسحبها وقت أن يشاء ، وينتفع بفائدتها دون أن يعرض لخطر سرقتها . وفيه تودع البضائع والمنتجات ، ويسحب عليها المودعون ما تستحق من المبالغ سلفاً إلى أن يحين وقت بيعها أو تصريفها . وفيه تقطع الحوالات ، وتجرى عموم المعاملات التجارية . وفيه يجد المحليون ، قوة تعاون مدينتهم على ما يهمّ من المشروعات الخاصة أو العامة

وإنى ، فى الختام وباسم الله العلىّ العظيم ، أعلن افتتاح فرع بنك مصر فى المحلة الكبرى ، وأرجو أن يكون عهده فى هذه الجهة عهد يسر ورخاء ، وأدعو حضراتكم أن تدخلوه وتعاملوه بسلام آمنين

نداء الى الامة المصرية الكريمة

للاكتتاب العام فى أسهم الشركة المساهمة المصرية

لتجارة وحليج الأقطان

لما انتعش بنك مصر وقوى ساعده ، بتوفيق الله تعالى وتعاضد المصريين ، وبقى من فائض أرباحه السنوية شيء من المال وقفه المساهمون على إحياء الصناعات الوطنية وتشجيعها ، قويت الآمال فى ألا يقف الجهد الانشائى الصناعى فى دائرة واحدة من الأعمال ، وفى أن يمتد هذا الجهد إلى مختلف مظاهر الحياة الصناعية فى القطر

ولما كان القطن هو مدار الثروة القومية ، ومحور الرزق المتداول فى كل عام بين أيدى الأفراد على مختلف طبقاتهم ، فقد كان من المعقول ألا يقتصر المصريون على زراعته ، وتحسين أنواعه ، والحرص على سمعتها ، وأن يتركوا ميادين استغلاله التجارى والصناعى ، فى أيدى الغير دون أن يكون لهم فى هذا الاستغلال أى نصيب

لهذا كان من الطبيعى أيضاً أن تتجه أنظار المفكرين العاملين فى هيئة بنك مصر وأصدقائه وأنصاره العديدين فى البلاد ، إلى الانتقال من دور الزراعة فى القطن ، إلى أدواره الأخرى الصناعية والتجارية

وكان من الطبيعى أيضاً عند هذا الانتقال ، أن يؤخذ القطن فى حالاته الصناعية والتجارية من أساسه ، بعد خروجه من الغيطان . وهذا بأن يشترى من أيدى المزارعين بطريقة شريفة ، خالية من المخادعة ، آمنة من التلاعب ، وصائنة لمصالح المزارعين ؛ وبأن يحلج حلجاً صالحاً لا غش فيه : تنوع أصنافه ، وترتب رتبه ، ويعرف معدل حليجه بالصدق — وتجرى المعاملة فى كل هذا بأسعار معتدلة ، لا غبن فيها على المزارعين

من أجل تحقيق هاتين الغايتين : الغاية التجارية ، وهى شراء الأقطان وشحنها ونقلها ، والغاية الصناعية ، وأولى حلقاتها الحليج — تم الاتفاق بين بنك مصر وجماعة من أعيان المصريين وأفاضل رجالهم العاملين على تأسيس شركة مساهمة مصرية لتجارة وحليج الأقطان ، برأس مال أولى قدره ٣٠٫٠٠٠ جنيه مصرى ، مقسمة إلى ٧٥٠٠ سهم ، كل سهم منها بأربعة جنيهات مصرية ، دفعوا قيمتها بأكملها قبل التصديق على عقد اتفاقهم فى شهر مايو سنة ١٩٢٤

وبعد هذا العقد الابتدائى لم يبق إلا السعى لاصدار المرسوم الملكى لتأسيس هذه الشركة ، وإعلان قانونها الأساسى ، وفقاً للقوانين المعمول بها فى البلاد . وقد صدر هذا المرسوم فعلا بالعقد الابتدائى والقانون الأساسى فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٤

وقد جاء فى عقد الاتفاق الابتدائى وفى المادة ٢ من القانون الأساسى تحديد أغراض الشركة كما يأتى : —

« مادة ٢ — غرض الشركة أن تتعاطى ، سواء لحسابها أو لحساب الغير ، جميع عمليات القطن أو بذرة القطن أو أى محصول زراعى آخر . وتقوم على الأخص بالعمليات الآتية : —

« شراء القطن ، محلوجاً كان أو غير محلوج ، على أن يكون التسليم فوراً أو لأجل بعقد أو بخلافه ، من الأسواق الرسمية أو فى أى مكان آخر

« شراء بذرة القطن أو أى محصول آخر بنفس الشروط المتقدمة

« بيع جميع ذلك فى مصر أو فى الخارج

« شراء أو إنشاء أو تركيب معامل للحلاجة وللكبس

« استئجار أو تأجير هذه المعامل واستثمارها

« كما أنها تقوم بجميع عمليات الحليج والكبس والقومسيون والنقل والصناعة والتخزين والتأمين والأعمال المالية التى يكون لها أى ارتباط بانتاج أو تجارة أو صناعة

القطن ، أو أى محصول زراعى آخر ، والقيام بالأعمال التى تؤدى لحفظ وتحسين أنواع هذه المحصولات ، ولثبات أو تحسين أثمانها

« وتقوم الشركة بجميع العمليات ، وتعقد جميع الاتفاقات التى من شأنها ترقية أعمالها المختلفة »

ومع أن وجود الشركة لم يثبت قانوناً إلا بعد اتخاذ هذه الاجراءات القانونية المشار إليها ، فان بنك مصر ، معتمداً على ثقته فى المصريين ، شرع قبل إصدار المرسوم فى تشييد وإقامة وابور للحليج فى مغاغة . وقد اختارت الشركة المصرية مغاغة مركزاً لبداية حياتها العملية لأسباب كثيرة ، منها أن أهالى هذه المنطقة من الوجه القبلى كانوا أسبق مناطق القطر المصرى رغبة فى تشييد وابور للحليج بها . كما أن منطقة المحلة الكبرى هى أسبق مناطق الوجه البحرى رغبة فى تشييد وابور آخر بهذه الجهة

ومع أن وابور مغاغة لم تبدأ إدارته فى هذا الموسم إلا فى أوائل شهر نوفمبر الماضى — أى بعد بدء موسم الوجه القبلى بشهرين — فان حركة الاقبال عليه بعشرات الآلاف من قناطير الأقطان تجعل الأمل فى مستقبله عظيما . ومما يزيد ارتياحنا أن وجود وابور الحليج فى مغاغة قد حول أسعار الحليج مما يشبه الاحتكار إلى الاعتدال فى الأسعار ، فخفضت بمقدار ٤٠ فى المائة عما كانت عليه فى السنة الماضية — ولا يخفى أن هذا التخفيض لمصلحة المزارعين . ومع هذه النسبة المخفضة ، فان الشركة المساهمة المصرية ، تستطيع أن تقرر ، منذ الآن ، أن تجاربها فى الشهرين الماضيين تدل على أن عملية الحلاجة عملية رابحة فى ذاتها ، وأن ليس ما يحمل على الاعتقاد أن تكون فى المحلة الكبرى أقل ربحاً منها فى مغاغة

والشركة ، مهما تعددت وابورات حليجها ، شركة واحدة بسهوم واحدة لجميع الوابورات ، وأرباح واحدة توزع على المساهمين بمشيئة الله تعالى . أى أن لكل وابور ،

بطبيعة الحال ، حساباً خاصاً من حيث إيراداته ومصروفاته . ولكن للشركة حساباً عاماً ، يجمع الايرادات والمصروفات الخاصة بجميع فروع الشركة ، أى وابوراتها وخلافها . وهذا الحساب العام هو الذى يستخلص من ناتجه أرباح الشركة ، وتوزيع حصصها على المساهمين . وفى هذا معنى للتضامن واجب فى ذاته بين المصريين . وفيه أيضاً المصلحة التامة لجميع المساهمين مهما اختلفت مناطق جهاتهم : فيه المصلحة من جهة تبادل المنافع فى تكوين الأشخاص اللازمين لحسن إدارة الوابورات وفروع الشركة ، ومن جهة توحيد جهات مشتريات الخامات بالجملة ، ومن جهة توحيد مصادر المراجعة العامة ، فى الادارة المركزية للشركة ، بدلا من تعددها بالنسبة لكل وابور ، ولكل فرع من فروع الشركة

وما كاد يشرع بنك مصر ، بمعاونة أنصاره ومؤيديه ، فى بناء وابور مغاغة أثناء السنة الماضية ، حتى جاءت الطلبات تترى ، من جهات شتى ، بتأسيس وابورات بها للشركة المساهمة المصرية . ثم ظهر أن وابور حليج مغاغة قد تكلف نحو خمسين ألفاً من الجنيهات ، بين شراء أرض ، وثمن بناء ، وإقامة آلات ومعدات . وعندئذ ظهرت الضرورة القصوى فى زيادة رأس المال الأولى ، فعقدت لهذه الغاية ، من المساهمين فى الشركة ، جمعية عمومية بالقاهرة فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢٤ ، قررت بالاجماع زيادة رأس مال الشركة إلى مائتى ألف جنيه مصرى ، وصرحت لمجلس الادارة باصدار هذه الزيادة على دفعة واحدة ، أو عدة دفعات ، حسب مايتراءى له ، وبالشروط والطريقة التى يراها

وبناء على هذا القرار قرر مجلس الادارة ، فى جلسته المنعقدة بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، زيادة رأس مال الشركة فى هذا العام ستين ألف جنيه مصرى ، ليكون رأس المال تسعين ألفاً باصدار ١٥٫٠٠٠ سهم ، كل سهم منها بأربعة جنيهات

مصرية . وجعل الاكتتاب عاماً ، مع إعطاء الأولوية للمساهمين الأصليين ، طبقاً لقرار الجمعية العمومية

وقد لاحظ مجلس الادارة فى الاكتفاء بجعل الزيادة ستين ألف جنيه مصرى فى هـذا العام ، ليسد بجزء منها الباقى من نفقات تأسيس وابور مغاغة ويجعل معظم المبلغ الباقى ، وقدره من أربعين إلى خمسين ألف جنيه مصرى ، وقفاً على تأسيس وابور المحلة الكبرى

وقد تم فعلا الاتفاق مع محل سولزر على إقامة وابور المحلة الكبرى ، على أحسن طراز ، بستين دولاباً قابلة لأن تبلغ ١٢٠ دولاباً . كما تم الاتفاق مع أحد كبار المقاولين على تشييد بنائه فوق قطعة أرض بالغة أزيد من سبعة فدادين ، اشتريت فى العام الماضى بالقرب من محطة سكة حديد المحلة الكبرى لهذه الغاية

هـذا من جهة الأعمال العاجلة التى تقوم بها الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان

أما من جهة ما تنوى أن تقوم به الشركة ، خلاف ما تقدم ، فأهمه الشروع فى عمليات شراء الأقطان ، بشرط مراعاة الاحتياط فيها ، وجعلها تجارية محضة ، بعيدة عن فكرة المضاربة . والأمل عظيم فى أن المساهمين فى الشركة على الأقل يجعلون لها حق الأسبقية فى شراء أقطانهم ، وأن الشركة تقدم لهم من جهتها أحسن الشروط لشرائها . ولهذه العمليات فوائد عدة . منها أن كل وابور يجد من الأقطان الكمية الكافية لتغطية مصاريفه ، بحيث يكون ما يجىء بعد ذلك من إيرادات حليج الأقطان الأخرى ربحاً صافياً للشركة . ومنها ، وهى أهمها ، إنماء فكرة التعاون فى البلاد ، وذلك بأنه متى اتسعت دائرة شراء الأقطان ، بواسطة شركة مساهمة مصرية ، كالشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان ، وكانت أسهمها فى أيدى المصريين أنفسهم ، أى فى أيدى المزارعين —

كانت هذه الشركة نفسها مدرسة تعاون اقتصادية ، تشجع بطبيعة وجودها على التعامل مع الهيئات التعاونية ، كالنقابات الزراعية ، لتسهيل التعامل معها جملة فى البيع والشراء . وأما الفائدة الأخيرة ، فهى المقصد البعيد ، الذى ينبغى أن ترمى إليه جهود المصريين ، ونعنى به أن يتكون من تنظيم شراء الأقطان فى الداخل أسلوب اقتصادى يمكن أن يحفظ به التوازن بين العرض والطلب فى تحديد أسعار الأقطان ، وأن يتقى به أخطار التلاعب فى أسعارها

كذلك تفكر الشركة فى وسائل النقل بواسطة النيل . ويشتغل مجلس إدارتها الآن فى شراء عدة رفاصات وصنادل ، لنقل الأقطان بها عن طريق النيل ، من مغاغة والمحلة الكبرى وبقية جهات القطر ، أقصاها وأدناها ، إلى الاسكندرية . والمنظور أن تتطور فكرة النقل ، وتتقدم وسائطه تدريجاً بما يدعو إلى القيام بتأسيس شركة مصرية مساهمة للنقل ، مستقلة ، لايزال مشروعها موضع النظر والبحث بين أيدى « بنك مصر »

كما تفكر الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان أيضا فى استغلال رأس مالها المودع فى آلات وابورات الحليج أثناء عطلة موسم القطن . فان من المعلوم أن موسم الحليج ، لايدوم فى متوسطه أكثر من ستة أشهر . فاذا استطاعت الشركة أن تنتفع بآلاتها وعددها الموجودة فى وابورات الحليج ، مدة العطلة ، كانت الفائدة مزدوجة . وهى تفكر فى هذا الانتفاع بدراسة مشروعات صناعية تلحق بصناعة الحليج ووابوراته . من ذلك مشروع لصناعة الزيت ، وصناعة الصابون ، يدرس على أن يلحق بوابور مغاغة ؛ ومشروع لصناعة القطن الصحى النظيف ، يدرس على أن يلحق بوابور حليج المحلة الكبرى . وفى أرض الوابورين فضاء لوحظ فيه قيام مثل هذه المشروعات الصناعية الحيوية للبلاد ، كما يدرس أيضا مشروع لصناعة الغزل والنسج

بالمحلة الكبرى يلحق بوابور الحليج ، أو يكون مستقلا تقوم به شركة مساهمة مصرية خاصة بهذا النوع الهام من المجهود الصناعى

وبالجملة إن فى ميدان العمل الانشائى النافع لمتسعاً للجميع ؛ وفى ميدان هذا العمل الصناعى والتجارى يقوم رخاء البلاد ، وتتوافر أسباب الأعمال للمصريين . وبقدر تحقيق كل حلقة من حلقات الرقى الصناعى والتجارى يتحقق الاستقلال الاقتصادى

فهلموا أيها المصريون إلى الأخذ بأيدى إخوانكم العاملين لمصلحة البلاد وخيرها وخيركم ، هلموا فاقتصدوا من أموالكم ، واجعلوا من توفيركم إياها حظاً لانشاء الشركات الصناعية والتجارية فى البلاد

وها هى ذى الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان تمد يدها إليكم ، وتدعوكم أن تشرعوا إلى الاكتتاب فى سهومها حتى يبنى كل منكم بقدر مجهوده شيئاً من هيكل الاستقلال الاقتصادى للبلاد . هلموا إلى الاقبال على الأعمال النافعة المنتجة ، فقد فاز بتقدير الوطن من كان أسبق من سواه فى توفير أسباب رخائه واستقلاله الحقيق ؟

أعضاء مجلس إدارة

الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان

الرئيس

أحمد مدحت يكن (باشا)

عضو مجلس الادارة المنتدب — عضو مجلس الادارة المنتدب

محمد طلعت حرب (بك) — الدكتور فؤاد سلطان

محمد الشريعى (باشا) — عبد العظيم المصرى (بك) — محمد ثروت (بك)

واجهة البنك الخارجية

كلمة مجلس الادارة

فى حفلة وضع الحجر الأساسى

لبنـــك مصر

حضرات أصحاب الدولة والمعالى

حضرات السـادة الأفاضـل

باسم مجلس إدارة بنك مصر نشكر حضراتكم على تفضلكم باجابة دعوتنا والاشتراك معنا فى وضع الحجر الأساسى لبنك مصر

وإثباتاً لهذا الاشـــتراك ندعو حضراتكم أن تزيدوا الفضـل فضلاً ، فتوقعوا بامضاءاتكم محضر هذا الاجتماع . وقد أعددنا لهذه الغاية محضراً سنتلوه على حضراتكم الآن ، وكتبناه من صورتين : واحدة لايداعها داخل صندوق به قانون البنك ، ومحاضر جمعياته العمومية ، وقطعة من كل فئة من فئات العملة الذهبية المضروبة فى عهد جلالة الملك فؤاد الأول والمحلاة بصورته الكريمة . وسيوضع هذا الصندوق بحضوركم فى ركن من أركان هـذه العمارة . والصورة الأخرى لحفظها ضمن محفوظات البنك ، أو وضعها داخل إطار ، وإبقائها تحت الأنظار كتذكار قائم ليوم من الأيام التاريخية فى حياة البنك

وهذا هو المحضر نتلوه على حضراتكم ، راجين أن يحوز قبولكم ، وأن يحظى بتوقيعاتكم عليه :

محضر

وضع الحجر الأساسى فى بناء « بنك مصر »

بشارع عماد الدين بالقاهرة

إنه فى يوم السبت ١٦ شوال سنة ١٣٤٣ هجرية الموافق ٩ مايو سنة ١٩٢٥ ميلادية وأول بشنس سنة ١٦٤١ قبطية ، بناء على دعوة مجلس إدارة « بنك مصر » ، اجتمع فى الساعة الخامسة بعد الظهر حضرة صاحب المعالى أحمد مدحت يكن باشا رئيس مجلس إدارة البنك ، وبقية أعضائه ، وبعض وزراء الدولة الحاليين والسابقين ، وكثير من كبار العلماء والأعيان والموظفين ، فوق بناء الأساس المعدّ لاقامة عمارة « بنك مصر » رقم ١٨ بشارع عماد الدين ، للاحتفال بوضع الحجر الأساسى لهذه العمارة . .

والموقعون على هذا يقررون أنهم اجتمعوا فى الموعد السابق الذكر ، وأنهم اشتركوا فى وضع الحجر الأساسى لبناء البنك فى ركن من أركانه ، حيث أودع هذا المحضر داخل صندوق فيه القانون الأساسى للبنك ومحاضره عن السنين الخمس من حياته . وفيه بعض قطع العملة المصرية المتداولة فى الوقت الحاضر ، والدالة بما فوقها من رسم جلالة الملك المفدّى فؤاد الأول (حفظه الله وحفظ ولى عهده الأمير فاروق) على أن وضع الأساس هذا كان فى عصره السعيد ، كما أن البنك نفسه تأسس فى عهد حكمه بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٢٠

وإن من علامات الطمأنينة والرخاء فى عهده السعيد ، وعلامات اهتمام الأمة المصرية بهذا البنك الرشيد ، الذى هو أول بنك مصرى ، تأسس برؤوس أموال مصرية ، فى شكل شركة مساهمة مصرية ، أن تم الاكتتاب فى رأس ماله ، وقدره نصف

مليون جنيه مصرى ، وأن تم وضع هذا الحجر الأساسى والبنك لما يزل فى السنة الخامسة من حياته

ويقرر الموقعون على هذا أنهم شاهدوا الرسم الذى وضعه المهندس المعمارى (لاشاك بك) والذى صادق عليه رئيس لجنة انتخاب الرسوم التى تقدمت فى مسابقة بناء البنك ، حضرة صاحب المعالى عبد الحميد سليمان باشا وزير الأشغال العمومية وقتئذ ، والمدير العام لمصلحة السكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات الآن ، فرأوا أنه عبارة عن بناء فخم من ستة أدوار . كما يقررون أنهم شاهدوا أن الأسس قد دكت دكا بطريقة السمنت المسلح ، وبمعرفة مقاول البناء المسيو ليون رولان وشركائه . وأن هذه الأسس قد بلغت فى حالتها اليوم مستوى سطح شارع عماد الدين

ويقررون أنه تقرباً إلى الله تعالى ، وابتهاجاً بهذا اليوم السعيد ، قد شاهدوا الذبائح تذبح وتوزع على الفقراء والمعوزين

جعل الله هذا المكان مكاناً مباركاً ، وطرح فى أسسه الخير ، وقاد كل عامل فى هذه الدار المباركة إلى كل خير لصالح المصريين ، وصالح الأمة المصرية ، وصالح الانسانية

ويثبتون فى هذا المحضر تحياتهم القلبية إلى ذريات الأمة المصرية الأبدية ، ويوصون العاثر على هذه الأوراق — بعد أجيال من حياة البنك إن شاء الله تعالى — أن يودعها فى أقرب معهد لحفظ مستندات التاريخ المصرى ، دليلا على أن بنك مصر هو أول مصرف مصرى ، تأسس فى حياة الأمة المصرية فى وقتنا الحاضر . والسلام

ثم يلى ذلك إمضاءات أعضاء مجلس إدارة بنك مصر وإمضاءات المدعوين الحاضرين على محضر الجلسة ، وعلى صورة مطابقة له تحفظ بالبنك

قصيدة أمير الشعراء

أحمد شوقى بك

التى ألقيت فى الاحتفال بوضع الحجر الأول فى أساس بنك مصر

نُراوَح بالحوادث أو نغادَى ... ونُنكرها ونُعطيها القِيادا
ونحمَدُها وما رعَتِ الضحايا ... ولا جزَتِ المواقف والجهادا
لحاها الله! باعتنا خيالا ... من الأحلام واشترتِ اتحادا
مشينا أمسِ نلقاها جميعاً ... ونحن اليومَ نلقاها فرادى
أضلّتنا عن الإصلاح حتى ... عجَزنا أن نناقشَها الفسادا
تلاقينا فلا نجد الصياصى ... ونلقاها فلا نجد العَتادا
ومن لقِىَ السباع بغير ظفْر ... ولا نابٍ تمزق أو تفادى
خفضنا من علوّ الحق حتى ... توهمنا السيادة أن نُسادا
ولما لم ننل للسيف ردًّا ... تنازعنا الحمائل والنِّجادا
وأقبلنا على أقوال زور ... تجىء الغىّ تقلبه رشادا
ولو عُدنا إليها بعد قرن ... رحمنا الطِّرس منها والمدادا
وكم سحرٍ سمعنا منذُ حين ... تضاءل بين أعيننا ونادى!
هنيئاً للعدو بكل أرض ... إذا هو حلّ فى بلدٍ تعادى
وبُعداً للسيادة والمعالى ... إذا قطعَا القرابة والودادا
ورُبَّ حقيقةٍ لابد منها ... خدعنا النَّشءَ عنها والسوادا
ولو طلعوا عليها عالجوها ... بهمّة أنفس عظُمت مرادا

تُعِدّ لحادث الأيام صبرًا ... وآونةً تعِد له عتادا
وتخلف بالنّهى البيضَ المواضى ... وبالخُلق المثقفةَ الصِّعادا
لمحنا الحظ ناحيةً فلما ... بلغناها أحسَّ بنا فحادا
وليس الحظ إلا عبقرىٌّ ... يحب الأَرْيحيَّة والسدادا
ونحن بنو زمان حُوَّلِىٍّ ... تنقّل تاجراً ومشى وَرَادَا
إذا قعد العِبَادُ له بسوق ... شَرى فى السوق أو باع العبادا
وتُعجبه العواطف فى كتاب ... وفى دمع المشخّص ما أجادا

* * *

يؤمّننا على الدستور أنَّا ... نرى من خلف حوزته فؤادا
أبو الفاروق نرجوه لفضل ... ولا نخشى لما وَهَبَ ارتدادا
ملأنا باسمه الأفواه فخراً ... ولقبناه بالأمس «المكادا»
نناجيه فنَسترعِى حكيما ... ونسأله فنَستجدى جوَادًا
ولم يزلِ المحبَّب والمفدَّى ... ومرهَم كلِّ جُرح والضِّمادا

* * *

تدفقَ مصرفُ الوادى فروَّى ... وصابَ غمامُه فسقى وجادا
دعا فتنافست فيه نفوسٌ ... بمصرَ ، لكل صالحة تنادى
تُقَدِّم عونَها ثقة ومالا ... وأحيانا تُقدّمه اجتهادا
وأقبل من شباب القوم جمع ... كما بَنَتِ الكهولُ بنى وشادا
كأن جوانب الدار الخلايا ... وهم كالنحل فى الدار احتشادا
فيادارًا من الهمم العوالى ... سُقيتِ التبر لا أرضَى العِهادا
تأنَّى حين أسَّسَك ابنُ حرب ... وحين بنى دعائمَك الشدادا

ولا تُرجَى المتـــانةُ فى بناء ... إذ البنّاءُ لم يُعـط اتِّئـــادا
بنى الدارَ التى كنا نراها ... أمانىّ المخيّـــــلِ أو رقادا
ولم يبعُـــد على نفس مرامٌ ... إذا رَكبتْ له الهممَ البعـادا
ولم أرَ بعـــــد قدرته تعـالى ... كمقدرة ابن آدم إن أرادا
جرى والناسُ فى ريب وشكٍّ ... يروم السبق فاغترق الجيـادا
وعودىَ دونهـا حتى بنـاها ... ومن شأن المجدِّد أن يُعـادى
يهون الـكيد من أعْدى عدو ... عليك إذا الولىّ سعى وكادا
فجاءت كالنَّهـــــار إذا تجلّى ... علوًّا فى المشـــارق وانطيادا
نصون كرائم الأموال فيها ... ونُـنزلها الخزائنَ والنضادا
ونُخرجها فتكسِب ثم تـأوى ... رجوعَ النحل قد حمّلن زادا
ولم أرَ مثلهـــا أرضا أغلّت ... وما سُقيت ولا طعِمت سمادا
ولا مســـــتودَعا مالاً لقوم ... إذا رجعـــــوا له أدّى وزادا
ومن عجب نُشبّهـا أصولا ... وتلك فروعهـا تغشى البـلادا
كأن القطر من شـوق إليها ... سمـا قبل الأساس بهـا عمادا
ولو ملـكت كنوزَ الأرض كفّى ... جعلتُ أسـاسها ماساً ورادا
ولو أن النجوم عَنتْ لحـكمى ... فرشتُ النـيّرات لهـا مِهادا

سوقى

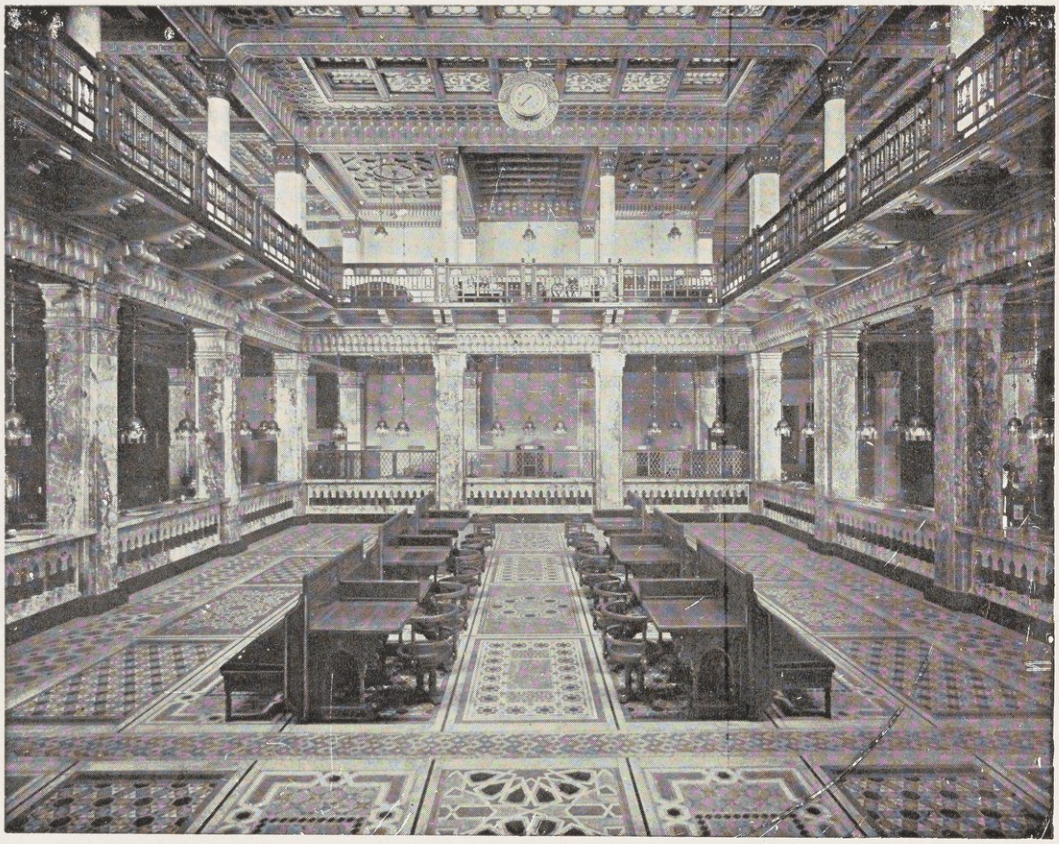

بنك مصر منظوراً من الدور الأرضي

خطاب طلعت بك حرب

فى المأدبة التى أقيمت له فى بيروت

فى أوائل يوليو سنة ١٩٢٥

سادتى الأفاضل :

أحيي حضراتكم أجمل تحية ، وأشكركم أجزل شكر على حسن لقائكم ، ورقيق إحساساتكم التى هيأت لى أسعد فرصة للاجتماع فى هذا المكان بصفوة من أكرم رجال سوريا ولبنان

وإذا كان الكتاب ، أيها السادة ، يعرف من عنوانه ومقدمته فان ما شاهدناه فى طريقنا من فلسطين إلى لبنان ، وما رأيناه فى بيروت وضواحيها الغناء ، وما تمتعنا به من لطف أهلها ، واعتدال مناخها ، وجمال مناظرها ـ أفصح عنوان وأبلغ مقدمة تنمّ عما وراءها من بلدان ، وتجعلنا — ونحن لأول مرة نزور بلادكم الجميلة — نزداد تعطشاً إلى ارتياد بلدانها وقراها ، واجتياب سهولها وبقاعها ، وتسلق جبالها ، والتصعيد فى مرتفعاتها ، وتتبع أنهارها ، والاستقاء من عيونها ، وشهود شمسها فى شروقها وغروبها ، وسمائها فى ليلها ونهارها . ونحن بين هذا وذاك نستمتع بمرأى شعب عامل معروف بوفرة الذكاء الفطرى ، ودماثة الخلق الشرقى ، ومتانة التكوين الجسمى . مشهور بالجد فى الزراعة ، يفتت الصخر فى الجبل ليبسط الأرض ، فيزرع التوت والكرم ، وما لا مثيل له من أشجار الفاكهة فى الشرق . أو يتنقل فى السهول ، من واد إلى واد ، حسب الفصول ، فيبذر البذور ، ويذرى الحصاد ، ويجنى الثمار ، ويدر الذهب النضار ، يجرى حلالا متداولا فى صناعة أو تجارة . نعرفكم أهل كفاية ممتازة كأن مهارة

أجدادكم الفينيقيين قد انتقلت إليكم بالارث جيلا بعد جيل

وهذا هو جبل لبنان بالذات ؛ قد حباه الله من حسن الموقع ، وجمال المنظر ، ما دعا إلى اعتباره مصيفاً جبلياً فريداً فى نوعه فى بلاد الشرق القريب : فيه من الجبال الشاهقة ، والقرى المنتشرة فى مختلف المرتفعات ، ما يحبب الاقامة فيه زمن الصيف . وفيه من غابات الأرز والزيتون والصنوبر والسنديان وما شاكل — مهما اعتدت على الغابات يد الزمان — ما يجعل لبنان فى الشرق جديراً بأن يكون مثل سويسرا فى الغرب

وقديماً عشق المصريون لبنان ، وقدروا جمال موقعه وأهميته فى الجناح الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، فقصدوا إليه متحابين غير متعادين . فقد أثبتت اكتشافات تل العمارنة على ضفة النيل الشرقية وجود مراسلات من حاكم بيروت وبعض حكام لبنان إلى أمينوفيس الثالث وخلفائه ، من فراعنة القرن الخامس عشر قبل المسيح . ولو أضفنا إليها ما عثر عليه من آثار مصرية فى بلادكم ، وما نقش من كتابة هيروغليفية فى صخور مضيق لبنان الحربى الشهير — لعرفنا أن صلتنا التاريخية بكم ترجع إلى عهد رمسيس الأول ، فى القرن السابع عشر قبل المسيح

وحديثاً عادت الصلة بيننا وبينكم فى النصف الأول من القرن الماضى . وقد عاون على إيجادها واحد منا ، هو القائد إبراهيم باشا نجل المغفور له محمد على باشا الكبير . وواحد منكم هو حاكم لبنان المرحوم الأمير بشير شهاب الثانى . وإذا كان معظم المستندات الرسمية عن هذا العصر لا يزال فى طى الكتمان ، فاننا نعلم مما كتبه بعض أفاضل مؤرخيكم الحديثين ، أنهم استنتجوا من أبحاثهم أن بقاء المصريين نحو عشرة أعوام فى سوريا ولبنان كان ذا أثر عظيم فى حياة البلدين . وفى اعتقادنا أن إجماع الدول — ما عدا فرنسا — وقرارها فى سنة ١٨٤٠ بقطع هذه الصلة من وتينها قد غير مجرى الأمور تغييراً جوهرياً ، لولاه لم يعلم غير الله وحده كم كان يتعدل مصير الشعوب نفسها فى الشرق

على أن انقطاعها قد أعقبته القلاقل والاضطرابات والأزمات الاقتصادية فى لبنان، فهرع أبناؤه إلى المهجر فرادى وزرافات، فأصابت مصر من مهاجريكم عدداً من الرجال كان لهم الفضل فى عودة هذه الصلة من جديد بين مصر ولبنان. ولكنها عادت فى صورة أخرى. عادت فى صورة طائفة ذكية، نشيطة، مثابرة على العمل، لا تشعر بكلل ولا ملل، فضربت فى مختلف الأعمال بسهم، وفازت فى كل منها بالقدح المعلى. دخلت ميدان الأعمال التجارية والزراعية فأثرت، وأصبح أبناؤها من الأغنياء الذين يشار إليهم بالبنان. ودخلت دور الحكومة فكان منها الادارى الحازم، والقاضى والمستشار الجليل. ودخلت ميدان التأليف والطباعة فكان لها من المؤلفات بين دائرة معارف وقواميس وكتب علم وأدب ما يحسب ذخيرة نفيسة فى حياة الناطقين بالضاد. ودخلوا الصحافة منذ نصف قرن فكانوا فيها بمثابة مرشدين لأبناء البلاد فى تحرير الصحف على أحسن مثال. والغالب من أبناء الجالية السورية واللبنانية يقاسموننا آلامنا وأفراحنا ويتفقون معنا قلباً وقالباً فى جهادنا وأمانينا، حتى إن الكثير منهم أصبح مصرياً فى جنسيته، لا يفكر فى العود إلى موطنه الأصلى، ولو أنه يحفظ له فى نفسه أجمل ذكرى وأوفى احترام؛ وأولادهم أصبحوا مصريين بمولدهم وذوقهم وتهذيبهم

مثل هذه الطائفة، أيها السادة، قد خسرتها بلاد لبنان بقدر ما ربحتها بلاد مصر. وهى بيننا وبينكم صلة أدبية وواسطة عرفان وتوادّ وتحاب؛ نعتز بها لذاتها ولأنها أصبحت جزءاً منا، لها ما لنا وعليها ما علينا؛ ونحرص عليها لأننا نراها مظهراً من مظاهر الجبل فى علوه وشماخته، قد امتزج بالنيل فى عذوبته ووداعته

ومع هذا فان حاجة بلادكم إلى أيد عاملة ورجال عاملين أمر مشهور تغنى الاشارة فيه عن البيان. وإذا كان شبان سوريا قد بلغوا، على ما روى التاريخ، فى وقت من العصور القديمة خمسة عشر مليون نفس أو يزيدون، أفلا يكون مما يستدعى التدبر

والتفكير هبوط عدد سكانها إلى ثلاثة ملايين من النفوس ؟

نعم قد كان لحوادث التاريخ أكبر أثر فى الوصول إلى هذه النتيجة ، غير أن بلاداً مثل بلادكم فيها الأرض ذات التربة الخصبة ؛ بلاد قابلة لانتاج الحاصلات كما أنتجتها فى الماضى حتى كانت أكبر مستودع غلال للامبراطورية الرومانية ؛ بلاد تجرى فيها الأنهار بالمياه فتروى الملايين من الفدادين رياً صناعياً بجوار رى الأمطار ؛ بلاد فيها العيون تتفجر وتتساقط من شاهق ويكفى حبسها لتوليد القوى الكهربائية المحركة تغنى عن طواحين الهواء وتبدل من طرق الصناعة فى النسج والحرير ؛ بلاد فيها من المعادن ما كان فى عهد الفينيقيين مضرب الأمثال فى صناعات التعدين ؛ بلاد فيها وفيها ما لا أدرى من وسائل الخيرات فوق الأرض وفى جوف الأرض مايصح أن تغبط عليه ؛ بلاد قابلة للرقى الاقتصادى فى جميع نواحى الانتاج الزراعى والصناعى والتجارى ـ هذه البلاد ، أيها السادة ، ليس يغنيها شىء من استكمال هذه العناصر وحدها بل لابد أن تكون فوق ذلك وقبل ذلك مكملة بعدة أقوى ، هى عدة السكان ؛ لأن كثرة السكان كما تعلمون أساس الأيدى العاملة وكثرة الانتاج . وكلما كثر الانتاج زادت الحاجات ، وتضاعفت حركة المبادلات ، فارتقت البلاد فى معارج الرقى الاقتصادى ورفاهية المدنية العصرية المنشودة

حقاً إنى أعلم أن من عائلات الجبل ما يصح أن تفاخر به أكثر العائلات تناسلاً فى العالم . والجبليون يعملون عادة بمبدأ التوارة « انموا واكثروا » ، وبالمبدأ الاسلامى الحاضّ على الزواج وكثرة التناسل

ويلوح أنْ قد آن الأوان لتخفيف تيار المهاجرة من لبنان ، وكذلك قد آن الأوان كى تنضم كفاءات السكان إلى كفاءات أبنائهم فى المهجر البعيد ، للتعاون بها معاً على بلوغ أقصى درجات الارتقاء . كما يلوح أنه قد آن الأوان ليجد كل مولود فى هذه

بنك مصر منظوراً من الدور الأول

البلاد عملا مثمراً يغنيه عن التفكير فى الهجرة كما يغنى الوطن بجهوده فى سلام

إنكم لا تجهلون أنه متى عزمت أمة على إصلاح فانه يكفى أن تريد هذا الاصلاح ، وأن تعمل له باخلاص ، حتى يتم وفق ما تريد . فالارادة القوية التى هى أساس التربية الغربية قد جعلت الغرب صاحب السيادة ، وذللت أمام شعوبه كل الصعاب . وبقوة الارادة ، وصدق العزم ، والاخلاص فى العمل ، والايمان بالحق ، وبشىء بعد هذا من الكفاءة ـ تستطيع الأمم الشرقية أن تنال مكانها الحق الذى ينبغى أن تتبوأه فى الحياة

وإن فى يد كل أمة شرقية — مهما كانت الظروف التى تحيط بها — أن تصل بقوة إرادتها ، واستمرار جدها ، وقوة إيمانها ، إلى المكان الذى تريد أن يكون لها فى الحياة

لا أحب أن أطيل عليكم فى ضرب الأمثال ، فتاريخ الغرب حافل بها . إنما يكفينى أن ألفت أنظار حضراتكم إلى ما يمكن أن تنتجه قوة الارادة فى بلد من بلاد الشرق ، وأعنى به « بنك مصر » ـ ولا مندوحة لى عن الكلام فى بنك مصر

كان المصريون ، إلى ما قبل الحرب العمومية الأخيرة ، يتعاملون فى حياتهم الاقتصادية والمالية مع البنوك الأجنبية ؛ وكانت هذه البنوك تابعة لمراكزها فى البلاد الأجنبية التى تنتمى إليها ؛ وكانت تعمل بمقتضى التعليمات التى تصل إليها من المراكز الرئيسية ، مهما كانت هذه التعليمات مناقضة لمصالح البلاد المصرية ؛ فكانت تفيض بالثقة والمال حيث لا حاجة إلى المال ، وتقبض أيديها أوقات الأزمة ، حيث تحتاج البلاد إلى المال لتخفيف وطأة الأزمة الناجزة . . .

ففكر المصريون حوالى سنة ١٩١٠ فى إنشاء بنك قومى مصرى ؛ ووقف عملهم عند حد التفكير ؛ فى حين أن ذوى المصالح المعارضة كانوا يثبطون هممهم ، ويبالغون فى تصعيب الأمر عليهم ، ويشككونهم فى قدرتهم عليه ، ويخيفونهم بشبح الفشل المحقق فيه . غير أن نفراً قليلا من المصريين أظهر من قوة الارادة وصلابتها ما ساعد على إخراج

المشروع من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ فى صيف سنة ١٩٢٠

وُجد « بنك مصر » عند نشأته برأس مال صغير لا يتجاوز ثمانين ألف جنيه ، فتهكم عليه كثير من الأجانب ، وتوقعوا له الخيبة بعد حين . غير أن إرادة القائمين به ثبتت بحق عند صلابتها ، فما زالت تعالج الصعوبات واحدة بعد أخرى حتى كمل البنك فى استعداده ، وأصبح حائزاً ثقة العموم ، ومن بينهم طائفة كبيرة من عملائه الأجانب . وتغطى رأس ماله الذى كان معروضاً للاكتتاب العام على المصريين بعد أن بلغ نصف مليون جنيه ؛ وفى الامكان أن يزاد إلى ضعفه ، ثم إلى أضعافه عند تجديد الزيادة فيه ، وعرضها على المصريين ، أصحاب الحق وحدهم فى حيازة أسهمه الاسمية . وبلغت الودائع فيه نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية ؛ وأصبح فى الامكان أن يتضاعف مقدارها عما هى عليه . وتكونت له فروع ومكاتب عدة فى الأقاليم . وتخصص من فائض أرباحه بعد تكوين احتياطى قانونى ، واحتياطى فوق العادة — نقول تخصص من فائض ربحه بعد ما تقدم ، احتياطى ثالث ، أو رأس مال جديد ، مستقل عن رأس مال البنك وأرباحه واحتياطيه . واستخدم هذا الاحتياطى الثالث فى إنشاء الصناعات القومية الضرورية للبلاد المصرية ، ليكون كزكاة الأموال المساهمين . فأنشئت شركة لتجارة وحليج القطن ؛ وأنشئت مطبعة مصر للقيام بفنون الطباعة والتجليد والتأليف ؛ وتأسست فابريقة للورق ؛ وقريباً يعلن تأسيس شركة مصرية للملاحة . وإلى أن يتم تأسيسها ، يجرى البنك أبحاثه لتأسيس شركات صناعية وتجارية أخرى أهمها شركة مصرية لغزل القطن ونسجه بأحدث الطرق الميكانيكية

هذا المجهود العظيم الذى أوجد « بنك مصر » بأموال مصرية محضة ، لا دخل لتعضيد السلطات الرسمية ولا الحكومية فيها ، وهذا المجهود الانشائى الصناعى الذى ترتب على وجود « بنك مصر » — كل هذه المنشآت أيها السادة لم تكن لتتم لولا إرادة

قوية لدى القائمين بهذا البنك ، دفعتهم إلى تحقيق هذه الغايات السامية ، بقدم ثابتة لا تعرف هوادة فى الجهد المبذول لتوفير أسباب الاستقلال الاقتصادى

ذلكم هو « بنك مصر » الذى لا نفاخر به فاننا نحن المصريين قطعنا به مرحلة ونعرف أن وراءها مراحل طويلة ، ينبغى علينا أن نقطعها ، وستقطعها الأمة المصرية بمشيئة الله وبقوة إرادتها فى الاصلاح . ولكن « بنك مصر » ، كما قدمنا ، جدير بأن يساق مثلا فى كل بلد من بلاد الشرق ، ودليلا ناهضاً على أن الارادة القومية قادرة على تذليل الصعاب من الأمور

. . .

سادتى

إننا ، نحن المصريين الذين نعتبر مصر وسوريا قطرين شقيقين ، تربطهما روابط اللغة العربية والعلاقات الأدبية العديدة ، نحس بما تحسون ، ونتمنى لكم ما تتمنون لأنفسكم من أمانٍ وآمال قومية . وإننا لنسر كلما رأينا بلادكم الجميلة تسير سيراً مطرداً فى رقيها الأدبى والاقتصادى . وما ارتقاء الانسانية العام ، وتحقيق التضامن الاجتماعى بين أجزائها على أساس الاتفاق والعدل إلا نتيجة لازمة لارتقاء كل شعب من شعوب الأرض

ونحن ، المصريين بالذات ، نعلن أنه كما تهمكم شؤوننا تهمنا شؤونكم ، وأنه يهمنا ويهمكم على السواء أن تكون الثقافة العربية التى تربطنا بكم على أقصى ماينبغى من الرقى . وإنه يهمنا ويهمكم على السواء أن يكون الاستقلال الاقتصادى أمراً واقعاً فى بلادنا كما يكون الرخاء ميسوراً قائماً على قواعد ثابتة فى بلادكم . وإنه يهمنا ويهمكم ، على السواء ، أن تكون حركة المبادلة التجارية بيننا وبينكم على أشد ما تكون

لقد تصفحت ، قبل أن أجتمع بحضراتكم هذه الحركة التجارية ، فرأيت مظهرها

داعياً إلى حسن التفاؤل بالمستقبل . وإنى أستميحكم العذر إذا تركت الأرقام تتحدث عنها . رأيت أن صادراتكم كانت بمقدار ٧٩٣٨٦٩ جنيهاً مصرياً سنة ١٩٢٣ فزادت إلى ٨٤٨٠٤٨ جنيهاً مصرياً فى سنة ١٩٢٤ ، وهى عبارة عن المنسوجات القطنية والجمال والغنم والمسلى والمشمش الجاف وقمر الدين وما إلى ذلك . ووجدت أن واردات سوريا من مصر كانت بمقدار ٣٠٠٥٤٥ جنيهاً مصرياً فى سنة ١٩٢٣ فبلغت ٣٢٢٦٨٩ جنيهاً مصرياً فى سنة ١٩٢٤ ؛ وأهم هذه الواردات الأرز

فحضراتكم ترون ، من الأرقام ، أن الحركة التجارية بين مصر وسوريا حركة مهمة فى ذاتها ؛ ومما يزيدها أهمية حركة السياح المصريين يأتون للمصيف فى جبل لبنان ويحملون إلينا أحسن الذكر عن كرم أخلاقكم ولطف ضيافتكم . والسياح المصريون لا يستغنون عن مصيف لبنان ؛ وسيزداد عددهم بتوالى السنين على قدر زيادة عنايتكم بتوفير أسباب الاقامة والراحة لهؤلاء المصطافين . ولقد تنبه إلى ذلك جماعة منكم فأسسوا شركة مصايف لبنان ؛ فبذروا البذر المبارك ، وسيتعهدونه بما أوتوا من قوة إرادة وهمة ليجنى القطران ثمار ما زرعوا ، معترفين لهم بفضل التقدم . وما أدرانا أنْ نرى مع الزمان هذه الشركة « كوك الشرق » مع حفظ النسبة طبعاً — وكلكم تعرفون ما لكوك من الفضل على سياح العالم . وليس ذلك ببعيد ما دام على رأسها مثل رجل الهمة والاقدام حيدر بك معلوف ، صاحب هذه الدعوة الذى أشكره شكرين : الأول لأنه أقدم على هذا العمل الشاق الذى له أثره فى حياة القطرين الشقيقين ، والثانى لأنه هيأ لى هذه الفرصة السعيدة التى كانت سبباً فى تشرفى بالتعارف بحضراتكم ، والاجتماع بكم

والأمل عظيم بأن يتسع نطاق التبادل التجارى بين لبنان وسوريا ومصر بأكثر مما تدل عليه الأرقام السابقة الذكر . ومن أجل هذا اتفقت الحكومتان على تعيين قنصل يمثل الدولة المصرية فى بيروت ، وقد صادق جلالة مليكنا المعظم فؤاد الأول

حرسه الله (تصفيق حاد) على اختيار حضرة مواطننا الفاضل الدكتور محمود بك السعيد، للقيام بمهام هذه الوظيفة الخطيرة، التى أسندت إليه حديثاً، والتى نرجو أن يوفق فيها خير توفيق لتوثيق العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين، ولمعونة الجالية المصرية المقيمة فى سوريا ولبنان، وتسهيل مصالحها فى الاقامة والرحيل، وخصوصا مصالح أبنائنا الطلبة المصريين النجباء الذين يطلبون العلم هنا فى كلية الأمريكان أو غيرها من المعاهد العلمية الأخرى. وأرجو أن تسمحوا لى هنا بتحية هؤلاء المواطنين الحاضرين منهم هذا الاجتماع والغائبين. أحييهم وأعرب عن أملى الشديد فى أن يكونوا خير صلة فى حياتهم العملية بيننا وبينكم

وفى الختام أكرر لحضراتكم شكرى على لطف إحساساتكم، وأؤكد لكم أنى أحمل معى من زيارتى بلادكم ومن اجتماعى بكم أجمل الذكرى، وأدعو الله أن يجعل علاقاتنا الفردية، وعلاقات قطرينا الشقيقين، على أحسن ما يكون من حال

ولا أقول الوداع بل أقول إلى اللقاء ولو بعد حين إن شاء الله

ولتحيَ مصر، وليحيَ لبنان وسوريا

خطبـــة طلعت حرب بك

فى دمشق

أقام تجار دمشق فى ٧ يولية ســـنة ١٩٢٥ حفلة تكريم لحضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك ، فى دار المجمع العلمى العربى ، فخطب بهذه المناسبة الخطبة الآتية :

سادتى الأفاضل

السلام عليكم ورحمة الله ، سلام شاكر أفضالكم ، سعيد بالفرصة التى أتاحت له الاجتماع بكم فى هذا المكان ، سلام مصرى زار بلادكم لأول مرة من حياته ، فرأى من رجالها ، وكرم أخلاقها ، ما أنساه أنه فى بلاد غير بلاده ؛ ثم شكراً لحضرتى الخطيبين ، وشكراً للجميع على هـذه الحفاوة التى زادت من سرورى بوجودى بين ظهرانيكم بمدينة دمشق

عظمة دمشق

لدمشق منزلة خاصة فى نفسى ؛ شعرت بها حين وطئت قدماى أرضها ، فأحسست كأنى أطأ أرضاً فى منزلة الأراضى المقدسة . فان للمدن القديمة التى عاشت الأجيال الطويلة فى ظلمات التاريخ ثم اندثرت ، روحاً يشعر بها من جاس أطلالها ، وناجى آثارها الناطقة عن مدنية قديمة بائدة . وإذا كان هذا شعور من يجوس أطلال المدن المندثرة فما بالكم باحساس من يجول فى المدن القديمة القائمة ؟ أليس فى تغلبها على تصاريف الزمان ، ومقاومتها عبث الانسان ، ما يدعو إلى الاعجاب بها أيما إعجاب ؟ بل أليس لها روح قد تختلف عن روح المدن البائدة ، ولكنها روح يحسها الزائر الغريب إذا حل بأرضها ؟ كأن أرواح سكانها الأقدمين والأقربين ، يهمسون فى أذن

الانسان : لا يغرنك ما تراه من أخيك الانسان ، فكم دالت دول فى هذا المكان ، وتقلبت عليها حوادث الزمان، فأصبحت فى خبر كان ، وبقى هو حيث كان وحيث يكون ! وإن فى هذا لعبرة لقوم يعتبرون

ولمدينة دمشق روح يشعر بها القادم إليها لأول مرة فى حياته . فهى مدينة ربما يكون قد بنى فوق أرضها أول حائط بناه الانسان بعد الطوفان ؛ وربما يكون بناها دماشق بن قانى أحد أحفاد سام بن نوح ، أو بناها سواه قبل ميلاد إبراهيم الخليل . فهى مدينة يناطح تاريخها تاريخ أقدم المدن فى الشرق . وإذا قلنا الشرق فقد عنينا أقدم قارة مأهولة بالسكان ، سطع من أرجائها نور المدنيات القديمة على العالم الحديث

ولدمشق منزلة أخرى فى اعتبار العالم ، وهى أنها مركز من مراكز الحياة الاسلامية الكبرى ؛ سطع الاسلام عليها فى مهده ، فكانت درة فى تاج مجده ؛ وانتقلت إليها الخلافة من الأراضى المقدسة ، فبقى لها هذا الشرف ما بقيت فى الأمويين . وشيد أحدهم ، الوليد بن عبد الملك ، الجامع الأموى فى أواخر القرن الأول للهجرة ؛ فكان ، ولا يزال ، من أعظم الجوامع وأفخمها على الاطلاق . وعاش فى ظلالها الصحابة والعلماء والشعراء ، حتى إن بغداد فى عصرها الذهبى ، والقاهرة فى مجدها الفاطمى ، لم يطفئا نور هذه المدينة التى لبثت طول تاريخها كعبة القصاد ، ومثوى الفضل والأدب : فهى ثالثة ثلاثة ، مع بغداد والقاهرة ، فى تمثيل أعظم إرث للاسلام ومجده الخالد فى العالم المتمدين

وما وصفتْ دمشق بالمدينة الفيحاء وصف مجاز ، فان الحقيقة الراهنة هى أن بساتينها التى تجرى من تحتها الأنهار ، وأزهارها التى يحمل أثير الهواء عبق عطرها ، وفاكهتها التى تسر الناظرين بجمال تدليها ، وتدهش الألباب بكثرة أنواعها ، ومبانيها التى تنم عن ذوق عربى صميم — كل هذه الحقائق الملموسة ، يقل دونها وصف الفيحاء : فهى فيحاء ، زاهرة ، عامرة تسر الناظر ، وتشرح الخاطر . فهنيئاً لكم بها ، وطاب لكم فيها المقام .

فأنتم جديرون بها وهى جديرة بكم ، وأنتم منها وهى منكم ؛ إذ من المحقق أن بين الانسان والمكان الذى يعيش فيه صلةَ تشابهٍ لا ريب فيها

المعاهد العلمية

وكما أن الطبيعة تعمل فى مدينتكم على إنتاج أفضل الأثمار وأزهى الأزهار ، فان مواهبكم العقلية — المماثلة فى خصبها لخصب أرضكم — تعمل على الابتكار فى ميدان الفنون والعرفان . ولولا ظروف قديمة تعمدت ألا تنتعش اللغة العربية انتعاشها الواجب فى بلادكم ، لكانت أزاهيرها أينع مما نراه الآن . ومع هذا فكم كان لمدينتكم من فضل فى صيانة لغة القرآن والحرص عليها من تلاعب الحدثان . وها أنتم أولاء قد زدتم فضلاً على سابق أفضالكم ، فأسستم مجمعاً لغوياً عربياً ، يرد اللغة إلى أصولها ، ويسعى لتجديد حياتها ، فيبحث عن تسمية الأشياء بأسمائها ، أو يشتق للمستحدثات ما تسمح قواعد اللغة باشتقاق كلماتها ، أو تعريب ألفاظها ؛ ويعمل ، بجوار هذه الغاية ، على كشف الغامض من أسرار تاريخها ، وتاريخ شعوبها . ثم ها أنتم أولاء شفعتم الفكرة بالعمل ، فأنشأتم ، حديثاً فى مدينتكم ، كلية للطب ، وكلية للحقوق ، وجعلتم عمدة التعليم فيها باللغة العربية . وعندى أن سلوك هذا السبيل بتكوين جامعة عربية تامة الحلقات فى العلوم الحديثة ، هو أجل عمل يمكن أن يؤسس فى مدينتكم التى هى بمثابة القلب للبلاد السورية ، والتى هى أحسن موقع جغرافى فى وسط البلاد العربية فى القارة الأسيوية

واسمحوا لى أن أقص عليكم ، بهذه المناسبة ، أن قد جرت عادة الشعوب بتسجيل فتوحاتها فى صور تماثيل تقيمها تمجيداً لقوادها ، وكبار رجالاتها ، أو إحياء لذكرى موقعة عسكرية حاسمة . إلا أن هناك أمة من أمم الغرب لوحظ أنها تهتم باقامة آثار لما يصيبها من هزيمة أكثر من اهتمامها باقامة أثر لما تتوفق إليه من انتصار ، وأنها تقيم

الأثر فى موقع هزيمتها بالذات ؛ لا لذكرى الهزيمة ، فان ذكراها مؤلمة للنفوس ، بل للارشاد عن طريق اتقائها مرة أخرى

هذه الأمة هى أمة بروسيا قبل أن يتألف منها وجارتها الاتحاد الألمانى فى سنة ١٨٧١ ، فقد لاحظ المؤرخ الفرنسى إرنست لافيس أن بروسيا أسست الجامعات حيث حلت بها الهزائم ، فهى أسست جامعة فينا مثلاً سنة ١٨٠٤ عقب هزيمة جيوشها فى هذه البلدة ، واحتلال نابليون الأول معظم بلاد ألمانيا ؛ وأسست معظم جامعاتها إثر هزائم عسكرية ، أو مصائب قومية فادحة من هذا القبيل . فالجامعات لديها قامت مقام تماثيل النصر وأقواسه لدى الفاتحين ؛ وربما كانت الجامعات أصدق أثراً من تماثيل المجد والفخار فى تحويل الشعوب من حال إلى حال

كذلك نحن فى مصر نحاول أن نعمل مثل ما تعملون . وقد لاقينا فى هذا السبيل عقبات لا محل لشرحها فى هذا المقام . وإن كان البعض من حضراتكم لا يجهلها ، غير أننا انتهينا بتذليل بعضها ، ولا نزال نعمل على تذليل باقيها

العربية والعلوم

قالوا — من حيث يجهلون أو يتجاهلون منزلة لغتنا — إن اللغة العربية لا تصلح للتعليم فى مدارسنا ، لأنها تقصر عن استيعاب العلوم العصرية . فصبرنا على مضض نرى التعليم يجرى بلغة غير لغة البلاد ، حتى عاد إلينا بعض الأمر من شؤوننا ؛ فجعلنا التعليم بالعربية أساساً فى الدراسة الابتدائية والمتوسطة والعالية ، ولو أن العلوم كلها لا تدرس الآن فى المدارس العالية باللغة العربية لصعوبات وقتية لا تلبث أن تزول

وفى أثناء هذا النضال كانت اللغة العربية قد تمشت مع التشريع المصرى المأخوذ عن التشريع الفرنسى ، وانقادت بسهولة فى لغة المحاكم ، وأوراق دعاويها ، ومختلف

إجراءاتها ، وفصاحة خطب رجالها فى الاتهام والدفاع . أصبحت اللغة العربية عصرية مرنة قابلة لخوض المعلومات العصرية بسهولة تامة ، سواء أكانت هذه المعلومات أدبية أم سياسية ، وسواء أكان التعبير بها بواسطة الصحف السيارة والمجلات المختارة أم بواسطة النشرات والمؤلفات

ثم نهضت البلاد لتأسيس « بنك مصر » الذى هو أول بنك قومى مصرى تأسس بأموال مصرية بحتة ، وبادارة مصرية محضة . وقررنا أن تكون المراسلات فيه وبينه وبين عملائه باللغة العربية ، وأن تكون حساباته باللغة العربية . فهزأ بنا الهازئون وقالوا : « إن المحاسبة من واردات الغرب ، وإنها فن من فنونه غير قابل للانتقال إلى الشرق بغير لغة من لغات الغرب ، ولكنا أهملنا استهزاءهم وأجرينا مراسلاتنا ، وكتبنا تقاريرنا باللغة العربية . وإنى أؤكد لحضراتكم — ولى صلة متينة ببنك مصر وبادارته منذ اليوم الأول من إنشائه — أننا ما وجدنا أية صعوبة فى تعريب معنى من معانى هذا الفن ، أو فى تعريب اصطلاح من اصطلاحاته . وكان مما ساعدنا على سهولة التطبيق فى العمل ، أن كانت قد أنشئت قبيل الحرب مدرستان للتجارة ، تكونت فيهما طائفة من الشبان تلقوا العلم فيهما باللغة العربية ، فسهل قيادهم فى حياة البنك العملية

هيئة علمية عامة

ويخيل إلىّ أنه لو وفقت أمة شرقية أخرى إلى إنشاء بنك قومى صميم فى بلادها مثل « بنك مصر » ، وجعلت اللغة العربية مثله أساساً فى معاملاته — لوجد بيننا نحن المصريين وبين رجال هذه الأمة شىء من الاختلاف فى تعريب المصطلحات الحديثة . وهذا هو ما نشاهده فى بقية الفنون التى تكد فيها عقول الناطقين بالضاد فى مختلف البلاد . حتى إنى قرأت مصادفة فى أحد أعداد مجلة المعهد الطبى العربى بدمشق مثال

خلاف علمى لغوى من هـذا القبيل بين أستاذ علم التشريح بمدرسة الطب الملكية بالقاهرة ، وأستاذ علم التشريح بكلية دمشق . وكان موضوع الخلاف واقعاً على اختيار الاصطلاحات الطبية باللغة العربية ، مع أن كثيراً مما وقع عليه الخلاف قد يكون ميسور التحقيق فى كتب حكماء العرب وأطبائهم

وسيبقى مثل هذا الخلاف قائماً ، أيها السادة ، بين أبناء اللغة العربية ما داموا محرومين من هيئة علمية عامة تمثل فيها الأوساط العلمية ، والجامعات العربية ، ويشترك فيها علماء اللغة الممتازون من أى جهة كانوا . بهـذه الواسطة ، وبهذه الواسطة وحدها : بانشاء مجمع علمى عام يضم أكفاء الرجال لتنشيط اللغة العربية ، وتوحيد مصطلحاتها العلمية — بهذا المجمع وحده يتقى كل خلاف ، ويسهل التقارب فى التفاهم ، والاستفادة من كد الأفهام فى مختلف البلدان

نعم إن المجمع العلمى العربى فى دمشق قد خطا خطوة خليقة بالثناء فى هذا الباب ، غير أن هذه الخطوة يجب أن تعقبها خطوة أخرى — نرجو أن تأتى فى هـذه الدفعة من جانب مصر — وهى تأسيس معهد علمى عام للغة العربية ، ينضم إليه كل ذى فضل فى أصول اللغة ومندوبون إخصائيون فى مختلف الفنون والعلوم ، قادرون على إلباسها فى ثوب من العربية قشيب

والواقع ، أيها السادة ، هو أن بين البلاد المتكلمة باللغة العربية — مهما ابتعدت مواضعها الجغرافية بعضها عن بعض — ثقافةً واحدة ، مشتركة المظاهر فى كثير من مميزاتها وصفاتها . وواجب هـذه الأمم ، واجب أفرادها وجماعاتها ، هو أن يعملوا دائماً على تقريب دواعى هذه الثقافة ، وجعل اللغة الفصحى واسطة نقلها من قطر إلى آخر ، وأن يعملوا دائماً على توحيد اتجاهاتها بمجمع علمى عام مشترك بين الشعوب العربية كما قدمنا — مجمع يختار المصطلحات ويسجلها للأخذ بها فى دور التعليم ، وصحف التأليف

وعليهم أن يعملوا على توحيد أساليب التعليم فى بلادهم المختلفة ، وفى أصوله العامة التى لا تنافى جعله مطابقاً لحاجات كل شعب من الشعوب ، فى كل وقت من الزمان

أيها السادة : إن هذه الروابط التى تربطنا بكم لهى روابط سامية فى ذاتها ، بريئة فى مقاصدها بحيث لا يعوقنا عائق عن النداء بها جهراً والعمل لها صراحة فى ضوء النهار ، وفى كل بلد من البلدان الناطقة بالضاد ؛ والفضل كل الفضل للسابق فى العمل . ولقد قام أهل الفضل فى هذه المدينة بنصيبهم منه ، دعانى أن أقصر حديثى فيه

ولعلنا نحن المصريين نستمر على أداء واجبنا فى خدمة الثقافة العربية المشتركة . ولعل جهود البلاد الأخرى تنظم لتنضم إلى جهودنا المتجاورة فيتكون منها مجموع معلومات ومبادىء عرفان يتغذى بها عقل الشرق فتعيد إليه ضياءه ، وتجعل له نصيباً وافراً فى تقدم المعلومات البشرية ، والأخذ بها إلى الأمام فى صالح الانسانية والاخاء والتضامن الاجتماعى العام

بنك مصر

حضرات السادة التجار وأصحاب دور الصناعة

كأنى بكم تطلبون إلىّ الافاضة فى الكلام عن بنك مصر . فان ما سمعتموه عن هذا المعهد دعا الكثيرين ممن قابلتهم فى هذه البلاد ، يسألوننى عن « بنك مصر » لا سؤال من يجهل ماهيته ومركزه ، ولا سؤال من يسأل ليشبع شهوة من شهوات حب الاستطلاع ، بل سؤال الخبير بهذا البنك ، الداعى له بالنجاح ، الشاعر شعوراً حقيقياً بأن نجاح هذا المظهر العصرى من حياة المصريين الاقتصادية والمالية الحرة يؤدى حتماً إلى نجاح أمثاله فى بلاد الشرق

والواقع ، أيها السادة ، أن تأسيس « بنك مصر » كان تجربة اجتماعية خطيرة الشأن .

وإنى أشاطركم الشعور الحق بأن نجاح هـذه التجربة فى مصر يشجع على ترسُّم أثرها فى البـــلاد الشرقية الأخرى . كما أن فشل هذه التجربة — والله سبحانه وتعالى لم يقدر لها الفشل — كان من المحتمل أن يعوق الهمم فى الأقطار الأخرى عن تأسيس مصارف مالية قومية مستقلة ، بأموال أبناء البلاد أنفسهم ، وبادارتهم بالذات ، خشية أن تصاب بما تكون مصر قد أصيبت به من قبل

غير أن عناية الله سبحانه وتعالى ، واتفاق المصريين على القيام بهـــذه التجربة الخطيرة ، مجردة عن المنـازعات الشخصية ، والاعتبـارات الحزبية ، وجعلها فى مصاف الأعمال القوميـة المقصودة لذاتهـا ، وثقة المصريين بعضهم ببعض فى هـــذا الباب ، ومثابرتهم فى تعضيد هـذا العمل العظيم ، وإدارتهم إياه بادارة مصرية مستقلة حازمة لادخل لأية يد أجنبية أو تأثير أجنبي فيهـا — كل هـــذه الاعتبارات قد كللت العمل الذى قامت به مصر با كليـل النجاح حتى أصبح « بنك مصر » فى مقدمة المصـارف المالية حائزاً ثقة المصريين أجمعين ، كما أصبح أثراً أهلياً ثابتاً ، تخطى دور التجربة ، وأخذ يتهيأ للنمو فى جو صالح لنموه باستمرار واطمئنان

أيها السادة

إن « بنك مصر » ما كان ليصادفه هذا النجاح إذا لم يتفق المصريون على إنجاحه ، وإذا لم تقو إرادة القائمين به على مقاومة الصعاب لا بلاغه هذه الدرجة من النجاح . بل يصح القول بان الارادة ، الارادة القوية ، إرادة فعل الخير القومى المقرون بالاخلاص ، المجرد عن الغايات الذاتية ، هى أس نجاح العمل فى أى قطر آخر

إن تجربة « بنك مصر » أصبحت أهلا أن تحتذى فى البلاد الأخرى ، وأهلا أن تحتذى فى فلسطين ، كما تحتذى فى لبنان أو فى الشام نفسها

اذكروا أن « بنك مصر » بدأ مثل كثير من البنوك الكبرى فى الغرب برأس

مال صغير . اذكروا أنه بدأ برأس مال لا يتجاوز ثمانين ألف جنيه . واذكروا أنه انتهى بعد خمسة أعوام إلى نصف مليون جنيه ؛ ولو تركنا باب الاكتتاب مفتوحا لأقبل المصريون على تغطية أسهمه . وسيفتح هذا الباب حتماً فى يوم من الأيام ، وستتدفق منه الأموال المصرية حتى يتضاعف رأس المال . وستنمو بالتالى أعمال البنك تبعاً لسنّة التدرج والارتقاء ، بمرور الشهور والأعوام . وهكذا يصح أن يبدأ العاملون عملهم صغيراً ويرعوا بيقظتهم ، وقوة إرادتهم ، العمل ، فينمو من تلقاء ذاته ، حتى يصبح الصغير كبيراً ، والكبير عظيما

انظروا إلى أرباح بنك مصر تروها تدرجت من ثلاثة آلاف جنيه فى سنة ١٩٢٠ إلى ٩٢ ألف جنيه فى سنة ١٩٢٤ ؛ وإلى عدد حساباته الجارية ، تروها بدأت باربعمائة واثنين وتسعين حساباً فى سنة ١٩٢٠ فبلغت ١٢٧٩٥ حساباً فى سنة ١٩٢٤ ؛ وإلى الودائع والأمانات فيه ، وهى بارومتر الثقة العامة به ، تروها بدأت بمائتى ألف جنيه فى سنة ١٩٢٠ ، فأصبحت حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية فى سنة ١٩٢٤ ؛ بل انظروا إلى توزيع أرباحه تروه وزع ربحاً قدره ٥ ٪ فى السنة الأولى ، وتدرج إلى أن بلغ ما وزعه فى سنة ١٩٢٤ : ٨ ٪ ، وهذا كله بعد أن حجز مبلغاً كلياً لاستهلاك أملاك البنك ، من أثاث وعقار ، وبعد تخصيص مبلغ كبير للاحتياطيات التى بلغت فى نهاية سنة ١٩٢٤ : ١١٦٠٠٠ جنيه . وقد ابتدع البنك بدعة حسنة لتأسيس أو تنمية الشركات التجارية والصناعية المصرية ، بدون أن تمس رأس ماله أو احتياطيه القانونى ، وغير العادى : اقتطع من أرباحه الصافية بعد ذلك جانباً ليس بالقليل ، بلغ لغاية ١٩٢٤ خمسين ألف جنيه مصرى لهذا الغرض . وهذا المبلغ صادق المساهمون على اقتطاعه بطيب نفس ، وبكل ارتياح كزكاة لأموالهم ، حتى يبارك الله لهم فيها ، فاشترك البنك بهذا المبلغ فى تأسيس شركة مطبعة مصر ، والشركة المساهمة المصرية لصناعة

الورق ، والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان ، وشركة مصر للنقل والملاحة

حاجة الشرق الى البنوك

هذا هو عمل بنك مصر للآن ؛ وسينمو إن شاء الله تعالى . فما أحوج بلاد الشرق إلى بنوك مثله ! وإنى لأرجو أن تفكروا ملياً فى حالة بلادكم الاقتصادية ، وتدرسوا عميقاً جميع العوامل ذات الأثر الفعال فيها ، وتشخصوا أمراض أمتكم الاجتماعية والاقتصادية — ليتسنى لكم الاهتداء للدواء الناجع ، والعلاج الشافى باذن الله

ولا يكون ذلك إلا بجمع صفوفكم ، وتوحيد كلمتكم ، بدون نظر إلى فوارق دينية أو حزبية ؛ فسوريا أم الجميع . ولتكن لكم سياسة مالية قومية ، لها برنامج كافل لتحقيق أمانيكم بالتدريج

أعيدوا إلى مدينتكم الفيحاء مدنيتها السابقة ومجدها القديم . احفظوا ثروة البلاد فيها ؛ واعملوا على بقاء الذهب فى بلادكم ؛ وأوقفوا تيار نزوحه من البلاد — ففى ذلك الخطأ كله . أكثروا من الانتاج يقل الوارد الأجنبى بقدر الزيادة ، ويحفظ الذهب بقدرها ؛ وازنوا بين صادراتكم وارداتكم ؛ وليكن كل همكم أن تربُوَ الأولى على الثانية

وما هذه الحياة إلا حرب اقتصادية . وخيرات بلادكم كثيرة متنوعة ؛ والله تعالى قد أمركم أن تعدوا لكل حرب عدتها ، وأن تحاربوا بذات السلاح الذى تحارَبون به . ومن أقطع أسلحة المزاحمين النظام وجمع الكلمة والاقدام وقوة الارادة وتجديد آلات الانتاج ، وتأسيس المصارف والشركات المتينة التى تقوم بما لا يستطيع أن يقوم به الفرد ، فالبقاء فى هذا العالم للأصلح والأقوى ؛ وما قوتكم إلا بالعلم والمال — فأكثروا منهما وكونوا فى معترك هذه الحياة عمليين ؛ فحسب العالم نظريات وخياليات . ولله در شاعرنا شوقى ، حيث قال من قصيدة نظمها عند تأسيس بنك مصر :

والمال ، مذ كان ، تمثال يطاف به ... والناس ، مذ خلقوا ، عباد تمثال
إذا جفا الدورَ فانعِ النازلين بها ... أو المالكَ فاندبها كاطلال
ياطالباً لمعالى الملك مجتهداً ، ... خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يبن ملك على جهل وإقلال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا ... رأيا لرأى ومثقالاً لمثقال
هذا هو الحجر الدّرىّ بينكمُ ... فابنوا بناء قريش بيتها العالى
دار إذا نزلت فيها ودائعكم ... أودعتمُ الحب أرضاً ذات إغلال

وفيكم ، ولله الحمد ، المال والرجال : فهاموا للعمل ؛ وليكن الاتحاد شعاركم ، والاخلاص رائدكم ؛ واجعلوا نصب أعينكم تحقيق هذه الآية الحكيمة المسطورة باللوحة الماثلة أمامكم : « ولا تنازعوا فتفشلوا » . والله تعالى المسئول أن يحفّ بلادكم برعايته ؛ ويوفقكم لتحقيق آمال أهلها . فيد الله مع الجماعة ؛ ومن سار على الدرب وصل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

غرفة اجتماع مجلس الادارة

خطبـــة طلعت حرب بك

فى فينـــا

فى حفلة الطلبة المصريين لتكريمه

يوم ٢٥ يوليه سنة ١٩٢٥

جاء من أحد الطلبة المصريين النجباء بفينا ما يأتى :

ما علم الطلبة المصريون بتشريف حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك مدينة فينا حتى توافدوا على فندق أمبريال لزيارته ، والتشرف بمعرفته ، وتلقى نصائحه . وقرروا إقامة حفلة تكريمية له فأبى ، فأصروا ، فرفض فى لطف وإباء ، فاشتد الطلبة فى إلحاحهم ، وصمموا على إقامة الاحتفال ، فاضطر طلعت بك أن يرضيهم فقبل الدعوة

وحقاً لقد أحسن . فلو صمم على رفض دعوتنا هذه لحرمنا تلك الكلمات القيمة ، وتلك النصائح السديدة التى أسدانا إياها ، وتلك الحكم التى زودنا بها ...

لقد كنا نعلم إلى الآن أنه مالى كبير ، واقتصادى عظيم . ولكم كانت دهشتنا أن رأيناه يضم إلى هذه الصفات ، وتلك الميزات ، قدرة الخطابة ، وقوة الاقناع ، وحذق المربى !

وقد أقيمت الحفلة بعد ظهر يوم السبت ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٥ ببهو حديقة البلدية ، فجاءت حفلة شائقة ، حضرها معظم المصريين فى فينا من مصيفين وطلبة . وتبارى الخطباء فى مدح مناقب المحتفل به ، والتنويه بمجهوده المالى ، وخطواته السديدة التى حققت الكثير من استقلالنا المالى ، والآمال التى يبنونها على مجهوداته . وذكروا ماله من فضل فى إنعاش حياة مصر المالية والاقتصادية والصناعية ، وأبانوا أنهم يقدرون رجالاتهم حق قدرها . وقد افتتح الاحتفال واختتم بالنشيد الملكى ، ودعا كل خطيب بحياة صاحب الجلالة مليكنا المعظم ، وطلب إلى الله أن يحفظه ويحفظ ولى عهده الأمير فاروق

ولما قام طلعت بك قوبل بالتهليل والتصفيق ، فألقى كلمة كلها درر حازت إعجاب المصريين أجمع ، وكان لها أحسن وقع بين النمسويين ، أرسلها من طى هذا . والاطلاع عليها كاف ؛ وقد كانت كلماته تقاطع بالتصفيق ، وجلس بين مظاهر التهليل والاستحسان

وبعد أن تناول الطلبة ومدعووهم الشاى هتفوا ثلاثاً بحياة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر

وانفض الاحتفال كما ابتدىء ؛ وقد كان سرور الطلبة بأن أجيبت دعوتهم لا يقدر

سالم عبد الجليل

وهذا هو نص خطبة حضرة صاحب العزة طلعت حرب بك

أبنائى الطلبة الأعزاء :

السلام عليكم سلام مواطن أبى أن يمر عليكم — وهو فى طريق سياحته يقطع الأقطار ويزور البلدان — دون أن يصافحكم ، ويسر بما يرى ويسمع عن أحوالكم . ذلك بأنى أعرف كثيراً من آباء الطلبة ، وأعرف كثيراً من الطلبة الذين عادوا من الخارج إلى مصر . وأحس — كما يحس كل مصرى — بأن الطلبة المصريين الذين يحصلون العلم فى الخارج هم محط آمال الأمة كلها فى المستقبل القريب . فآباؤكم ، وأصدقاء أبائكم ، وأصدقاؤكم ، وكل مصرى من مواطنيكم - ينظرون إليكم بعين العطف ، ويتنسمون أنباءكم ، ويسرون كل السرور عند ما يعلمون أن واحداً منكم فاز فى دراسته فوزاً مبيناً ، جديراً بذكاء المصرى وحسن استعداده ، أو أنه بلغ فى علم من العلوم ، أو فن من الفنون ، كفاءة ممتازة ، يعود أثرها عليكم وعلى الوطن العزيز . ولا أقول يعود أثرها على ذويكم ، فان آباءكم يمدونكم بكل ما يستطيعون من مال قد يقتطعونه من أسباب حياتهم ويمدونكم بكل ما يملكون من مساعدة وعطف أبوى أنتم أدرى به منى . وهم فى

هذا كله ، لايطمعون إلا فى شىء واحد : هو أن تنجحوا فى الغاية التى من أجلها ابتعدتم عن بلادكم . وقد تكونون أنتم الذين اخترتم إتمام دراستكم فى بلاد الغربة فوافقوا على ما اخترتم : لا ضعفاً منهم ، بل اعتماداً على العهود التى قطعتموها قبيل قيامكم من مصر ، أو التى تقطعونها فى مراسلاتكم بين حين وآخر ، بأنكم تبذلون أقصى جهدكم فى تحصيل العلوم ، والحصول على درجة ممتازة فيها دالة على هذا الجهد . والوفاء بالعهود أول صفات الرجال . وهذه أول عهود قطعتموها على أيدى آبائكم وذويكم ؛ ولا شك فى أنكم جاعلوها نصب أعينكم ، حتى تفوا بها ، وتقدموا الدليل المحسوس على صدق نظركم ، فى طريق دراستكم باجتياز امتحاناتها بنجاح . وهذا هو وحده كل الذى يبغيه آباؤكم ، غير منتظرين منكم جزاءاً ولا شكورا . وهذا هو وحده باب البر بالوالدين الذى يأمركم به الدين الحنيف ، وتأمركم به الأخلاق الحميدة : تكريماً لهم ، وتخفيفاً للمشاق الأدبية أو المادية التى تحملوها ، أو يتحملونها ، فى سبيل غربتكم

الطلبة المصريون والجامعات النمسوية

والطلبة المصريون فى النمسا بالذات يذاع عنهم خطأ — كما يذاع عن بقية الطلبة الأجانب فيها — أنهم قصدوا إلى جامعاتها لظرف مالى خاص هو هبوط قيمة الكرون بالنسبة إلى كثير من أنواع العملة الأجنبية ، ومن بينها العملة المصرية ، فاندفع صوبها تيار من الطلبة الأجانب ، لينتفعوا من هذا الظرف ؛ وقد يكونون حين مجيئهم على درجة من المستوى العلمى غير كافية لتؤهلهم حقاً للانتساب إلى الجامعة

واسمحوا لى أن أدفع عنكم هذه الاشاعة الباطلة . وكنت أود أن أعرف حالة الطلبة الأجانب من الأمم الأخرى لأدفعها عنهم أيضاً

فالطلبة المصريون ، وإن دخل فى اعتبارهم هبوط سعر الكرون فى الماضى ، فقد

استمدوا، مع هذا، من بلادهم أموالاً أنفقوها فى النمسا، أموالاً هى أقل قليلاً مما ينفق فى بلاد أجنبية أخرى، وأقل مما كان ينفق فى النمسا نفسها قبل الحرب؛ ولكنهم ينفقون فى الجملة مبالغ تنفى عنهم فكرة الانتفاع وحدها بهبوط الكرون، لتحصيل العلوم فى الجامعات النمسوية

وهذه الجامعات نفسها ما كانت لتقبل أن ينسب إليها الطلبة من أى جنسية كانوا لمجرد أنهم أتوا إليها لرخص عملتها، لو كانوا غير أهل للانتساب إليها. نعم إن رجال الجامعات ربما يكونون قد سهلوا للطلبة الأجانب سبل الدراسة أكثر مما كانوا يفعلون قبل الحرب. ولعل من أسباب هذا أنهم شعروا بأن تقدير الناس منزلة جامعاتهم — رغم الشدائد التى حلت بالدولة النمسوية — علامة ثقة منهم بالأمة النمسوية، فأراد الأساتذة أن يقابلوها بما هى أهل له، فاعتزوا بالطلبة الأجانب القادمين عليهم، وسهلوا طريق انتسابهم إلى الجامعات ومعاهد العلم المتنوعة. وإنى، بصفتى مصرياً — وأود أن يسمع النمسويون أنفسهم تصريحى هذا — أعلن صراحة عظيم امتنانى للمساعدات النفيسة التى لقيها الطلبة المصريون فى الجامعات النمسوية، والمساعدات القيمة التى قوبلوا بها من أساتذتهم. فقد بذلوا لهم كل مجهود لتسهيل دراسة اللغة الألمانية، كما رتبوا أحسن الأساليب التحضيرية لتيسير انتسابهم إلى الجامعات والمعاهد العلمية بحيث يتلقون العلم فيها على قدم المساواة مع أبناء البلاد، دون أن يترتب على انتسابهم أى تأثير فيما هو معروف قديماً عن الجامعات النمسوية من رقى المستوى العلمى

واجبات الطلبة

فأنتم، أيها الأبناء، تقدرون من غير شك هذه المساعدات حق قدرها، وتقدرون ما تستلزمه من عرفان الجميل، وتقدرون أن مظاهر الاعتراف بالجميل، أن تكون

سمعتكم فى هذه البلاد جديرة بالاعجاب العام ، وخاصة إعجاب النمسويين أنفسهم الذين أضافوكم فى بلادهم ، فأحسنوا ضيافتهم إياكم ، وألا يكون من تصرفاتكم ما يؤذى أى فرد من أفرادهم ، أو يجرح أية هيئة من هيئاتهم ، أو يترك فى نفوسهم أن المصريين أقل مدنية ومعرفة باللياقات الاجتماعية من أهل البلاد أنفسهم

وليكن شعاركم عدم التدخل فى سياسة البلاد التى تعيشون فيها ، وعدم تعضيدكم حزباً على آخر ، أو انتصاركم لفئة على أخرى ؛ فان واجبات الضيافة ، كما تعلمون ، تقضى على الأجنبى أيا كان — طالباً أو غير طالب — أن يكون على الحياد التام حيال المسائل السياسية التى تخص الدولة التى يتفيأ الغريب ظلالها

الحالة الاقتصادية فى النمسا

وبالرغم من هذا الحياد ، فانه لا يسعنى أن أمرّ بهذه البلاد دون أن أعرب عن شديد إعجابى بأهلها ؛ فقد عانت الأمة النمسوية أشد المتاعب فى الحرب ، وقاست من الأهوال ما قاست بعد انتهائها — ومع هذا بقيت كما كانت : أمة كريمة النفس ، شريفة النزعة ، فى أنفة على غير كبرياء . وبقى أهلها لا تفارقهم ابتساماتهم الدائمة ، وجنوحهم إلى تلقى المصائب بشجاعة أدبية نادرة تنم عليها ما فطرت عليه طباعهم من خفة الروح ، وقابليتها للحياة البسامة الفرحة ، وكرهها للحياة المكتئبة الحزينة . والشعوب بطباعها . والطباع السهلة داعية إلى تسهيل المعقد من الأمور ، ودافعة للويل والثبور ، مع شمم وشهامة هما سياج كل كرامة

ولعلكم ، أبنائى ، وقد شهد منكم من شهد هذه الحال أو سمع بها ، يتخذ منها مثلاً لقوة النفوس على قوة المكروه

والحمد لله أن تغيرت الحال غير الحال ، وأصبحت البلاد النمسوية على غير ما كانت

عليه من أربع أو خمس سنين ، فقد انتعشت حياتها الاقتصادية والمالية ، ودخلت دور النقاهة ، وأخذت تخطو خطوات حسنة للأمام ، ستعيد لها مجد مركزها القديم على أسس جديدة من الحياة الفنية القوية . يعاون فى تحقيقها همة النمسويين ، وقوة ابتكارهم ، ومركزهم العلمى السامى الذى لم تزعزعه أعاصير السياسة والحروب ، وجدهم فى اجتياز العقبات وتقريب الغايات . كما يساعدهم عليه مركز فينا كسرّة لبلاد الطونة ، ومركز النمسا كقلب لبلاد أوربا الوسطى

بنك مصر

ولا يفوتنى — وأنا أشير إلى حالة النمسا الاقتصادية — أن أذكركم ببنك مصر ، وأن أنبئكم بأنه قد خطا من جهته فى حياة الأمة المصرية خطوة عظيمة ، نرجو أن تكون من أحسن الأسس لبناء الاستقلال الاقتصادى للبلاد . وإذا ذكرتم أن هذا البنك قد تأسس منذ خمسة أعوام ، وأن رأس ماله بلغ نصف مليون جنيه ، وأن فروعه امتدت إلى أنحاء البلاد ، وأن بناء عمارته قائم وسط البنوك ، وأن الودائع والأمانات بلغت نحو أربعة ملايين جنيه ، وعدد حساباته ١٣٠٠٠ حساب ، وأن صافى أرباحه تدرج من ٣٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٢٠ إلى ٩٢٠٠٠ جنيه سنة ١٩٢٤ ، وأنه اشترك فى تأسيس بعض شركات صناعية منها شركة مطبعة مصر ، والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان ، ولها وابوران للحليج بمغاغة والمحلة الكبرى ، والشركة المساهمة المصرية لصناعة الورق ، وشركة مصر للتمثيل والسينما ، وشركة مصر للنقل والملاحة ، وقريباً تؤسس شركة لغزل ونسج القطن ، وغيرها من الشركات التى لا تزال مشروعاتها تحت البحث والدرس — إذا ذكرتم كل هذا ، فاذكروا معه أن البلاد المصرية محتاجة إلى مختلف الأعمال الحرة ، حتى تنصرف إليها جهود أبنائها ، دون أن تقتصر على رغبة التوظف فى خدمة الحكومة

ولديكم فى النمسا من مظاهر الأعمال الحرة المتنوعة ما يصح أن تتخذوه مثلاً لاقتباس ما يصلح منه لبلادكم : كل حسب ما يستعد له من أسباب الدراسة . وإذا ذكرتم بنك مصر ، فاذكروا أننا لا ندخر جهداً عن مقابلة الجميل الذى عاملكم به القوم بجميل مثله ، هو أننا نفتح ذراعينا بالمحبة ، ونتبادل معهم المنفعة ؛ واذكروا أن بنك مصر لا يدخر جهداً فى توثيق عرى العلاقات المالية بين البلدين

جماعة بنك مصر

وقبل أن أختم كلمتى أشكر حضرات الطلبة أصحاب هذه الدعوة على تلطفهم ؛ وأشكر حضرات الخطباء وإن آخذتهم على إفراطهم فى المديح والاطراء ، وتجاوزهم الحد فيهما ؛ فما أنا إلا واحد من نفر من المصريين فكروا فى خدمة بلادهم من جهة الاقتصاد ، وعقدوا النية على تحقيق أمنيتهم ، وعملوا باخلاص حتى وفقوا بمعونة الله تعالى ونجحوا

فان تذكروا بنك مصر وما وصل إليه ، وذلك المجهود الانشائى الذى ترتب على وجود بنك مصر — فاذكروا بجانب طلعت حرب أو قبله فؤاد بك سلطان الذى لا يحتاج إلى تعريف ؛ واذكروا جماعة المصريين الذين التفوا حولهما ، وتضامنوا معهما ، من أول يوم اختمرت فيه هذه الفكرة ، وفى طليعتهم معالى أحمد مدحت يكن باشا . وإن تذكروا نجاح بنك مصر ، فلا تنسوا ما لاقاه من الأمة ، رجالها ونسائها شبانها وشيوخها ، بلا نظر إلى فارق من الدين ، أو الرأى السياسى أو الحزبى — من تعضيد وإقبال لولاهما ما كان هذا النجاح الباهر ، فى هذا الوقت القصير . ولا تنسوا أولئك الشبان النجباء الذين هم فخر بنك مصر ، والذين دفعوا عن بلادهم فرية عدم صلاح المصريين للقيام بالأعمال المالية : وأريد بهم موظفى بنك مصر

وإنى أعتبر مديحكم وإطراءكم موجهين فى شخصى إلى جميع من ساعدوا على تنمية الفكرة وعلى تحقيقها وعلى إنجاحها

على هذا الاعتبار أتقبل بكل سرور مديحكم ، وأشكركم بالنيابة عن إخوانى وزملائى ، بل وعن عملائه ، وجميع المساهمين فيه ، وعن موظفى البنك

وختاماً أستودعكم الله جميعاً ، وأرجوه سبحانه وتعالى أن يحرسكم فى غربتكم ، وأن يلهمكم توفيقه ، فيعيدكم إلى بلادكم نافعين عاملين ، فى ظل صاحب الجلالة مليكنا المعظم فؤاد الأول

فلتحى مصر ، وليحى مليكها ، ولتحى النمسا

خطبـــة طلعت حرب بك

فى باريس

فى حفلة الجمعية المصرية لتكريمه

يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥

جاء من الجمعية المصرية بباريس ما يأتى :

أقامت الجمعيـة المصرية بباريس حفـلة تكريم لصاحب العزة محمد طلعت حرب بك بفندق « لوتِسْيَا » يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥ ، ودعت إليها جميع المصريين على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم السياسية ممن تيسر لها الحصول على عناوناتهم . والجمعية لايسعها إلا أن تقدم واجب الشكر للأستاذ مجد الدين افنـدى ناصف الذى كان واسطة التعارف بينهـا وبين حضرة المحتفل به ؛ فلبى الدعوة أصحاب المعالى والسعادة والعزة محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض بباريس ، ومدحت يكن باشـا رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، وإسماعيل صدقى باشا ، ويوسف قطاوى باشا ، وجناب المسيو يوسف شيكوريل ، والمسيو ريشار أدلر ، ومحمد أحمد باشا ، وحامد الشواربى باشا ، ومحمد كمال بك قنصل مصر بباريس ، ومحمد عسل بك قنصل مصر بنيويورك ، والدكتور حسن الديوانى بك رئيس البعثة المصرية العلمية بفرنسا ، والدكتور أبو زيد وكيل البعثة ، وويصا بك واصف ، وعلوى بك الجزار ، وتوفيق بك حتى ، وأحمد بك نجيب الجواهرجى ، ومحمود بك أبو النصر ، وفضيلة الشيخ اللبـان ، وحامد بك اللوزى ، والدكتور عزت بك ، ومحمـد بك على دولار ، والأسـتاذ كازانوفا ، والمسيو جلاسبرج ، والمسيو جلارزفلد ، وأعضاء الجمعية المصرية بباريس ، وغيرهم ممن لا تعى الذاكرة ذكرهم . وقد اعتذر صاحب العزة الأستاذ محمد بك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى عن الحضور لاضطراره إلى السفر فى نفس ذلك اليوم

وكان البهو غاصاً بالحاضرين . وقد توافد حضرات المدعوين حوالى الساعة الرابعـة ،

وفتحت الحفلة الساعة الرابعـــة والربع ، يتقدمهم حضرة المحتفل به طلعت بك مصحوباً بصاحبي المعالى محمود فخرى باشا ومدحت يكن باشا . وترأس الحفـلة حضرة فهيم افندى القيعى أمين صندوق الجمعيـة بالنيابة عن رئيسها المتغيب خارج فرنسا (الأستاذ راشد افندى رستم) . وبعـد تناول الشاى والحلوى والمرطبات نهض حضرة فهيم افندى رئيس الحفلة وأعطى الكلمة لحضرة مصطفى الخربوطلى أفندى سكرتير الجمعية الذى ألقى كلمة ترحيب تناسب المقام

ثم تلاه حضرة صاحب المعالى محمود فخرى باشا وألقى الكلمة الآتية :

« أيهـا السادة

« إن من دواعى السرور والفخار لدينا أن نحيى اليوم ركناً من أركان نهضتنا القومية وعاملا من عوامل الرقى فى بلادنا ، ألا وهو الادارى الحازم ، والمـالى القدير ، حضرة محمد طلعت حرب بك . فبالاصالة عن نفسى ، وبالنيـابة عن جميع المصريين المقيمين فى فرنسا ، أرحب بقدومه السعيد ، وأرجو له كل توفيق ونجاح فى أعماله الجليلة ومشروعاته العظيمة

« صديقى طلعت بك

« إنى عندما أراك فى هذا المجلس الحافل ، وشباب مصر الناهض من حولك ، مبتهجين بقدومك ، مستبشرين بمشروعك ، يتمثل أمامى قوله تعالى « المـال والبنون زينـة الحياة الدنيا » . وأى زينة أبدع فى نظر ممثل مصر فى هذه البلاد من أن يرى قوى بلاده المالية ماثلة أمام أعينه فى ديار الغرب ، وبجانبها قوى بلاده الفـكرية ممثلة فى هـذا الشباب الناهض ، قدوة الشبان وذخر البـــلاد . إننى أذكر على الدوام قول الفاتح العظيم عمرو بن العاص : لا ملك إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل »

وإنى واثق كل الثقة أن ملك مصر سيرقى ويتأيد بنمو رخائها ورفاهيتها ، وأن استقلالنا السياسى سيتكمل باستقلالنا المالى والاقتصادى . وإذا ذكرنا الاسـتقلال المالى ، فاننا نذكر بنك مصر الذى وضع أساسه حضرة طلعت بك ، وشيد بناءه ، ورفع قواعده : دليلا ناطقاً ، وبرهاناً ساطعاً على كفاءة مصر والمصريين

« إن أعمال طلعت بك الخالدة فى مصر ، وخارج مصر ، ومشروعاته المالية فى البر والبحر ،

لا تعد ولا تحصى ، وهى معلومة للجميع ، والجميع يقدرونها حق قدرها ويعجبون بها . وإنما الذى يعجبنى فى مواهب حضرة طلعت بك بنوع خاص ، هو أن يجد من وقته متسعاً ، ويخصص قسماً عظيماً من مجهوده فى خدمة الجمعية الخيرية الاسلامية التى أتشرف بمزاملته فى عضويتها . فبلسان العشرة آلاف طالب الذين يتلقون العلم فى مدارس الجمعية ، أسأل الله أن يجزيه الخير ، وخير الجزاء

« وإنى فى الختام أسأل المولى أن يؤيد طلعت بروح من عنده ، وأن يكثر من أمثاله العاملين لتحقيق آمالنا القومية ، فى ظل جلالة مولانا الملك المعظم أطال الله بقاءه ، وأقر عينه بولى عهده ، آمين »

ثم ألقى حضرة فهيم افندى القيعى رئيس الحفلة كلمة عن الحالة الاقتصادية فى مصر ، وتأثير « بنك مصر » فيها ، ووجوب العناية بالصناعات — مما حاز استحسان الحاضرين

* * *

ثم قام حضرة صاحب العزة محمد بك طلعت حرب بين التصفيق المتواصل ، وألقى الخطبة العصماء الآتية :

أصحاب المعالى ، أصحاب السعادة ، أبنائى الطلبة ، سادتى الأفاضل

السلام عليكم ورحمة الله سلام مسرور بلقائكم : مصطافين ، وطلبة علم ، ومقيمين فى عاصمة النور والسرور ، فى عاصمة العواصم — فى باريس

فباريس كانت دائماً ، ولا تزال ، كعبة القصاد من جميع البلاد المصيفين يأتون إليها من الشرق البعيد والقريب ، والمشتين يأتون إليها من أمريكا والبلاد الشمالية . فهى وسط إقليمى معتدل المناخ للزائرين من جميع الشعوب ؛ وهى نقطة مركزية هامة متصلة بأهم الطرق الدولية التى تربط العواصم الأوربية بعضها ببعض ؛ وهى كانت ، وستكون دائماً ، أجمل مدينة غربية تجذب إليها السائحين بجمال آثارها ، وحسن هندامها ، وفسيح شوارعها ، وعديد ميادينها ، وتنسيق غاباتها ، ونهر سينها ينساب فى وداعة وهدوء ، فيمس ماؤه

جدران الكنائس الكتدرائية ، والقصور التاريخية ، ومعاهد العلوم والفنون ، ويمر تحت الجسور ، ويتنقل من حى رشيق إلى أرشق حتى ينتهى إلى الضواحى الغناء وكأنه قد ثمل بمسه جدران الآثار وحيطان الديار ، فيتغنى إلى مصبه بذكر الماضى الجليل والحاضر الجميل

باريس اللهو والسرور

وباريس مركز اللهو والسرور : فيها المسارح يرجع عهدها إلى ما قبل « موليير » ، وفيها الروايات قد انتحى المؤلفون فيها نواحى مختلفة من الوصف والخيال والحقيقة والواقع وتصوير الشعور والنفسيات الحائرة والطبائع البشرية على أصلها أو على ما يجب أن تكون ، حتى أصبح المسرح الفرنسى الناطق أغنى المسارح قدرة على تصوير الانسانية فى أسمى عواطفها الراقية ، وفى تحليل عيوبها على غير إيذاء للنفوس الرقيقة . فان أهل الأدب من رجال هذه الأمة النابغة لا يكشفون الجروح الدامية أمام الأنظار البريئة الطاهرة . وهم إن كشفوها فانما يكشفونها فى رفق ولين وراء ستار شفاف خفيف ، ويمهدون عند كشفها بايداع الشفقة فى قلب النظارة ، حتى لا تقسو قلوبهم على من هوت بهم الظروف إلى درك سفلى

وفى باريس بجوار المسارح الناطقة ستائر بيضاء صامتة لعرض الصور المتحركة . وباريس مهد هذا الفن : نشأت فيها الصور المتحركة ، فأخذت بمجامع القلوب شارات الممثلين ، وبراعة المرتبين (Régisseurs) ، وغرابة الحوادث التى كشفت أسرار العلوم والفنون لسواد الجماهير ، وفتحت لنا جوف الأرض ترينا ما فى ماضيها من مناجم وأعمال تعدين ، وأضاءت لنا بالمصباح غياهب البحور وسرها المستور ، وأعربت بالاشارة عن نوع من الفكاهة فى الطبيعة البشرية كان يأتى عفواً فى المسارح التمثيلية ، فأصبح

مألوفاً فوق الستائر البيضاء ، وحولت صنفاً عظيماً من طائفة الفنانين من المسارح الناطقة إلى الوقوف أمام الماكينات الخاطفة ، تلقط الحركات وتسجلها ، ثم تطبعها وتوزعها على العالم ، فلا يقف أثرها عند مسرح واحد ، أو فوق ستار واحد ، بل يتعدد إلى الآلاف من المسارح والستائر فى أنحاء المعمور ، كما تعددت من قبل أصوات المغنين فى أسطوانات الفونوغراف . وبفضل الستارة البيضاء انتعشت صناعات جديدة فى الوجود ، حتى أعدت لهذه الصناعات فى أمريكا مدن قائمة بذاتها لأخذ الحوادث ، وتصوير الحركات الروائية فى محيط مناسب لها متناسق وجمالها

ولباريس فضل فى إذاعة صناعات السينما وتحسينها فى العالم ؛ فلولا ممثلوها وممثلاتها ، ولولا مهارة العاملين على ترقيتها — لما تقدم هذا الفن ، ولما اتسع اتساعه الهائل فى أنحاء العالم ، حتى لقد صار لكل أمة من الأمم شركات سينما ، أو اتحاد شركات تعمل على استغلال هذا المظهر الجديد من مظاهر الحياة العصرية الفنية والصناعية ؛ وحتى صار لأصغر الدول شأناً ، وأقلها ثروة وعدداً جملة شركات من هذا القبيل . ونؤمل أن تصيب مصر حظاً من ذلك فى القريب العاجل إن شاء الله

وفى باريس ملاهٍ غير المسارح : فيها القهوات والنوادى تسر الناظر ، وتشرح الخاطر ؛ وفيها أمكنة المداعبة والخلاعة ، قد يغشاها بعض المصريين كما يغشاها كثير من الأجانب والفرنسيين . ولما كنت غير واعظ ، ولا أحب أن أكون واعظاً ، لأنى أعلم أن وعظى سيذهب صرخة فى واد — فان كل ما أرجوه أن يدخلها من يدخلها من المواطنين بحذر ؛ وأدعو الله لهم أن يخرجهم منها سالمين . وفى باريس كاباريه (Cabarets) أو « غرز » كما نقول فى بلادنا ، يغنى فيها المغنون غناء خاصاً بالباريسيين ، ينطوى على لهجتهم المجازية يدرك الشعب الباريسى وحده ظريف نكاتها ؛ والشعب الباريسى ذو نكتة حلوة عذبة عذوبة أخلاقه وطباعه ، سهلة التحوير والتدوير سهولة لغته فى قابلية النحت والمجاز

هذه هى باريس اللهو والسرور
أما باريس الجد فهى باريس العلم وباريس العمل

باريس العلم

هى باريس السوربون (Sorbonne) . والسوربون من أقدم الجامعات فى الغرب ، منزلته منه منزلة الأزهر من الشرق ، من حيث القدم فى كليهما . والسوربون ، كما تعلمون ، تطلق على كليـة الآداب وكلية العلوم ، وقد تطلق أيضـاً على معهدين ملاصقين لهما روحاً وجسداً هما كوليج دى فرانس (Collège de France) ومدرسة الوثائق القديمة (École des Chartes) . وهذه المعاهد العلمية تعتبر بمثابة القلب من جامعـة باريس . فمن آدابها وتاريخها وفلسفتها يمتـد النور إلى كلية الحقوق ؛ ومن علومها الوضعية الطبيعية والـكيميائية وتاريخها الطبيعى يمتـد ضياء آخر إلى كلية الطب ؛ ومنها جميعاً يشرق نور الجامعة الـكبرى إلى بقية الجامعات فى الأقاليم ، وينعكس إلى قباب الأكاديميات الشهيرة فى سرابها فوق نهر السين

وباريس ، من حيث كونها وسطاً علمياً ، من أمتن الأوساط العلمية وأقدرها على تـكوين الملـكات العلمية ، وعلى تعود الافصاح عن الفـكر بترتيب ووضوح هما خاصة من خواص الجنس اللاتينى ، ومن خواص اللغة الفرنسية بالذات

ولقد كان لهذه الجامعة فضل عظيم فى تـكوين فئات من المصريين منـذ بعثات محمد على العلمية التى أخرجت على مبارك ، والفلـكى محمود ، وإسماعيل ، وبهجت ، ومحمد على الحـكيم ، وغيرهم من الأدباء والمهندسين والأطباء والمشـترعين ، وبعثات الجامعـة المصرية والحـكومة أخيراً

والطلبة الحاليون فى هـــذه المدينة ، والطلبة المصريون الذين يُحتمل أن يقصدوا

إليها فى المستقبل ، جديرون بأن يقتفوا آثار سلفهم من متخرجى جامعة باريس . جدير بهم أن يستقوا العلم من مناهله الحقة ، وأن ينتفعوا بالفرصة السعيدة التى أتاحت لهم تلقى العلوم على جماعة من أكبر أساتذة العالم ، وأن يعودوا إلى بلادهم علماء حقاً قادرين على خدمتها ، والأخذ بأيديها فى طريق النجاح والفلاح

نعم إنه يكون من الشاق على الطالب الأجنبى فى هذه المدينة المأنجة المملوءة بدواعى اللهو والمسرات أن يضغط على شبابه ، ويقاوم فى هذا الوسط الجذاب أسباب الخلاعة المحيطة به . وإنى لا أستطيع أن أقسو على الشباب ، فأتجاهل طبيعته أو أنكر حقه فى اللهو وانشراح النفس والحبور ؛ ولكن هناك لهو ، كما يقول أهل هذه البلاد ، ولهو . هناك لهو مصحوب باحترام النفس ، والقدرة على ضبطها ، والحذر من ابتذال الكرامة ، والحرص من الوقوع فى أى سبب من أسباب المكروه الأدبية أو الخلقية أو الصحية ؛ وهناك لهو آخر ينحدر به الانسان إلى بخس النفس قدرها ، بالضعف عن كبح جماحها ، وإلى تضييع الكرامة ، والتخبط فى ظلمات كل مكروه . وبين هذا اللهو وذاك فرق شاسع . على أن للهو البرىء ساعة ، وللجد فى تحصيل العلوم ساعات . والعاقل الفائز من عرف كيف يعتدل فى حياته : فلا تفريط فى الجد ، ولا إفراط فى اللهو

نريد عقلية مصرية

وأنتم تحمدون على اختياركم الجامعات الفرنسية لاتمام دراستكم العالية والخاصة بها ، لما يترتب عليه من نفع يعود على وطنكم

وبيانه هو أن تعدد الجهات والأمم والدول الأجنبية التى يقصد إليها الطلبة المصريون مرغوب فيه أكثر من توجيه أبنائنا المصريين إلى جهة أمّة أو دولة واحدة . وذلك لأن توحيد الجهة التى يقصدون إليها من شأنه أن يجعل العقلية المصرية المتعلمة

فى الخارج تتأثر بطابع الدولة التى تم التعليم فيها ، إلا لمن استطاع أن يخرج بعقلية مستقلة ، وهو ما لا يكون إلا عند جبابرة الذكاء . ولا يخفى ما يترتب على التأثر بطابع التهذيبات فى دولة واحدة من الأثر الذى قد يكون غير محمود فى حياتنا القومية ، بخلاف تنويع البلدان والدول التى يقصد إليها الطلبة المصريون ، فان من شأنه أن يجعل عدة جماعات من المصريين المتعلمين تعليماً عالياً موسومين بسمة التهذيبات المختلفة التى أثرت فى تكوينهم العقلى ، فيحدث من احتكاكهم فى العمل بعد عودتهم إلى مصر اتصال فكرى وعقلى يجعلهم يتقربون بعضهم إلى بعض تقرباً يساعد على إيجاد عقلية مصرية ، ممتازة بذاتها ، مستقلة فى مجموعها عن أثر الدولة التى استكمل فيها المصرى علومه العالية

وهذه العقلية الممتزجة المتشابهة ، هـذه العقلية المستمدة من تهذيبات الشعوب المختلفة ، هـذه العقلية القائمة على الملكة العلمية المشتركة بين البلاد دون أن تكون متأثرة بالبلدة التى تم تكوينها فيها ، هـذه العقلية التى يجب أن تكون مشتركة فى طرق العلم ، الثابتة مع أسمى الأمم الغربية ، دون أن تصبغ بمميزات هذه الأمم وخواصها ؛ هذه العقلية التى نريدها فى شبابنا المتعلمين ، ومتخرجى الجامعات ، سامية عالية تناطح العقليات فى سمو إدراكها — هذه العقلية ينبغى أن تتكون بجهود المتعلمين أنفسهم ، حتى تكون مصرية : لا عقلية ألمانية ، ولا عقلية إنجليزية ، ولا عقلية فرنسية ، ولا عقلية أجنبية أخرى . وهذه العقلية يجب أن تكون مصبوغة بخواص الذكاء المصرى ، ومرآة صادقة للحسن من الطبع المصرى . فلا يفيد تعلم ولا تعليم مالم يكن منطبقاً على طبيعة الانسان ، وطبيعة تكوينه العقلى والخلقى فى زمان ومكان محددين

نريد إذن عقلية مصرية متشابهة فى سموها مع أسمى الأمم ثقافة ، ونريدها عقلية مصرية مستقلة ، عقلية هى وليدة ماضينا الذى لا مفر من تأثيره فينا ، ووليدة حاضر نسعى إلى أن نربطه بماضينا ، كما نسعى أن نقوده ونسيره إلى مستقبل حسن . والمستقبل ،

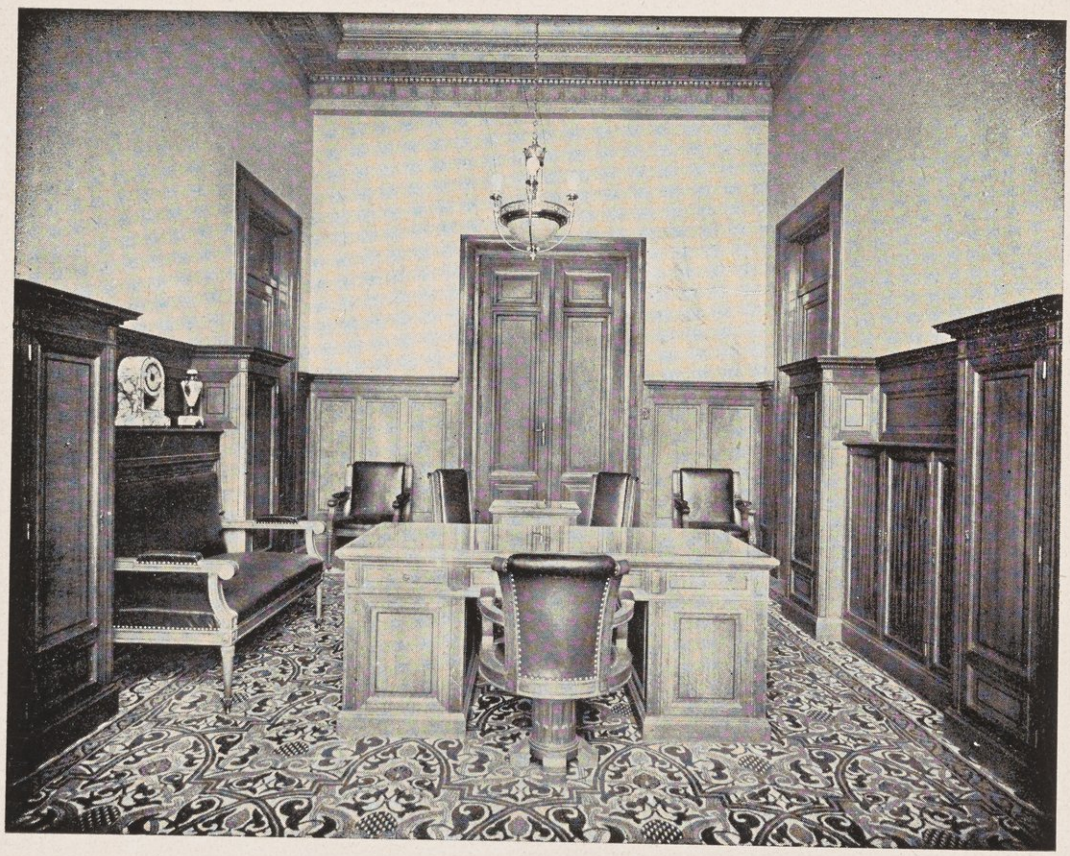

غرفة حضرة صاحب المعالي احمد مدحت يكن باشا

وإن يكن بيـــد الله ، إلا أنه ، إلى درجةٍ مّا ، بيد القوم . ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

خذوا اليابانيين مثـلا تروا أنهم اقتبسوا من أمم الغرب أشهى ثمرات العـــلوم والفنون ، غير أن عقليتهم بقيت دائماً عقلية يابانية ، وثقافتهم ثقافة يابانية ، مشتركة مع الأمم الغربية فى الأصول الثابتة من رأس مال البشرية العقلى العام ؛ ولـكنها عقلية مستقلة وثقافة مستقلة . وإذا وجدت مثل هـذه العقلية الممتازة فى أقلية ممتازة ، هى ذخر التقدم فى كل عصر وفى كل بلد ، فان ضوءها يمتـد كضوء المنار ، على سواد المجموع ، فتصبغ عقلية الأغلبية بصبغتها ، متخذة الجامعة وسيلتها ، والجامعة سائقة المدارس الأخرى فى أثرها

ولعل هذا الاعتبار الذى بسطناه لحضراتكم ، القاضى بضرورة تنويع البـلاد التى يقصد إليها الطلبة المصريون هو الذى حدا أخيراً بلجنة البعثات العلمية المصرية إلى توجيه الطلبة المصريين المبعوثين على نفقة الدولة المصرية إلى دول متعددة من أنحاء العالم الأوربى والعالم الأمريكى

تلك باريس العلم . نسـأل الله تعالى أن يوفقـكم فيما هاجرتم إليه من تحصيل علم وأخلاق ، وأن يوفق رجال حكومتنا السـنية ، وحضرتى مدير البعثة المصرية ووكيلها الفاضلين ، إلى تحقيق هذه الأغراض

باريس العمل

وما باريس العمل بأقل من باريس العـلم جـــداً . وكم يخطىء الأجانب حين يتصورون باريس بلد اللهو والخلاعة ، فتنصرف أبصارهم عن مشاهدة مظاهر الجد من حياتها العملية !

والواقع أن من يمعن النظر فى حياة الباريسيين يجدهم من أنشط الناس ، وأقدرهم

على العمل بمثابرة ونظام . انظروا إليهم تجدوهم عاملين غير عاطلين ، وتجدوا العاملين منهم إلى أعمالهم نشاطاً مبكرين ، وتجدوهم فى مختلف نواحى الانتاج الصناعى والتجارى يعملون . وقد لاتوجد أهالى بلدة فى القارة الأوربية ، بعد مدينة لوندرة ، أغنى من أهالى مدينة باريس — لا لأن مدينتهم قد تركزت فيها الشركات المالية والزراعية والصناعية والتجارية ، فاستجمعت لديها ثمرات الانتاج فى الداخل وفى الخارج وفى المستعمرات ، بل أيضاً لأن الانتاج الداخلى فى مدينة باريس نفسها يدل حقاً على أن الباريسيين قوم جد ونشاط وذكاء فى الابتكار ، يجعلهم بحق فى مصاف المتمتعين بالرخاء العام الناشىء عن مجهودهم الذاتى

وليس أدل على الحيوية والثراء فى هذه الأمة الفرنسية ، وفى سكان باريس بالذات ، من تقلبات الفرنك عقب الحرب . فانها ، وإن كانت سبباً كافياً لاحداث كارثة فى البلاد ، إلا أن الأمة الفرنسية قدرت أن تعيش ، رغم هذه التقلبات فى سعر عملتها ، قوية مالياً واقتصادياً . نعم إنها تشعر بضغط الأزمة بين حين وآخر ، ولكنها لا تلبث أن تلتوى على نفسها عاجلا ، وتطارد هجمات الأزمة مطاردة عنيفة ، توقفها بها عند حدودها . وهى ، فى صراعها عند نزول سعر الفرنك ، لم تقع يوماً من الأيام فى كارثة من كوارث العملة التى يهد لها كيان الحياة الاقتصادية ، أو يجمد قلبها وتختل أعصابها ، كما حدث فى بعض البلاد الأخرى

بين مصر وفرنسا

هذه القوة الحيوية الاقتصادية والمالية الكامنة هى التى جعلت فرنسا تحافظ على مركزها التجارى فى العالم بصفة باهرة

وإنى لا أحادثكم عن هذا المركز الآن ، فليس اجتماعنا محلا لبيانه . إنما يكفينى أن

أذكر لحضراتكم أن الحركة التجارية بين مصر وفرنسا شاهد على هذا المركز الراقى الممتاز

فواردات فرنسا إلينا كانت فى سنة ١٩٢٣ عبارة عن ٣٫٨٢٦٫٠٠٠ جنيه ، فزادت إلى ٤٫٦٨٩٫٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٢٤ — فهى ، بعد انجلترا وإيطاليا ، فى الصف الثالث بمقدار ٩ ٪ من مجموع الواردات . وزادت صادراتنا إليها من ١١ إلى ١٣ ٪ . وقد استوردت من الأقطان المصرية فى السنة الماضية ما قيمته ٨٫٢٤٩٫٠٠٠ جنيه . ففرنسا تعتبر ، من هذه الوجهة ، عميلا من أعظم عملاء مصر

ومن أجل هذا فان « بنك مصر » — الذى لى به صلة معلومة — يهتم كثير الاهتمام بجميع المظاهر الاقتصادية ، ومنها حركة التجارة الخارجية ، ويسعى بما فى مقدوره إلى تشجيع وسائط التجارة بين مصر والبلاد الأجنبية . وهو بالجملة لا يدخر جهداً من جهته فى توثيق العلاقات التجارية والاقتصادية بين مصر وفرنسا . سيما وأن العلاقات الودية والأدبية التى تربط البلدين ، منذ أوائل القرن الماضى ، لا تزال ذات أثر عميق فى نفوس المصريين ، يجعل لفرنسا منزلة خاصة فى قلوبهم . خصوصاً أن هذه العلاقات قد أتمها التمثيل السياسى والقنصلى ، فوقع اختيار جلالة الملك المعظم فؤاد الأول — حفظه الله تعالى — على جماعة من أفضل المصريين للقيام بأعباء التمثيل السياسى والقنصلى فى هذه العاصمة أحسن تمثيل ، وعلى رأسهم صهر جلالته معالى محمود فخرى باشا الذى تعرفونه جيداً وتعرفون ما يتحلى به من جميل الأخلاق وحميد الصفات

بنك مصر

سادتى

أرانى قد أطلت عليكم الحديث ، وأرانى مقصراً إذا أنا ختمت حديثى معكم دون أن أقول لكم كلمة عن بنك مصر ، الذى هو موضوع التكريم فى هذه الحفلة ، لا شخصى

الضعيف . فما أنا إلا واحد من جماعة من المصريين اتفقت كلمتهم على خدمة بلادهم من طريق العمل والاقتصاد ، فصحت عزيمتهم ، وساروا على بركة الله ، متخذين شعارهم الاخلاص ، وأسسوا بنك مصر ، فأخذ الله بيدهم ، وأتاح لهم النجاح التام ، حتى أصبح فى مصر مصرف قومى ثابت البنيان ، قائم الدعائم ، مؤسس بأموال مصرية ، ومدار بادارة مصرية ؛ وصار ركناً من أركان البلاد الاقتصادية بشهادة جميع المصريين على اختلاف نزعاتهم وميولهم الحزبية ومعتقداتهم الدينية ؛ لأنه بنك مصر — ومصر أم الجميع — بل بشهادة كثيرين من الأجانب أنفسهم بمصر وفى الخارج

فى طليعة هـذه الجماعة زميـــلى وصديقى الدكتور فؤاد سلطان ، ومعالى أحمد مدحت يكن باشا ، رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، والذى يسرنى أن أراه بين الحضور . كما يسرنى أن أرى بين الحاضرين بعضـاً ممن مدوا لنا يدهم ، من أول يوم شرعنا فى تأسيس البنك ، وكانوا أعضاء مجلس إدارته ، أمثال معالى يوسف قطاوى باشا ، وجناب المسيو يوسف شيكوريل

سادتى — وجد بنك مصر فى سنة ١٩٢٠ برأس مال أولى قدره ثمانون ألف جنيه ، وبعدد من الموظفين لا يزيد على ٣٣ . فسار بتدبير وحزم حتى حاز ثقة مواطنيه ، فأصبح رأس ماله ٥٠٠ ألف جنيه ؛ وأصبحت احتياطياته فى نهاية سنة ١٩٢٤ : ١١٦ ألف جنيه ؛ وأصبح عـدد موظفيه حوالى الأربعمائة ، معظمهم من متخرجى مدارس التجارة . وتدرجت الودائع والأمانات فيه من ٢٠٠ ألف جنيه فى أول سنة إلى حوالى ثلاثة الملايين من الجنيهات فى نهاية سنة ١٩٢٤ ، وهى السنة الخامسة له

وكان عدد حساباته الجارية فى سـنة ١٩٢٠ حوالى الخمسمائة ، فأصبح حوالى الثلاثة عشر ألفاً فى نهاية سنة ١٩٢٤ ؛ وتدرجت أرباحه من ٣٠٠٠ جنيه فى السـنة الأولى إلى ١٦٠٠٠ جنيه فى الثانية و ٣٨٠٠٠ جنيه فى الثالثة و ٦٨٠٠٠ جنيه فى الرابعة و ٩٢٠٠٠ جنيه

فى الخامسة . ويسرنى أن أبشركم بأنه وردت لى أخيراً هنا ميزانية حسابات وأرباح البنك عن ستة الأشهر الأولى فى سنة ١٩٢٥ ، فاذا بأرباح هذه المدة ٦٣٠٠٠ وكسور الألف جنيه ، بدل ٣٤٠٠٠ جنيه وكسور الألف فى المدة المقابلة لها من سنة ١٩٢٤

وقد قرر مجلس إدارة البنك فى هذا الأسبوع إصدار أسهم جديدة فى شتاء هذا العام قدرها ٢٥٠٠٠ سهم بسعر خمسة جنيهات ونصف ، بدل أربعة جنيهات قيمتها الاسمية . وهذا الاصدار بناء على تصريح الجمعية العمومية لمجلس الادارة ، بأن يزيد رأس المال لغاية مليونى جنيه ، على عدة دفعات فى الأوقات التى يراها مناسبة

هذا النجاح المطرد صادفه بنك مصر بفضل مجهود جميع القائمين بادارته والقائمين بأعماله ، وبفضل الثقة التى أولاها إياه المصريون

ويسرنى أن أرى بين الحضور واحداً ممن خدموه من أول تأسيسه ، ثم جاء ليتمم علومه فى فرنسا ، أعنى به حسن افندى إبراهيم موسى . وهو يعلمكم أن ما مارسه فى بنك مصر من الأعمال ، سهل عليه كثيراً تفهم ما يتلقاه من العلوم

وعلى ذلك فكل ما قيل من شكر ومديح هو فى الحقيقة موجه لكل من ساعد على إنهاض بنك مصر وإنجاحه من مؤسسين ومديرين وموظفين وعملاء ومساهمين . وإنى ، بالنيابة عنهم جميعاً ، أشكر حضرات أعضاء الجمعية المصرية بباريس ، صاحبة الدعوة لهذا الاجتماع ، كما أشكر حضرات الخطباء وحضرات السادة الحاضرين

احياء الصناعات القومية

ولقد سن بنك مصر سنة حسنة ، وافقت عليها جمعيات المساهمين العمومية بكل ارتياح وسرور ، وهى تخصيص جانب من فائض صافى أرباح البنك لتنمية وتأسيس الشركات الصناعية والتجارية المصرية . فاشترك البنك فى تأسيس شركة مطبعة مصر التى

أصبحت لها دار خاصة بشارع الدواوين ، وفى تأسيس الشركة المساهمة لصناعة الورق التى لا يزال مشروعها تحت الدرس والفحص ، والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان التى بدأت فى العام الماضى بوابور حليج فى مغاغة ، وشيدت فى هذا العام وابوراً ثانياً فى المحلة الكبرى - وقد وصلنى بالأمس تلغراف من مصر بأنه تم وجرب بنجاح وسيدور فى هذا الشهر - وشركة مصر للتمثيل والسينما التى نرجو أن تسد بعض النقص الذى أشرنا إليه فى أول حديثنا ، وشركة مصر للنقل والملاحة التى صدر المرسوم الملكى بتأسيسها فى الشهر الماضى . وسيلحق بوابور المحلة فابريقة لصنع القطن الصحى ؛ وقد أعدت معداتها ويؤمل أن تبدأ عملها قريباً ؛ وربما ألحقنا بوابور مغاغة صناعة الزيت والصابون بعد إتمام دراسة مشروعها

ويسرنى أن أقول إن الشركات التى يساهم فيها البنك بجزء من صافى أرباحه ، كما أسلفنا ، ويشجعها كل التشجيع ، إحياء للصناعات القومية فى البلاد ، يقبل عليها المساهمون أيما إقبال . وقد غطى أخيراً المبلغ المعروض للاكتتاب فى الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان ، وهو مائة وثلاثون ألف جنيه فى ظرف ثلاثة أشهر . وسيعلن قريباً عن تأسيس شركات صناعية أخرى سنجد ، إن شاء الله ، إقبالاً على سهومها من المصريين . وما هذا كله فى الواقع ، أيها السادة ، إلا نتيجة الثقة الأساسية فى بنك مصر . وما الثقة إلا نتيجة قيامه فى تأسيسه على فكرة حقة ، وإدارته بيد لا تعرف إلا الاخلاص فى إنجاح العمل ، وفى جعله حجراً أساسياً لاستقلال البلاد الاقتصادى

ومن الشركات التى ندرس مشروعها شركة مساهمة مصرية للغزل والنسج . وقد شرع فعلا بنك مصر يدرس هـذا الموضوع منذ حين . وكان من أهم أغراضنا من سياحتنا فى هذا العام أن نتصل بالفنيين وأهل الذكر ، فى هذه الصناعة وغيرها من الصناعات التى قد يمكن إدخالها فى بلادنا ، وأن نزور الفابريقات أيضاً

وإيجاد صناعات القطن من غزل ونسج وما إليها ليس مجرد حاجة لوجودها ، وإن كان مجرد الحاجة اليها مشروعا حتى يوجد توازن فى الانتاج بين الصناعة والزراعة ؛ ولكنه ضرورة قصوى فى الأوقات التى تتعرض فيها طرق المواصلات لأى خطر من الأخطار . وقد شاهدنا زمن الحرب الصعوبات التى لاقيناها فى تصدير أقطاننا إلى الخارج ، ولقينا ما هو أشد وطأة ، وهو أننا كنا لا نعثر على ما يلزمنا من المنسوجات والأقمشة القطنية بالسهولة والأسعار المعقولة . فوجود صناعات لغزل القطن ونسجه فى مصر يدفع عن البلاد فى مثل هذه الأزمات خطر انقطاع الوارد إلينا من الخارج لأى سبب من الأسباب . ونعتقد أن هذه الغاية وحدها ، يصح أن توصف بأنها دفاع مشروع عن الذات ، يحتم علينا أن نعمل له نحن المصريين مهما كلفنا من جهد وصبر ومال

سادتى

أرض بلادنا خصبة وغنية ؛ ولدينا خامات كثيرة ؛ فلماذا لا نستعملها فى حاجاتنا ، ونصنعها فى بلادنا ، فتزيد ثروتها ، ويكون لنا ، مع ربح الزراعة ، أرباح الصناعة ، مما تخرجه أرضنا ؟

أمامنا أهل سويسرا ، وهم فى الصناعة أهل لأن نحتذى حذوهم . بلادهم كبلادنا ليس فيها فحم للوقود ، وهم مثلنا عالة على الغير فيه . وليس فى بلادهم وقود سائل ، هو البترول ؛ والمازوت ، والبنزين ، ولدينا منها شىء غير قليل . وليس فيها معادن أخرى من حديد وصلب ونحاس — فنحن وهم منها محرومون

هؤلاء القوم الذين حرمتهم الطبيعة وسائل الانتاج الصناعى لم يقعد بهم هذا الحرمان عن العمل المتواصل الذى جعل الأمة السويسرية أمة صناعية بجوار كونها أمة زراعية . فهم قد استعاضوا عن الفحم الحجرى بالكهرباء ، ولّدوها من مساقط المياه ، فأداروا بها المعامل والمصانع ، وسيروا بها معظم السكك الحديدية حتى تم تسييرها كلها

بعد قليل من الزمان . وعندنا والحمد لله الشلالات والخزانات يمكن أن تولد لنا الكهرباء ، ندير بها المعامل والمصانع بدل الفحم والمازوت ، ونسير بها بعض سككنا الحديدية . ثم هم لم يقعدهم نقص المعامل عن مزاولة الصلب والحديد ، فيحول إلى المحركات الكهربائية ، والوابورات والعدد والآلات اللازمة لمختلف الصناعات ؛ وهم ممتازون قديماً فى أدق صناعة الساعات . فالسوسريون — وهم قليلون لا يزيدون عن ستة ملايين ، ولكنهم ينتجون ويعرفون كيف ينتجون فى الزراعة والصناعة — جديرون بأن نقلدهم ، خصوصاً وأن مطامعنا متواضعة للغاية . فنحن لا نطمع مطلقاً فى أن ندخل صناعة لبلادنا إلا ما كان لدينا الخام الأساسى لها ، مستعينين بأهل الخبرة ممن سبقونا فى هذه الصناعات ، نستعيرهم من بلادهم ليرشدونا ويعلمونا ويعلموا أبناءنا فتصبح شركاتنا مدارس صناعية عملية ، كما كان بنك مصر مدرسة عملية للمحاسبة وعمل البنوك

ويسرنى ، بهذه المناسبة ، أن أحيي من بين الحضور مواطناً لنا درس بنفسه صناعة الحرير بمدينة ليون . فلما عاد إلى وطنه أدخل فيه النسج الميكانيكى بدل نسج الحرير باليد ، وطبق عامه على العمل ، ألا وهو حضرة حامد بك اللوزى ، نجل سعادة عبد الفتاح بك اللوزى العضو بمجلس إدارة بنك مصر ، وصاحب أول مصنع لنسج الحرير بالآلات بدمياط . فكون بها عمالاً مصريين تعلموا على عمال فرنسيين استحضرهم خصيصاً لهذه الغاية . ونجحت تجربته ؛ وأصبح لأقمشة اللوزى صيت كبير بمصر . وترون ، حاضراً مع حامد بك ، أخاه الأصغر سيد افندى اللوزى . وهو يتلقى بألمانيا علم الصباغة الملحق بصناعة المحل . فأتمنى له مثل النجاح الذى صادفه أخوه — أولئك أشخاص جديرون بالاعجاب والاجلال والتشجيع ، وسيكافئهم الله بقدر إحسانهم لأنفسهم ولبلادهم

ولقد سرنى أن من بين الطلبة الذين يتلقون العلم بفرنسا كثيرين يدرسون علم التجارة والمالية والاقتصاد . وازداد سرورى لما علمت أن بين من أتموا هذه الدراسة

اثنين أرادا أن يقرنا العلم بالعمل (يشير عزته إلى حضرتى مصطفى افندى الخربوطلى وشافعى افندى راضى) فالتحقا بخدمة بنكين فى باريس . هؤلاء أيضاً يستحقون كل تشجيع ، لأنهم خبروا حال بلادهم ، فصحت عزيمتهم على خدمتها بسد جانب من هذه الحاجة

وختاماً أحيي حضراتكم وأشكركم على هذه الفرصة السعيدة التى جمعتنا ساعة لذيذة من الزمان فى هذا المكان . وأشكركم خاصة على صبركم الجميل لسماع حديثى الطويل . وعذرى فيه أن الحديث ، من القلب إلى القلب ، شجون . وسلام عليكم حين تقيمون ، وحين تسافرون ، وحين تعودون إلى وطننا ووطنكم سالمين ، آمين

ولتحيَ مصر ، وليحيَ جلالة مليكها المعظم فؤاد الأول ، وليحيَ ولى عهده الفاروق ، ولتحيَ فرنسا

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة موظفى بنك مصر

احتفل موظفو بنك مصر بتكريم حضرة صاحب العزة طلعت حرب بك بمناسبة عودته من أوربا احتفالا فخما بتياترو حديقة الأزبكية ظهر السبت ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥ . وقد ألقى عزته لهذه المناسبة الخطبة الآتية :

سادتى الأفاضل وإخوانى وأبنائى الأعزاء

السلام عليكم ورحمة الله ، سلام واحد منكم ابتعد عنكم شهوراً وذكراكم ماثلة أمام عينيه . وعاد إليكم ، كما كان ، فامتلأ قلبه سروراً بلقياكم فى أحسن حال

سلام محافظ على عاداته ، كان يود أن يحييكم فرادى ، متنقلا بين مكاتبكم ، متمتعاً بمشاهدتكم وسط الدفاتر والمحابر والأوراق الماليـــة ومستندات البضائع والتحاويل والكمبيالات والحسابات والمراجعات ـ وسط هذا الجو المحبوب من حياتنا العملية التى هى صورة ناحية من نواحى حياتنا المالية والاقتصادية

نعم ، كنت أود أن أتنقل إليكم ، وأن أحييكم فى مكان عملكم ، كما فعلت يوم وداعكم ، وأن أتنشق عطر الحياة العاملة فى مكانهـا ـ لولا أنكم أردتم أن تنقلونا إلى هذا المكان وسط هـذه الحديقة الغناء — فنحن نشم هنـا عطر الطبيعة ، وفى بنك مصر عطر العمل المنتج الشريف . غير أن عطر اليوم فى هذا المكان هو عطر الخريف ؛ وعطر العمل فى بنك مصر هو عطر الربيع الزاهر ، والعمل الخالد ، بعون الله تعالى

كذلك كنت أود أن أحييكم فرداً فرداً ، وأن أحييكم بطريقـة يعرفها التجار ولا تجهلونها فى معاملاتكم : أن أحييكم بالقطاعى ، ولكنكم أبيتم ، لما اعتدتم عليه من حساب

الجملة ، إلا أن تكون التحية المتبادلة بالجملة . وإنى أخشى — وأنتم الذين لا تخطئون فى الحساب — أن تكونوا قد أخطأتم ، هـذه المرة ، الحساب ؛ لأن الجملة ، التى هى غاية الغايات فى الأعمال ، والتى هى المرمى النهائى فى تنظيم الأشغال ، قد لا يصلح تطبيقها فى باب المجاملات ، وميدان الشعور ، وتبادل الاحساسات

ويلوح لى أن تبادل التحية الفردية ، ومصافحة اليد باليد ، وإمعان العين فى العين — أقوى أسلوباً فى تبادل الشعور ، أو أكبر فائدة ، إذا شئتم لغة البنوك ، من تحية عامة متبادلة فى الملأ — مهما كان تيـار الـكهرباء ، تيار التآلف الذى يصل بيننا قويا أحسّ به من نفسى ، وأشعر أنـكم تحسون به من نفوسكم فى هذا الاجتماع . كذلك أخطأتم الحسـاب فى إقامة هذه الحفلة لأنى منـكم وأنتم منى ؛ وإذا حاولتم أن تكرمونى فأنتم تكرمون أنفسكم . لهذا فانى أعتبر كل ما سمعته من ثناء فى هذه الحفلة راجعـاً إليكم ، وأترك على عاتقكم التبعة الأدبيـة فى أن تكونوا أنتم — من حيث لا تريدون — مادحى أنفسكم

وإن ألمكم على شىء ، فإنى لا ألومكم على تقصير فى عملـكم فقد كان يصلنى من أنبائـكم بواسطة زميلى وصديقى الدكتور فؤاد سلطان بك ما يطمئننى على أنـكم قائمون بواجباتـكم أحسن قيام . وهذا ما كنت أتوقعه ، وما كنت لأشك فيه لحظة من اللحظات

فليس بنك مصر بقائم ، والحمد لله ، على قوة الأشخاص . ليس بنك مصر قائماً على شخص طلعت حرب أو شخص فؤاد سلطان . والأشخاص قد يزولون لأى سبب من الأسباب ، وهم زائلون حتماً فى حكم الحيـاة — إنما بنك مصر يقوم على مبادىء قوية قوية فى ذاتهـا ، على نظام سـائر فى ذاته ، متحرك من تلقاء نفسه ، من غير حاجة إلى محرك : شأن الأعمـال الدائمة الخالدة التى لا تعيش مرتبطة بحياة الأفراد . ولقد قام فى هذا الصيف دليل محسوس على حيوية البنك واسـتقلاله بذاته عن الأشخاص . وهذا

الدليل هو أنى وزميلى فؤاد بك سلطان غبنا فى وقت واحد عن البنك ، ولم يكن أحدنا به نحو شهر من الزمان — ومع ذلك سارت الأعمال على أحسن ما يرام . أليس هذا برهاناً ساطعاً على أن البنك أصبح غير مرتكز على شخصية أو شخصيات معينة أكثر مما هو مرتكز على قوة النظام الذاتى ؟

أو ليس هذا حجة ظاهرة على أننا ، بحمد الله تعالى ، قد وصلنا إلى أن تكون لدينا طائفة من العمال الأكفاء المخلصين القادرين على تسيير شئون البنك بأنفسهم ؟

لهذا فاننى أتفاءل خيراً بهذه التجربة ، وأقول حمداً لله على أن بنك مصر أصبح قادراً على أن يسير بنفسه وأن يسير بصرف النظر عن شخصية المعروفين من مديرى أعماله . وهكذا كل عمل صالح قائم على فكرة صالحة ، ينبغى أن يقوم مجرداً عن الأشخاص . إنه قد يقوم ، فى بادىء الأمر ، بقوة الأشخاص ، ولا سيما فى بلاد مثل بلاد الشرق ؛ ولكنه ينبغى بأسرع وقت ممكن أن يعيش بقوته الذاتية ، وأن يخلد بها دون سواها . إنى لا ألومكم إذن على تقصير فى عملكم ، بل بالعكس أشكركم من صميم قلبى على ما أظهرتم ، وتظهرون ، من دلائل الكفاءة والنشاط والاستعداد للاستقلال فى تسيير الأعمال والابتكار فى تذليل صعابها . وماهذا بغريب عليكم ، فأنتم لا تعملون فى بنك مصر كمجرد موظفين بل تعملون فيه بشعور آخر لا يقل قوة عن شعور مسئولية الوظيفة ، وهو شعور أن البنك بنككم قد ارتبطت به حياتكم وارتبط به شىء من مجد وطنكم ، وشىء كبير من تكوين أكبر عدة لاستقلال بلادكم الاقتصادى

إنما ألومكم — واسمحوا لى أن ألومكم — لأنكم دبرتم هذا الاجتماع بينكم ، وحرصتم على سره حرصكم على سر المهنة ، حتى إنى لم أشعر بتدبيركم حفلة تكريم لى إلا عن طريق الصحافة . فكأنكم أردتم أن تجعلونى أمام الأمر الواقع ، وأن تحملونى على قبول هذه الحفلة بالاعلان عنها على غير سابق علم بها . ومثل هذا الحكم العلنى لا مفر من

الخضوع لمقتضياته . وأحياناً ما يخضع الآباء لأحكام الأبناء . وكثيراً ما يضطر الآباء أن يعتذروا عما صنع الأبناء. وإنى، مع سرورى لمشاهدتى فى هذا الاجتماع بعض رجال الصحافة الذين أشكرهم من صميم قلبى لتشجيعهم بنك مصر والأعمال التى يقوم بها البنك، ومع سرورى لمشاهدتى بالمثل كثيراً من أصدقاء البنك ، دعاهم أبناؤنا الموظفون لهذا الاجتماع — مع سرورى من ذلك سروراً زائداً ، فانى أعتذر عن إقلاقهم بحضور حفلة لم يكن لها فى الأصل أى مسوغ . ونشكرهم على أى حال ، فان حفلتنا العائلية أصبحت سائغة جميلة ، بالفرصة السعيدة التى هيأت لنا أن نراهم معنا فى هذا المكان، فقد أشعرونا مرة أخرى بحسن تقديرهم البنك ورجال البنك . وهى منة كبرى من منن عطفهم ، نحفظها لهم ضمن جمائلهم الشماء

وقد يرد أبنائى الموظفون على لومى إياهم بقول سمعته من بعضهم وهو: « كيف لا نحتفل بعودتك وقد احتفل بمقدمك فى سياحتك أكثر من نادٍ فى كثير من البلدان ؟ »

وردى على ردهم أنى ما قبلت وليمة تكريم إلا وأنا أكاد أن أكون أمام الأمر الواقع: لا بدعوتى عن طريق الصحافة كما فعلتم — ولكن بما يقرب من هذا فى أشكال أخرى وما قبلت دعوة من الدعوات فى سياحتى إلا باعتبار أنها لغير شخصى الضعيف ، وأنها لبنك مصر ، وأنى أمثل فيها المساهمين ، وأمثل الموظفين ، وأمثل المديرين ، بل أمثل فكرة عمل استقلالى إنتاجى أحب أن يكون لها المقام الرفيع فى نفوس الناس أجمعين ولا سيما الشرقيين

وإنى ، وقد عدت إلى مصرنا العزيزة ، وتهيأت لى بعد عودتى فرصة الكلام لأول مرة لا أدع هذه الفرصة السانحة دون أن أعلن من هذا المكان جميل شكرى لجميع من تفضلوا بحسن لقائى ، حيث سرت فى بلاد الشرق أو بلاد الغرب ، ودون أن أعلن عظيم ولائى لجلالة الملك فؤاد الأول ، الذى شرفنى بعد عودتى بمقابلته ، وأظهر من عطفه السامى حيال بنك مصر ما هو أهل بكبار الملوك حيال الأعمال القومية النافعة

وسلام عليكم فى الختام وشكر ثم ألف شكر

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة الغرف التجارية بالقطر المصرى لتكريمه

بفندق الكونتنتال بعد ظهر يوم الأحد ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٥

سادتى :

أحيي حضراتكم تحية الشاكر على ما أوليتموه من فضل عظيم برغبتكم فى تكريمه هذا التكريم الذى أخجل حين أتصوره — ولو فى بعضه — موجهاً إلى شخصى . فانى إن كنت قد أديت عملاً ترون أنه يستحق كل هذه الحفاوة ، فانى ما أديت إلا قليلا . وما أديت إلا بعض الواجب ، يمليه الضمير والشعور بالمسئولية الشخصية ، حيال الواجبات العامة . وليس لمؤدّ واجبه ، مهما اتصل عمله بأى مظهر من مظاهر الحياة العامة ، أن يكون موضع التكريم . فان الأصل أن يؤدى الناس واجباتهم ، والأصل أن يؤدوها فى الوسط الفاضل ، فى المدينة الفاضلة — على غير انتظار شكر ، ولا توقع تكريم . وكلما أمعن الوسط الاجتماعى فى الرقى والفضل ، كان المران على الواجبات العامة خاصة طبيعية من خاصيات النفوس ، وكان أداء هذه الواجبات أمراً طبيعياً ، لا يلفت الناظر ، ولا يدعو إلى شكر شاكر

ولولا بقية من أدب كنت أخشى أن أتجاوز حدودها لشكرت الداعين الذين ألحوا فى عقد هذا الاجتماع ، ولاعتذرت عن قبول دعوتهم توفيراً لنفسى عن الوقوف بها الآن موقف الاعتذار بقبول حفاوة لا أستحقها ، وتعريض أذنى لسماع ثناء لا أستحقه

وإنى ، مع تأثرى غاية التأثر بما شاهدت اليوم من عطف القلوب السليمة ، وبما سمعت

من أفواه الخطباء الكرام ، فانى أسألكم مكرمة فوق مكارمكم الجمة . أسألكم أن تغيروا العنوان ، وأن تعتبروا ما وجهتموه إلى شخصى موجهاً ، فى الحقيقة والواقع ، إلى « بنك مصر » ، هذا المعهد المصرفى الذى يعمل ، ونعمل كل يوم ، على أن يكون أثراً قومياً شائعاً لجميع المصريين ، لا أثراً شخصياً قائماً بشخص أو بأشخاص معينين . وإن أكبر أمنية لنا أجمعين أن يصبح بنك مصر اسماً قائماً بذاته ، غير مرتبط باسمى ، ولا باسم زميلى الدكتور فؤاد بك سلطان ، ولا باسم رئيس مجلس إدارته ، صاحب المعالي مدحت يكن باشا ، ولا باسم زملائنا فى الادارة ، ولا باسم المساهمين . نريد « بنك مصر » أثراً قومياً قائماً بذاته ؛ إذا ذكر ، ذكرت القوة المصرية فى الصبر والمثابرة والاقتصاد والتوفير والمال وحسن التدبير ؛ وإذا ذكر ، ذكر العنصر الفعال فى تكوين استقلال البلاد الاقتصادى ؛ وإذا ذكر ، ذكر كأنه علم بذاته كما يذكر بنك انجلترا وكما يذكر بنك فرنسا . وإنى أسألكم المعذرة فى هذه المقارنة ، فانه ليس ببعيد عليكم ولا على الأمة المصرية جمعاء أن تجعل « بنك مصر » فى مصر لا يقل فى مركزه عن « بنك انجلترا » فى انجلترا ، و « بنك فرنسا » فى فرنسا — مع بقاء الجوهر واحداً ، وحفظ النسب بين الثروة والثروة

وبنك مصر فى الواقع أثر قومى قائم بذاته : إدارته مستقلة ، ونظامه سائر من تلقاء نفسه ، على مبادىء سليمة قوية . إنما هو أثر قومى لم يبلغ بعد فى عظمته وقوته ما عليه الأمة المصرية ، وما ينبغى أن تكون عليه الأمة المصرية من عظمة وقوة . ولقد بلغ الشعور العام بأن هذا المصرف هو مصرف الأمة حقاً ، وأنه مؤد للأمة ولأفراد الأمة خدمات صادقة حقاً — أنه ما كدنا نعرض للاكتتاب العام فى زيادة أسهمه مقدار ٢٥٫٠٠٠ سهم جديدة حتى أقبل المكتتبون عليها ، وحتى بلغ الاكتتاب فى نهاية اليوم الثالث من افتتاحه فى نهاية أمس ٢٧٧٠١ سهم . ولست أدرى أمام هذا الاقبال وأمام

هذه الثقة التى نشكر الأمة عليها جزيل الشكر ، ماذا تصنع إدارة « بنك مصر » : أتقفل باب الاكتتاب وقد زاد عن المطلوب ؟ أم يستمر الاكتتاب حتى نهاية الموعد المضروب ؟ وإذا استمر الباب مفتوحاً : أتقبل المبالغ المكتتب بها كلها ؟ أم يقبل الأسبق فالأسبق إلى حد معلوم ؟ كل هذه أسئلة معلقة ؛ أسأل عنها منذ عودتى إلى مصر ؛ وقد أسأل عنها الآن بوجه أخص فى حين أنى لا أملك عنها جواباً ، لأن الجواب عنها ملك لمجلس إدارة البنك الذى سيجتمع لهذه الغاية فى القريب العاجل

وغريب أن يكون هـذا الاقبال والمصريون على حافة صراع اقتصادى عنيف بين محصول من القطن وفير ونزول فى السعر كبير

نعم ، إننا نفهم أن يتجاوز المحصول الأمريكى حد كل تقدير وأن يبلغ — على ما يقولون — سبعة عشر مليوناً من البالات ، وأن تؤثر هذه الكمية فى سعر القطن الأمريكى ، وبعض التأثير فى المصرى . ولكن الذى لا نفهمه أن يبقى قطننا معلقاً للغرم دائماً ، وقل أن يكون معلقاً للغنم ، وأن تكتسح الكمية الكبيرة الكمية الصغيرة مع الفارق بين النوع والنوع

وهذه الحالة تستدعى علاجاً ثابتاً بتحضير وسائط دائمة تقضى على أسباب المضاربة المفتعلة ، وتصون مصالح القطر الزراعية . وأهم هذه الوسائل بث الروح التعاونية بين الزراع بتعميم النقابات الزراعية ، وجعلها حقيقة ممتزجة بحياة الزارعين امتزاجاً كلياً واقعياً لا صورياً ، وإيجاد أداة أو تنظيمات مالية من شأنها أن تساعد على تمويل النقابات وتمنع أسعار المحاصيل من التدهور الضار ، وتنظيم أساليب استخبارية لمعرفة الحقيقة فى حالة الزراعة القطنية فى العالم وفى التوصيات الصناعية الدالة على مقطوعية العالم من الصنف المصرى والصنف الأمريكى ، واكتشاف الأسواق الخارجية الجديدة للتصريف ، وفى الحالة التجارية القطنية فى العالم ، وفى السيطرة سيطرة فعلية على بورصتى الأقطان فى

غرفة حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا

مصر ، وفى إنشاء صناعة للغزل والنسج وطنية ، والتشجيع على إيجادها برؤوس أموال مصرية وإدارة مصرية

هذا هو البرنامج الدائم لعلاج أزمة الأسعار التى تنتابنا من آن إلى آخر فى حاصلاتنا الزراعية . وبنك مصر لا يألو جهداً فى بذل أقصى ما يستطيع للوصول لهذه الغاية . أفليس « بنك مصر » فى ذاته مثالا بارزاً لفكرة التعاون ؟ أو ليست فكرة التعاون بين مساهميه لاتختلف عن فكرة التعاون المراد بثها فى نفوس الزارعين ؟ فالبنك قائم على فكرة تعاونية مالية ؛ والنقابات الزراعية قائمة على فكرة تعاونية زراعية . والبنك يشعر شعوراً حقيقياً بوجوب تشجيعها ويغتبط بالارتباط بها فى حياتها ، ولو استدعى الحال إنشاء إدارة خاصة بالنقابات الزراعية داخل بنك مصر . وهو ، مدفوعاً بهذا الشعور ، قد رضى أن يكون بنكها ، تودع فيه أموالها على أن يقرضها ماتحتاج إليه من مال بشروط حسنة ومشجعة لهذه النقابات . ونحن نحيي هذا الارتباط الجديد بيننا وبين النقابات الزراعية الجديدة ، ونرجو أن يكون مقدمة لحركة مالية واسعة النطاق يكون من أهم أغراضها صيانة أسعار المحاصيل من النزول عن المستوى المعقول

كذلك يعمل « بنك مصر » على تأسيس شركة مساهمة مصرية للغزل والنسج ، لا زالت موضوع اهتمامه وبحثه حتى الآن . وهذا المشروع متى تم ، وسيتم بعونه تعالى ، ومتى بدأ نجاحه فى أعماله ، ونجاحه مضمون بمشيئة الله ، سيقتضى حجز كمية من الأقطان — مهما تكن قليلة أو كثيرة — تخفف من ضغط المعروض على الأسواق ، فتساعد بعض المساعدة على بقاء أسعاره فى حدودها المعقولة

على أن قطننا ومحاصيلنا وصناعتنا تبقى ضعيفة فى ثمرتها إذا لم تكن مدعمة فى حياتنا الاقتصادية بنظام تجارى مصرى قوى متين

وهذا النظام ، أيها السادة ، على قسمين : قسم منه يرجع إلى التشريع الخاص بالتجارة :

من معاهدات تجارية ، وتعريفات جمركية ، وحماية للصناعات المحلية ، أو إباحة الحرية للمصنوعات الأجنبية ، وتعريفات للنقل فيما تملك الدولة من وسائط للنقل لا غنى للتاجر عن استخدامها فى نقل متاجره

وقسم يرجع إلى التجار أنفسهم

وكلا القسمين مرتبط بعضه ببعض

فاذا لم يكن التجار منظمين فى صور غرف تجارية ترتكز فيها المعلومات الخاصة والعامة عن الاحتياجات اللازمة لأداء التجارة مهماتها ، ولتشجيعها وتنشيطها فى غاياتها ، فانهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى ما هم محتاجون إليه من إصلاحات يوضحونها للسلطات العامة حتى تقر هذه السلطات ما لا يتعارض منها مع سواه وما يتحقق منه النفع الأكيد

وإذا لم يكن النظام التشريعى والعمل الحكومى قائماً على فكرة تشجيع التجارة المصرية ، فان التجار ، مهما نظموا أنفسهم فى صور غرف تجارية أو جماعات تعاونية ، يرون أنفسهم دائماً مثقلين بالعراقيل الناشئة عن عيب النظام القائم

ومهما يكن ارتباط التشريع التجارى بالتجارة فان على حضراتكم ، أيها السادة التجار ، واجبات لا أحاول أن أبينها لكم فأنتم خير العارفين والعاملين على السير بمقتضاها

فحضراتكم تعرفون جيداً ما تستدعيه أعمالكم من وجوب تنظيم محالكم التجارية ، وضبط دفاترها على قواعد حسابية ، وعمل الموازين اللازمة لمعرفة حالة التجارة من الربح والخسارة ، والعمل على إحسان الشراء ، وإحسان البيع ، وتقليل الوسطاء بينكم وبين المنتج لتصريف الحاصلات والمصنوعات بين المستهلكين بأرخص الأثمان ، وتحديد ثمن البيع بما يضمن الربح فى حدود المنافسة المشروعة ، والاعلان عما تبيعون باعتبار الاعلان قوة عصرية من القوى اللازمة لحسن التصريف

وحضراتكم تعرفون كيف تكونون تجاراً بمعنى الكلمة ، وكيف ترتبطون بتعهداتكم ، وكيف لا تخدعون أنفسكم فلا ترتبطون بما لا قدرة لكم على القيام به ، وكيف تحترمون تعهداتكم وتوفون بها فى مواعيدها ، وكيف تحرصون كل الحرص على شرف المهنة ورفع الاسم وإزالة ما كان يعلق بأذهان الكثيرين من المنتجين الأجانب من أن التاجر المصرى لا يعرف قيمة المواعيد ولا قيمة المبادىء التجارية — هذا وذاك تعرفونه وتؤدونه طبعاً فى حياتكم العملية بما هو أهل لأجمل الثناء

إنما لما كانت الحياة المصرفية التى أعيش فيها وسط « بنك مصر » ، والحياة التجارية التى تعيشون أنتم فيها وسط متاجركم — متصلتين اتصالاً وثيقاً ، فانى أريد فقط أن ألفت حضراتكم إلى وجه واحد من وجوه هذا الاتصال . لا لأنه خاف عليكم ، بل لأنه من الأهمية بحيث يستحق الاشارة والذكر

هذا الوجه هو أنه إذا كان التاجر لا غنى له فى هذا العصر عن الارتباط بأعمال البنوك ، فانه يحسن لكل تاجر أن يجعل أعماله محصورة فى بنك واحد . لا لأنى بذلك أدعو أن تكون أعمال كل تاجر مصرى محصورة فى بنك مصر وحده ، بل أدعو إلى أن تكون محصورة فى أى بنك يختاره هذا التاجر

وحصر أعمال التاجر فى بنك واحد من مصلحته ومصلحة البنك الذى حصر فيه أعماله ، بل فى مصلحة البلد نفسها . فانه ، بفضل هذا الحصر ، يستطيع البنك أن يكون واقفاً على جميع أعمال التاجر ، وعلى احتياجاته ، فيسهل له أعماله ، ويوليه الثقة المالية التى يستحقها طبقاً لمقتضيات هذه الحاجات . ويجب ألا يعتبر البنك خصماً له ، بل ينبغى أن يعتبره مساعداً له متمماً لعملياته ، لا غنى لأحدهما عن الآخر . وما البنك إلا كالطبيب ينبغى أن يكون واقفاً على حقيقة الداء ، قادراً على إعطاء الدواء بالقدر اللازم . وما رابطته بالتاجر إلا رابطة متينة تستوجب ألا يخفى عليه شيئاً من حساباته ولا من أعماله

أما إذا تعامل التاجر مع جملة بنوك ، فهناك خطأ وخطر : خطأ فى التقدير ، وخطر على سمعة البلاد وسمعة التاجر . إذ ماذا يعمل التاجر إذا تقدم لكل بنك ففتح له اعتماداً ، أو أقرضه ما يستحق من الاعتماد ، إلا أن تكون النتيجة أن التاجر الذى يستحق اعتماداً قدره ألف جنيه يستطيع بهذه الطريقة أن يأخذ من كل بنك قدر هذا المبلغ فيصبح مديناً بمبالغ تفوق كثيراً ما يمكنه القيام بدفعه ؛ وتكون النتيجة إفلاسه ، وضياع أموال كبيرة على جميع البنوك ، وتشويه سمعة البلاد

هذه العملية التى يأتيها أى تاجر تضر بجميع التجار ، وتضر بسمعة البلاد ، خصوصاً فى بلد كبلدنا نرى البنوك فيها يزاحم بعضها البعض فى جلب العملاء إليها دون أن توجد بينها أى رابطة لمعرفة مراكز عملاء كل بنك . وهذا نقص فى هيكل نظامنا المصرفى ، جدير بأن يعنى بازالته

ثم إنا كثيراً ما نسمع بعض التجار يشكون من أن بعض الوسطاء (القومسيونجية) يرمون عليهم البضائع ، فيضطرون إلى أخذ ما يزيد عن مقطوعياتهم ، كما يشكون من شروط البعض منهم الذى يحملهم على قبولها

وعندنا أن الذنب فى ذلك ليس ذنب الوسطاء ، لأنه لا يصح لرجل رشيد أن يقول : إنى أكرهت على شراء كذا بشروط كذا . والتاجر الرشيد يعرف اللازم ، ويعرف المقطوعية ، ويقدر الظروف . ولو سار جميع تجارنا على ما يجب أن يسيروا عليه ، ولو نظمت غرفاتنا التجارية تنظيماً جدياً أكثر مما هى عليه الآن — لكان التاجر هو الذى يملى الشروط ، لا أن تملى هى عليه ، ولوفق بين حاجاته ومقطوعيته ، وبين توصياته ومقدرته ، ولعرف حاجة بلاده ، والوسط الذى يبيع له ، ولما ارتمت البضائع عليه كيفما يرسلها المنتج ، بل لسير المنتج ، وطلب إليه ما تحتاج إليه السوق ، وما يتطلبه المستهلك

وإذا كان رقى التجارة من ناحية أخرى بوسائط النقل التى يستخدمها التجار كما

قدمنا ، فان مما يسرنا جميعاً أن تكون قد أسست بمعونة بنك مصر شركة مساهمة مصرية جديدة هى « شركة مصر للنقل والملاحة » ، وأن يكون من أغراضها النقل بجميع وسائطه ، والتخليص على البضائع والتأمين عليها والتخزين إلى غير ذلك من الأعمال التى يحتاج إليها كل تاجر ، وأن يكون من وجودها ما يشجع على نقل الأشخاص والبضائع براً وبحراً . فلا تجارة ما لم تكن مدعمة بملاحة ؛ ولا ملاحة ما لم يخفق فوقها علم البلاد المتاجرة التى ترد إليها أو تصدر منها المتاجر المختلفة

كذلك قد وجدت للتجار والصناع المصريين فرصة نفيسة للاعلان عن متاجرهم بطريقة الصور المتحركة . وذلك بانشاء شركة جديدة بمعونة بنك مصر هى « شركة مصر للتمثيل والسينما » ؛ من وظائفها ، فيما يتعلق بالصور المتحركة ، أن تستجمع صور الحياة الاقتصادية : تجارية كانت أو صناعية أو زراعية ، وأن تعرضها على الجمهور سواء فى الداخل أو فى الخارج — ليعرف الناس ما لدينا من متاجر ومصانع ومزارع

وفى الختام أشكر حضرات الداعين على دعوتهم ولطف حفاوتهم ؛ وأشكر حضرات المدعوين على حضورهم هذا الاجتماع الذى أرجو أن يكون باكورة اتحاد وتضامن بين الغرف التجارية المختلفة ، للعمل على ترقية التجارة المصرية وحال التجار المصريين فى ظل جلالة مليكنا المعظم فؤاد الأول حفظه الله . والسلام على حضراتكم أجمعين

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة تكريم أحمد عبد الوهاب بك

أقام نادى التجارة العليا مساء الخميس ١١ فبراير سنة ١٩٢٦ حفلة تكريم لحضرة صاحب العزة أحمد عبدالوهاب بك وكيل وزارة المالية المساعد ، فخطب لهذه المناسبة حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك الخطبة الآتى نصها :

سادتى ، أخوانى ، أبنائى الأعزاء

دعيت لهـذا الاجتماع فأجبت الدعوة شاكراً . والحق أنه ما دعانى داع لحضور اجتماع فى هذا النادى حتى رأيت من نفسى دافعاً قوياً يسوقنى إليه ؛ كأن الرابطة الهادئة البريئة التى تربط أعضاءه بعضهم ببعض ، رابطة الاشتراك فى الاتجاهات التجارية والمالية والاقتصادية ، قد جعلت منهم شبه عائلة واحدة ، وجعلت منى واحداً منهم ، أمتّ إليهم بأكثر من صلة تحملنى على إجابة الداعى إذا دعانى

ثم أنتم ياأهل هذا النادى ، بتكريم زميل من أفاضل الزملاء ، قد أكرمتمونا معه إكراماً ليس بعده إكرام . فنصبتم الموائد حوت ما لذّ وطاب من أصناف الطعام ، ويكفى أن يقال فيها إنها — على ما نذكر — لم تنصب هنا لسواه من قبل . ولو ذكرنا كيف يطبق أعضاء هذا النادى ما تعلموه من أصول الاقتصاد ، وما يزاولونه من الأعمال فى تدبير أموال ناديهم ؛ لو ذكرنا حرص مجلس إدارته على الدانق والسحتوت من أمواله وتقتيره فى صرفها وسعيه المتواصل فى تنميتها ؛ لو ذكر الحرص والتقتير والسعى فى خانة « منه » ، وذكر البذخ والسخاء والجود الحاتمى الذى رأيناه الليلة فى خانة « له » — لوجدنا كفتى الميزان غير متساويتين ، ولقلنا إن خروج هذا النادى من التقتير إلى السخاء حادث كبير فى حياته ؛ وهو حادث لم يسوغه إلا شعور قوى عام بأن المحتفل به محبوب

حقاً من أعضاء هذا النادى جميعاً ، وأنه أهل لاحداث هذا الحدث ، وهذا التحول من التقتير إلى التبذير ؛ وسر القوة فى هـذا التحول نعرفه جميعاً من منزلة المحتفل به فى سويداء القلوب

على أنه لو سألنى الداعون إلى تكريم من يكرمون ، قبل شروعهم فى توزيع دعواتهم ، لنصحت لهم أن يعدلوا عما ينوون . ليس لأنى لا أحب تكريم أحمد بك عبد الوهاب ، بل لأنى أعتقد أن فى أحمد بك عبدالوهاب قوة ذاتية كامنة : ما ظهر منها حتى الآن أقل بكثير مما عساه أن تجود لنا به من طيب الأثر وأحسن الأعمال . وهى قوة متجددة وسريعة التجدد عاماً بعد عام . وترونى أخشى ، إذا نحن كرمناه اليوم ، أن يأتينا فى كل عام بشىء جديد يستحق التكريم فنكرمه على غير سابق ترتيب ، فيكون لتكريمه حوليات كحوليات فحول الشعراء — وهو ما لا يرضاه لنفسه فى كل عام

وإذا صح أن ماضى الانسان كثيراً ما يكون دليل مستقبله ، فان ماضى أحمد بك عبد الوهاب ينمّ عن مستقبل باهر ، وأن الذى يتفاءل له بهذا المستقبل هو بعينه الذى تفاءل له بحاضره منذ عشرة أعوام . فقد عرفته حوالى هذا التاريخ عقب عودته من دراسته العالية فى أوربا . عرفته فتوسمت فيه النجابة ورجحان الفكر وحسن الاستعداد وواسع العرفان . رأيته أستاذاً فى مدرسة التجارة العليا ؛ واتصلت به فرأيت عقل الرجال الناضجين يرسخ عاماً بعد عام . وكان لنا من أثر حياة الأستاذ فى التعليم مؤلفاهُ فى مسك الدفاتر وطرق التجارة اللذان ، وإن كانا أوليين ، إلا أنهما من كنوز المؤلفات الحديثة التى أخرجها رجال التعليم فى عصرنا الحاضر . وهو قادر فى مستقبل الأيام وبقدر ما يسمح له به الفراغ من أعماله الكثيرة أن يخرج لنا من المؤلفات العالية فى الفنون الحسابية والتجارية والمالية ما يصح أن يكون مضرباً للأمثال فى سمو المدارك وبعد المنال

ثم زاد ارتباطنا به منذ تأسيس بنك مصر ، واختياره مراقب حساباته ؛ فرأيت عقل الرجال الراسخين يتحول بسرعة إلى حكمة الشيوخ المجربين . فهو شاب فى عقل الشيوخ ، وهو شيخ فى عنفوان الشباب . وقد أيدت الجمعية العمومية للمساهمين اختياره مراقباً للبنك بدون انقطاع منذ ستة أعوام . وإذا كان التعليم التجارى قد خسر أحمد بك عبد الوهاب فان وزارة المالية قد استفادت عاملا نادر الكفاءة والاقتدار ، بدليل أن ارتقاءه كان عن كفاءة وجدارة وكان نادر المثال ، فقد تدرج سريعاً وبحق فى خلال ثلاثة أعوام أو أربعة أعوام من وظيفة تابعة إلى وظيفة رئيسية كبرى ، هى وظيفة وكيل المالية المساعد . ولولا ما يؤخذ عليه ، ولا ذنب له فيه ، وهو أن كفاءته تعدو سنه بمراحل ، لكان الآن فى منصب أكبر من منصبه الحالى

ومن عجب أن نكون نحن من أكثر الناس فرحاً بارتقائه ، وأن نكون مع هذا من أشدهم خوفاً أن يأخذ به حظه الصاعد إلى مناصب الوزارة ، لأنا نعلم أن منصب الوزارة ، بمقتضى الدستور ، يقطع بيننا وبينه صلة العمل المشترك فى بنك مصر . ونحن نود دائماً أن يكون بيننا وبينه هذه الصلة . فالى هذا الحد ، وإلى هذا الحد وحده ، تذهب أمانينا لكم ، فى ارتقائكم إلى المناصب الكبرى ، فاقبلوها منا على عذر فانا على بقائكم معنا لحريصون

هذا الماضى الجميل ، أيها السادة ، هو دليل المستقبل الباهر ؛ وضمان هذا المستقبل قوام من الأخلاق الفاضلة ، أساسها الحرص على إتقان الأعمال والاعتماد على النفس فى القيام بها ، والاخلاص لها ، والوفاء بالوعد ، والصدق فى القول . وضمان هذا المستقبل ذكاء كالسيف نافذ ، وخبرة جمعت بين العلم والعمل فى مختلف الوجوه : بين العمل الادارى والمالى العام الذى يمارسه فى وزارة المالية ، والعمل المالى الخاص الذى يزاوله فى بنك مصر كلما سمحت له أوقات الفراغ من وظيفته الرسمية . وقل أن تتهيأ لمصرى نابه فرصة

للاحاطة بشئون المالية العامة وشئون المالية الخاصة ، كالفرصة التى تهيأت لصديقنا أحمد بك عبد الوهاب ، فلمَ لا تكون هذه الفرصة وهى مقرونة بالعلم المكتسب والذكاء الفطرى مدعاة للتفاؤل له بأحسن مستقبل ؟

أنت إذن أيها العزيز ، جدير بكل تكريم . ونحن إذا كنا نكرمك اليوم فى هذا النادى ، فانا نكرمك تكريماً عائلياً . نكرمك فى المكان الذى أثمرت فيه جهودك ، فتخرج الكثيرون من أعضائه على مبادئك وتعاليمك القويمة . نكرمك اليوم بين عدد محدود من عارفى فضائلك . وما تكريمنا اليوم إلا تمهيد لتكريم أعظم شأناً وأوسع دائرة تقوم به الأمة المصرية جمعاء فى وقت قريب من سنى حياتك المباركة . فأنت من أبناء هذه الأمة البارين بها ، العاملين على خدمتها وترقيتها

أمدك الله بروح من عنده ، وألبسك دائماً ثوب العافية حتى تؤدى لبلادك أقصى ما تستطيع قدرتك المتناهية أن تؤديه إليها من خير عظيم ، ونفع عميم

والسلام عليكم أجمعين

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة افتتاح فرع بنك مصر ببنى سويف

يوم الأحد ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦

سادتى

أشكر حضراتكم جزيل الشكر على هذا الشعور الحى الذى دفع بكم جماعات جماعات من مختلف جهات مديريتكم العزيزة للاشتراك معنا فى احتفال اليوم بافتتاح فرع بنك مصر فى بنى سويف

ثم أبدى لكم اعتذارنا لأن الترتيب الجغرافى كان يقضى بأن تكون مديرية بنى سويف أول مديريات الوجه القبلى لتأسيس فرع للبنك بها . وقد عدلنا عن هذا الترتيب وبدأنا بتأسيس أول فرع لنا بمديرية المنيا . ولعلكم تعتبرون من الظروف المخففة أن مديرية المنيا كالشقيقة الكبيرة لمديريتكم ، وأن لها مقامها بهذا الاعتبار فضلاً عما يجب أن يكون بينكم وبينها من حسن الجوار . ولعلكم قد تعتبروننا محقين فى الاعتذار إذا أنتم وضعتم أنفسكم موضع أنفسنا ، فى السنة الثانية أو الثالثة من حياة البنك يوم افتتحنا فرعه فى المنيا . فى هذا الحين لم يكن فى الامكان أن نتخذ الترتيب الجغرافى مسوغاً لتقديم فرع على الآخر . بل كان الدافع لنا أن ننظر فى افتتاح الفروع إلى أكثر الجهات حركة وعملاً ، تجارياً ومالياً ، حتى ينشأ فرع البنك فى بيئتها ويستدرّ الربح منها سهلاً حلالاً سائغاً

والآن ، وقد شبعنا من مديرية المنيا التى أغدق أعيانها وأهاليها الكرام علينا من الثقة وحسن المعاملة ما جعل فرع البنك فيها فى مقدمة الفروع عملاً وربحاً ، فاننا نسر بافتتاح فرع جديد له فى بنى سويف . ونرجو أن يكون وجوده ، قبل كل شىء ، فائدة لهذه المديرية فى معاملاتها التجارية والزراعية ؛ لأن بنك مصر ، باعتباره مصرفاً مصرياً

صميما للمصريين ، يهمه ، قبل كل شيء ، أن يؤدى النفع العام المقصود منه ؛ فيعوّد المصريين على معاملات البنوك النظامية ، ويساعدهم على التوفير وعلى تنظيم أعمالهم المعاشية بالايداع عندما يفيض الايراد ، والاقتراض الحسن عندما تدعو الحاجة إلى الاقتراض . بنك مصر يريد هذا النفع العام ، بالتعويد على هذا النظام فى حياة الأمة ، قبل أن يقصد إلى تحقيق فائدة أو ربح من أعماله . والربح واجب لاشك فيه ؛ والفائدة واجبة لا مراء فيها . ولكن هذا الربح وهذه الفائدة إلى من تؤول ؟ أتؤول إلى شخص معين ؟ كلا إنما هى تؤول إلى مجموع المساهمين فى البنك . ومن هم المساهمون فيه ؟ هم المصريون : فكأن الربح الذى يصيبه البنك من أعماله عائد إلى المصريين

من أجل هذا كان بنك مصر بنك المصريين أجمعين ، وكان من فضلة القول أن أوصيكم خيراً بفرع البنك الجديد فى بنى سويف . فان الفرع ، بل الفروع ، بل الأصل والفروع ، ملك لكم أيها المساهمون فيه من مديرية بنى سويف أو بقية مديريات القطر . وغاية الأمر أن كل فرع جديد يكون كالمولود الجديد ؛ وكما أن المولود الجديد يستحق عناية خاصة به حتى تمر أيامه وشهوره الأولى بسلام ، كذلك فرع بنك مصر الجديد يستحق منكم هذه العناية . فأولوه ثقتكم ، وأودعوه أموالكم ، وركزوا فيه أعمالكم . ومن لم يكن منكم مساهماً فيه فليساهم فى أسهمه حتى يكون له نصيب من أرباحه . فالبنك موجود بكم ، وقائم لكم وللأجيال التالية من بعدكم . فاذا نصرتموه فانما تنصرون أنفسكم ، وتحسنون بترك أفضل أثر قومى إلى ذرياتكم . ولن ينفع القوم شيء قدر ما تنفع الأعمال الانسانية البارزة التى يؤسس فوقها الاستقلال الاقتصادى الصحيح

وإنى ، باسم مجلس إدارة البنك ، أشكر حضراتكم ؛ وباسم الله تعالى أعلن افتتاح فرع بنك مصر فى بنى سويف ، وأرجو أن تكون حياة الفرع قرينة للرخاء المستمر فى هذه المديرية المحبوبة . والسلام على حضراتكم أجمعين

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة الغرفة التجارية ببنى سويف

يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٦

سادتى

السلام عليكم ورحمة الله ، ثم شكراً على تفضلكم بدعوتى إلى غرفة بنى سويف التجارية ، وشكراً على ما تفضل به حضرات الخطباء وما صاغوه من عقود الثناء . واستسمحهم إذا رددت عليهم بكلمة واحدة ، وهى أن كل ما ينسب إلىّ من فضل فى تأسيس بنك مصر ، أو فى أعمال الشركات الأخرى ، ما كنت لأستطيع أن أقوم به وحدى لولا أن دعوتى إلى هذه الأعمال كانت دعوة صادقة لوجه الله تعالى ، لا أبغى منها إلا النفع العام ، وإلا العمل الثابت يقوم به المصريون فيبقى للمصريين ولأبناء المصريين جيلا بعد جيل . فلولاهم ، ولولا تعضيدهم بعزيمة صادقة نادرة المثال ، لما كان بنك مصر ولا كان غيره مما يشابهه من الأعمال . فاليهم ، وإلى المساهمين خصوصاً ، وإلى المتعاملين مع البنك ، وإلى القائمين بهذه الأعمال من مديرين وموظفين وعمال — يرجع الفضل فيما ينسبونه إلىّ ، إن حقاً وإن مجاملة ، مما اعتبره من غير حق على أى حال

ثم أشكر بالذات حضرة الفاضل رئيس غرفتكم التجارية الذى ما كنت أستطيع أن أرفض دعوته لأسباب كثيرة : فهو رجل لطف وظرف ليس من المستطاع عدم التأثر بلطفه وظرفه . والمتكلم بينكم الآن من تجار الأموال ، وحضرته من تجار الأقطان ؛ وتجارة الأقطان عماد تجارة الأموال . فالأقطان فى بلدنا هى أهم مادة تمولها المصارف فى مصر ، حتى كان لبنك مصر ولا يزال له فيها مركز ممتاز ، وحتى إن الذين رأوا طريقة

معاملته فى التسليف على الأقطان اقتنعوا بأنها فى الغالب طريقة رشيدة سليمة آمنة ، وأنها فى صالح البلاد وصالح أرباب الأقطان وصالح البنك نفسه . وما وظيفتنا إلا التوفيق بين هذه الصوالح . وقد يكون بنك مصر هو أكبر هيئة مصرية فى وسعها أن تقدر المركز وما يناسبه للوصول إلى هذا التوفيق أحسن تقدير

وهذه الغرفة جديرة بكل اعتبار فى ذاتها ، فضلا على أنها عنصر من بقية عناصر الغرف التجارية فى القطر المصرى . ونحن من أكثر الناس تقديراً لأهمية هذه الغرف ، واعتقاداً بأنها ضرورة محتمة لتنظيم الحياة التجارية تنظيماً عاماً يعود أثره عليها وعلى أفرادها وعلى البلاد . فكيف لا أجيب دعوة غرفة منها ، هى ، بجوار فرع بنك مصر فى بنى سويف ، الهيئة الشقيقة الساعية معه على تحقيق غرض واحد ، هو تعويد القائمين بالأعمال على فكرة الاقتصاد وحسن النظام

ثم هناك سبب آخر ، وهو أننى قرأت أثناء سياحتى فى الخارج أن كل غرفة تجارية من غرف القطر المصرى قد تأثرت ، من تلقاء نفسها وبدافع من ذاتها ، عند ما علمت بمسألة أموال مجالس البلديات وطريقة إيداعها فى البنوك . فشعرت ، وأنا بعيد عن هذه البلاد ، بأن القلب واحد فى أنحاء القطر ، بدليل أن نبض هذه الغرف قد دق بدقة واحدة من تلقاء نفسه ، وأظهر من الغيرة على بنك مصر ما يدعونى أن أشكر لهذه المناسبة الغرف التجارية جميعاً وغرفة بنى سويف بالذات . كما أشكر الأمة بأجمعها وحضرات النواب الذين قاموا قومة واحدة فأرجعوا الحق إلى نصابه ، وقرروا قرارهم المشهور . وليس فى وسع بنك مصر إلا حمد الله على هذه الثقة ، وشكر حضراتهم عليها . والله تعالى يتولى جزاءهم الأوفى

سادتى أعضاء الغرفة التجارية

فرغنا من الرسميات ؛ فلننتقل إلى محادثة عائلية صرفة :

حضرات الداعين تجار يعرفون طبعاً ما للتاجر وما عليه من حقوق وواجبات . ولا أتكلم عن الأولى فهى محددة بما للغير من حقوق . ولنقتصر فى حديث اليوم على الثانية

أنتم وسطاء بين المنتج والمستهلك . فمن واجب التاجر منكم ، أيها السادة ، أن يحسن الشراء ويحسن البيع ويحسن الحساب ، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا رتب أموره ونظم أعماله على أحدث طرق الترتيب والنظام ، وأمسك حساباته بطريقة منتظمة ، وهى مرآة حاله تريه فى كل وقت حقيقة حالته المالية ، وتوقفه على ماله وما عليه وعلى الثمن الذى به اشترى والثمن الذى يجب أن يبيع به ، بحيث يغطى نفقاته بجميع أنواعها ، ويزيد عليها الربح الذى يريد أن يربحه بشرط مجاراة السوق والمنافسة الشريفة

يجب عليه أن يدرس حالة الأسواق التى يستورد منها بضاعته ، وشروط بيعها ، وشروط الوكلاء عنها ، كما يدرس مقطوعية سوقه من هذه البضائع ومواسم لزومها ، وقيمة الرصيد منها فيها ، وأسعار هذه السوق ، ومقدار الموجود لديه منها وتكاليفها عليه — وما لا يستطيعه هو ، تستطيع الغرف التجارية القيام به لأعضائها

يجب عليه أن يوفق بين طلباته وتوصياته ، وبين حاجة سوقه وحاجته هو منها . فلا يوصى بمقادير تزيد على هذه الحاجة ، ولا على أشكال وأصناف لا تناسب المرغوب فيه فى سوقه ؛ بل عليه أن يتبع أذواق عملائه ويواصل مع توصياته ، من المرغبات والمشوقات ، ما يجعل لبضاعته سوقاً ويزيد الاقبال عليها

يجب عليه أن يوفق بين تعهداته وموارده ، فلا يتعهد بدفع مبلغ إلا إذا وثق من الوفاء فى الميعاد . فيحترم المواعيد والاستحقاق ، ويقضى على تلك الوصمة التى يوصم بها — إن صدقا وإن كذبا — التجار المصريون من أنهم لا يعرفون قيمة المواعيد ولا

الوفاء فى الاستحقاق . ولا تنسوا أن الدّين همٌّ بالليل وذل بالنهار . اقتصدوا ثم اقتصدوا فى نفقاتكم الشخصية ؛ ودققوا بين صافى ربحكم وبين ما تنفقون ؛ ولا تغترّوا بعام فيه ربح كثير ، فأمامكم أعوام ربما كانت عجافاً ؛ ولا يغرنكم فتح اعتمادات لكم بالبنوك ، فهى ليست برأس مال لكم ، بل وظيفتها المساعدة لتسهيل المعاملة ثم ترجع لأصحابها ، ولكم ما تصيبون منها من ربح . واذكروا دائماً أن الدرهم الأبيض ينفع فى اليوم الأسود ، أو كما يقول أهل الصعيد : الدرهم الأحمر ينفع فى اليوم الأسمر

يجب على تاجر القطن منكم ألا يندفع ولا يتهور وأن يقنع بالربح القليل ؛ والقليل فى الكثير كثير . وبدل عمل عملية واحدة ينتظر منها ربحاً كبيراً يعمل عمليات متعددة ويكثر من الحركة — وفى كل حركة بركة

يجب عليه ألا يشترى أزيد من السوق ، لأنه يتاجر فى بضاعة حاضرة لها سعر يومها . أما تجارة الأمل فليست من خصائصكم ؛ واتركوها لذوى المطامع الواسعة . أما أنتم فحرام عليكم أن تضيعوا فيها قرشاً واحداً وأنتم والبلاد محتاجون إليه . لا تشتروا إلا إذا ضمنتم الربح يوم شرائكم ، واضمنوا هذا الربح . انبذوا المضاربة الممقوتة ؛ وكونوا تجاراً حقيقيين يبنون شراءهم وبيعهم على الحساب

تعلموا وعلموا الحساب ؛ فهو كل المطلوب . فمعظم أسباب فشل كثير من مشروعاتنا وإفلاس كثير من تجارنا الطمع وعدم الحساب أولا ، وخرم الحساب يوم الحساب . فعليكم بالحساب ؛ فمن حسب كسب . انظروا إلى مبادىء الاسلام تجدوها تحث على تعلم الحساب

ففى أصل الزكاة وما يتفرع منه من تبيين أنواع الأموال ، وما حال عليه الحول منها ، ومقدار النصاب الواجب على كل نوع منها ، وفرضه على الزائد من المال بعد حجز ما على الملك من دين ونفقة العام المقبل — أمر يوجب عمل ميزانية بما للشخص وما

عليه نوعاً نوعاً ، لاستخلاص رأس المال الصافى موضحة أبوابه وأنواعه وعمل ميزانية لمصروفات السنة المقبلة . ولعمرى ما علم المحاسبة غير ذلك

فتعلموا الحساب وعلموه ، كما قلت ، وإن لم يكن ذلك من طريق الواجب على التاجر فمن طريق الدِّين الذى تدينون به

أنتم أعضاء غرفة تجارية واحدة أى أعضاء عائلة واحدة . فتضامنوا على إذاعة علم الحساب والمحاسبة ومبادىء التجارة الصحيحة ؛ وبثوا بينكم وبين شبيبتكم هذه المادة ؛ وعودوهم على الاقتصاد وشرف المعاملة وحسنها والصدق والأمانة — فدينكم المعاملة . واستفيدوا من علم غيركم وتجاريبهم ؛ واستجمعوا من المعلومات ما يفيدكم جميعاً ؛ واجتهدوا فى توحيد جهودكم ، فاشتروا بالجملة مع بعضكم ، توفروا كثيراً من النفقات والعمولات ولا تستهدفوا للوسطاء ، ومن العيب أن يقول بعضكم إن الوسيط يرمى البضاعة رمياً بلا لزوم . فأنتم الأدرى باللازم لكم وغير اللازم . والواجب أن تكونوا أنتم المملين على الوسطاء شروطكم

وبالجملة ، يا إخوانى ، أرجو أن تكونوا تجاراً بمعنى الكلمة ، وأن تكون غرفتكم من أوائل الغرف التى تعمل على تحقيق ذلك . وكونوا يداً واحدة ؛ فيد الله مع الجماعة . وليكن شعاركم جميعاً الترتيب والنظام ، الاقتصاد والحساب ، الشرف والوفاء . وفقكم الله وإيانا إلى ما فيه خير البلاد ونجاحها . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

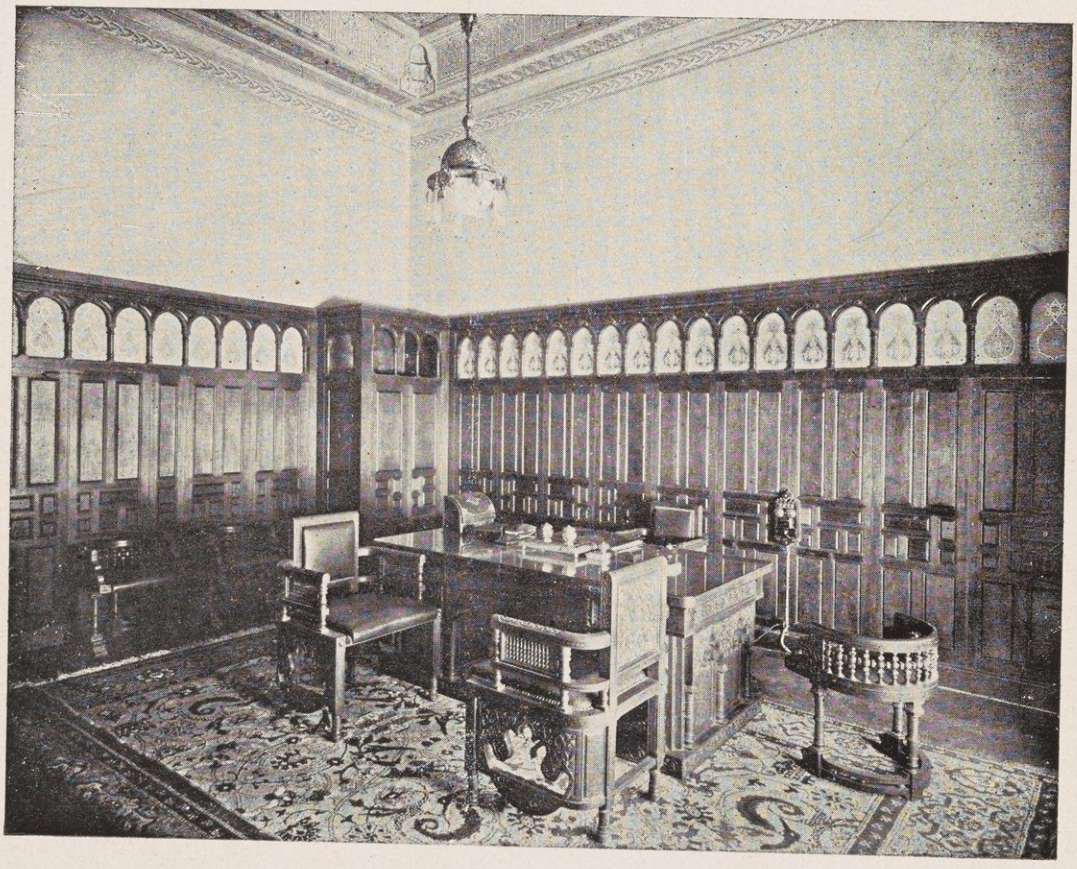

غرفة حضرة صاحب العزة الدكتور فؤاد سلطان بك

خطبة طلعت حرب بك

فى حفلة افتتاح فرع بنك مصر بمدينة الفيوم

يوم الأحد ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦

سادتى

إنى سعيد جداً لأن أقف بينكم لمناسبة افتتاح فرع بنك مصر فى عاصمة مديريتكم المحبوبة ، وأن أرى نفسى غير غريب فيها . فمعظم الحاضرين ، إن لم أقل جميعهم، قد التقينا بهم من سنوات هنا وبعاصمة القطر قبل أن نلتقى بهم اليوم ؛ وكثير من الحاضرين كان لهم الفضل فى التسابق للاشتراك فى تأسيس بنك مصر ، ولاظهار الثقة فيه عند كل مناسبة ، ولا سيما عند إعلانه الاكتتاب فى شىء من أسهمه

ثم لحضراتكم فضل آخر غير هذه الأفضال ، فقد تألفت الوفود من كبار رجالكم ، وقصدت إلى بنك مصر فى القاهرة أكثر من مرة ، طالبة ثم طالبة ثم ملحة فى استدعاء الادارة المركزية إلى تأسيس فرع للبنك فى مديرية الفيوم . والحق أقول لحضراتكم إنا كنا نشعر فى كل مرة يزورنا فيها وفد من وفودكم بشىء غير قليل من السرور ، ونبتهج بما رأى من علامات الثقة الاجماعية التى يؤيد بها المصريون هذا العمل القومى العظيم . لكنا كنا نأسف لعدم استطاعتنا إجابة طلبات هذه الوفود من سنتين أو ثلاث سنين . كنا نأسف لأنه لم يكن فى الامكان أن نقوم بتأسيس فروع للبنك دفعة واحدة فى عدة جهات ، فكان لابد لنا إذن من التدرج فى هذا التأسيس ، وأن نبدأ فى جهة قبل أخرى حسب ما يبدو من حاجات العمل العاجلة

وإنى أحمد الله سبحانه وتعالى على أن تهيأت الظروف فساعدت على تأسيس هذا الفرع الذى نحتفل بافتتاحه اليوم ، وعلى أن وقع من نصابى أن أنوب عن مجلس

إدارة البنك فى هذا الاحتفال ، وأن يكون لى الشرف العظيم لرد زيادة الوفود ، ولشكر حضراتكم أجمعين على تفضلكم بالاشتراك فى هذا الاحتفال . والحق ، أيها السادة ، أن بنك مصر غير قابل للتجزئة . فهو وحدة متماسكة متجانسة لا تمييز فيها بين المركز الرئيسى وبين الفروع . فالأسهم للمصريين وحدهم ؛ وأرباحهم آتية من أرباح البنك من أى جهة كانت

ومع هذا فانه ينبغى أن يكون كل فرع من الفروع قائماً ونامياً ومتقدماً ، بحيث تكون أرباحه علامة النشاط الاقتصادى والمالى فى الجهة التى يعمل فيها ، وحتى يكون ما يأخذه المساهمون فى أسهم البنك متقابلا مع ما يمكن أن ينتجه فرع البنك فى هذه الجهة نفسها . ولهذا فاننا لانشك فى أن الأعمال فى فرع بنك مصر فى الفيوم ستكون آخذة فى الازدياد والتقدم بقدر ما يعرف فى حضراتكم من الهمة العالية والرغبة الصادقة فى تعضيد البنك وتشجيعه وجعله فى عامه الحالى أعظم من عامه الماضى ، وفى عامه المقبل أعظم من عامه الحالى ، حيث يكون التقدم مستمراً ، ويكون البنك قوة حقيقية متغلغلة فى حياة الأمة المصرية ، وسائرة بها فى طريق الاستقلال الاقتصادى

فباسم الله تعالى أعلن افتتاح فرع بنك مصر فى الفيوم ، وأرجو حضراتكم أن تدخلوا داره ، كما تدخلون داركم ، واثقين سالمين آمنين . والسلام على حضراتكم أجمعين

كلمـــــــة

حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك

فى حفلة تياترو حديقة الأزبكية مساء يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٢٧

التى دعا عزته إليها حضرات أعضاء مؤتمر الغزالين

أصحاب السمو والمعالى والسعادة

سيداتى وسادتى أعضاء مؤتمر الغزالين

باسم هيئتين مصريتين بمعنى الكلمة ، هما بنك مصر والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان ، لى الشرف والسرور أن أرحب بكم فى هذه الدار المصرية أيضاً . حيث يقدم لكم فى هذا المساء مانرجو أن يكون فيه تسلية ، وتكوين فكرة عن مظهر جديد من نشاطنا القومى

ولئن وجدتم بالتأكيد فى بلادنا حسن الضيافة الودية ، فانى أؤمل أن تكونوا قد وجدتم فيها مايدعو إلى زيادة العلم بشؤونها ، ولا سيما فيما يتعلق بالقطن الذى هو أهم حاصلات أرضنا ، والذى تهتم به عدة صناعات عالمية . فان تبادل الآراء فى موضوعه ، وفحص جميع المسائل المتعلقة به ، فى جو من الثقة المتبادلة ، يساعد بالتحقيق على خلق علاقات جديدة ، وعلى تمكين علاقات قديمة ، أو على تحسين حالها فى مصلحة الجميع وفى مصلحة كل طرف فيها بالذات

على أن مثل هذا قد قيل فى حفلة افتتاح المؤتمر بعبارات أدق فى المعنى . أما نحن فقد أردنا ، فقط . أن ننتهز فرصة وجودكم فى القاهرة لنقدم لكم فى هذا المساء

بعض مناظر تمثيل روائى مصرى ، أو صور متحركة فى موضوعات مصرية ، لا شك أنها ستلفت أنظاركم إليها

ونرجو — بجوار جميع المظاهر الأخرى عن الحياة المصرية التى تكونون قد شاهدتموها — أن تبقى ليلتنا هذه فى نفوسكم تذكاراً جميلا لشديد رغبتنا فى أن تسود بيننا وبين جميع أصدقائنا القدماء والجدد العلاقات الودية التى أعتبر نفسى سعيداً ، بصفتى مصرياً ، لتأكيدها لكم فى هذا المقام

ALLOCUTION

de Son Excellence TALAAT HARB BEY

à l'occasion de l'invitation qu'il a adressé aux membres du Congrès du Coton, au Théâtre du Jardin de l'Ezbékieh, le 30 Janvier 1927.

ALTESSE,

EXCELLENCES,

MESDAMES ET MESSIEURS LES MEMBRES DU CONGRÈS,

C'est au nom de deux Etablissements purement Egyptiens, la **Banque Misr** et la **Société Anonyme Egyptienne pour le Commerce et l'Egrenage du Coton,** que j'ai l'honneur et le plaisir de vous souhaiter la bienvenue dans cette maison également égyptienne, où nous avons cherché, ce soir, en même temps que vous distraire, à vous donner une idée d'une nouvelle manifestation de notre activité nationale.

Vous aurez déjà, j'en suis sûr, trouvé dans notre pays une large et cordiale hospitalité et, je l'espère, matière à enseignement. Le coton, principal produit de notre sol, intéresse de nombreuses industries mondiales, et les échanges d'idées, l'examen de toutes les questions s'y rattachant, dans une atmosphère de confiance réciproque, contribueront certainement à créer des relations nouvelles, à en resserrer d'anciennes, à les améliorer dans l'intérêt de tous et de chacun en particulier.

Tout ceci vous a été dit déjà en des termes plus précis dans la séance d'inauguration du Congrès. Pour nous, ce soir, nous avons voulu, profitant de votre séjour au Caire, vous offrir le spectacle qui va vous être présenté et qui vous intéressera sans doute.

Nous espérons qu'à côté de toutes les autres manifestations de la vie Egyptienne qu'il vous sera donné de voir, notre soirée vous laissera un agréable souvenir de notre vif désir d'entretenir avec tous nos amis, anciens et nouveaux, des relations cordiales, dont je suis heureux, en ma qualité d'Egyptien, de vous donner ici l'assurance.

خطبة محمد طلعت حرب بك

عن قوة السينما وطريقة استخدامها فى مصر

ووظيفة شركة مصر للتمثيل والسينما ، وأعمالها ، وأغراضها

دعا حضرة صاحب المعالي أحمد مدحت يكن باشا رئيس مجلس إدارة شركة مصر للتمثيل والسينما حضرات أعضاء البرلمان وأصحاب الدولة والمعالى الوزراء وكبار رجال الحكومة وكبار الأعيان ورجال الصحافة والأدب وعدداً غير قليل من ذوى الحيثيات والفضل لمشاهدة بعض الصور المتحركة التى صنعتها شركة مصر للتمثيل والسينما وعرضتها في تياترو حديقة الأزبكية مساء يومى ٢٩ و ٣٠ مارس سنة ١٩٢٧ فألقى حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك على حضرات المدعوين الخطبة الآتية : —

أيها السادة

باسم صاحب المعالى أحمد مدحت يكن باشا رئيس مجلس إدارة شركة مصر للتمثيل والسينما ، داعى حضراتكم إلى هذه الحفلة ، وباسم مجلس الادارة الذى أتشرف بالعضوية فيه — أشكر حضراتكم جزيل الشكر على إجابة الدعوة ، وتفضلكم بالحضور لمشاهدة بعض مناظر الصور المتحركة التى صنعتها الشركة

وكم كنا نود فى هذه الليلة من ليالى رمضان المبارك ، التى يحلو فيها السمر ، أن تكون الصور التى نستعرضها أمام حضراتكم عبارة عن رواية من الروايات : مصرية فى موضوعها ، مصرية فى أشخاصها ، مصرية فى مناظرها ، مصرية فى صناعتها — لولا أننا أيها السادة ، فكرنا منذ الساعة الأولى من تأسيس هذه الشركة فى سنة ١٩٢٥ أن صناعة السينما صناعة واسعة الأطراف ، متعددة النواحى ، وأن الحكمة تقضى علينا بالتدرج فيها ، فنأخذ بالبسيط من عناصرها أولا ، حتى إذا أتقنا صنعه انتقلنا إلى تركيب

مزيج وسط من هذه العناصر ، ثم ارتقينا فى النهاية إلى وضع الروايات بالصور المتحركة وعرضها على اللوحة البيضاء أمام الناظرين

١ — قوة السينما ورواية السينما

وذلك لأنه من يوم أن اخترعت السينما فى سنة ١٨٩٥، والرواية مظهرها الأعظم ، لما يترتب على عرضها أمام الأنظار من اجتذاب الجمهور إليها ، ولا سيما إذا كان أشخاص الرواية ممن يمتازون بالجمال أو بحسن الايماء ، وكان موضوعها مما تهتز له حواس الناظرين

ومن أجل الرواية ، وإقبال الجمهور عليها ، أصبحت السينما قوة هائلة من قوى العصر الحاضر ، قد تناطح قوة الصحافة وقد تسبقها بعد حين

ومن أجل الرواية ، ومن أجل إقبـــال الجمهور عليها ، اتسعت صناعات السينما ، فوجدت مصانع لصنع الأشرطة الخام ، ووجـدت مصانع لصنع آلات لأخذ المناظر ، ولتحميض الأشرطة ، وتلوينها ، وتنشيفها ، وطبعها ، وترتيب سياقها ، واختيار ما يشاء اختياره منها ، وتقديم ما يراد تقديمه وتأخير ما يراد تأخـيره ، وآلات لقياسها ولفها ، وماكينات لعرضهـا ، فضلاً عن ماكينات أخرى يستحيل حصرها ، حيث الصناعات ناشئة والتقدم فيها سائر بخطى واسعة عاماً بعد عام

ومن أجل الرواية ، ومن أجل إقبال الجمهور عليها ، تـكونت طبقات جديدة من الفنانين : تـكوّن الممثلون ؛ وظهر أن الممثل فوق المسرح قد يبرع فى التمثيل الناطق لرنة فى صوته أو حرارة فى إلقائه ، أما فى التمثيل الصامت ، فى التمثيل بالسينما ، فالممثل ينبغى قبل كل شىء أن يكون حسن الاشارة والايماء . فبالاشارة وحـدها ، الاشارة باليد ، وخصوصاً الاشارة بالعين ، يتفاضل الممثلون الماهرون بعضهم عن بعض . وتـكوّن بجوارهم مديرون فنيون ، بلغت درجات التخصص فى أعمالهم حداً يعرفه الاخصائيون

ومن أجل الرواية ، ومن أجل إقبال الجمهور عليها ، تكونت أحياء كاملة فى جميع بلدان العالم الراقية ، بل تكونت فى أمريكا مدن قائمة بذاتها : بجبالها ووهادها ، وأنهارها وبحيراتها ، وأشجارها وغاباتها ، وبيوتها وقصورها — لتجرى فيها حوادث الروايات المراد أخذها بآلة التصوير الخاطفة . وعملت قوة الخيال على التصرف بموجودات الطبيعة فى المكان ، مقرونة بقوة الابتكار ، فى اختراع وسائط مصطنعة ، سرها عند أهل الفن من رجال السينما . ترينا الانسان طائراً ، أو ساقطاً من شاهق ، أو خارجاً من انفجار — وهو فى كل هذه الحالات سليم لا يمس بأذى . وكم فى هذه الابتكارات من نكات لطيفة وأساليب طريفة ، أثارت الاهتمام من أضعف الناس خيالاً ، أو الضحك من أشد الناظرين عبوساً ، وأقلهم فى الحياة ضحكا

ومن أجل الرواية ، ومن أجل إقبال الجمهور عليها ، تكونت الشركات لاستغلال عرض الصور المتحركة فى دور خاصة بالسينما تحكى دور التمثيل ، ولو أنها تختلف عنها فى عدم الاحتياج إلى المناظر ، وفى أن أحسن مقاعدها ما كان منها بعيداً عن اللوحة البيضاء

وبفضل هذا النظام الدقيق فى الغرب ، المبنى على التخصص وإتقان كل عامل ما يخصه من عمل ، وبفضل الذوق الذى هو الحجر الأساسى فى كل عمل فنى — استطاع القائمون بأمر الروايات أن ينفقوا على الرواية الواحدة عشرين أو أربعين ألف جنيه أو أكثر من ذلك . ولكنهم استطاعوا أن يطبعوا منها بدل النسخة الواحدة عشرات النسخ ، تطوف داخل بلادهم ، ثم توزع بترتيب محكم من قطر إلى آخر حتى لا ينقضى العام الواحد إلا كان أكبر عدد من دور السينما الراقية قد استعرضها على لوحته البيضاء

فالسينما أكبر اختراع عصرى صادف هوى فى النفوس ، فأصبح قوة جذابة من قوى العصر ؛ وسيبقى كذلك مع توالى العصور ؛ ولا سيما أن التحسينات المتوقعة له فوق ما يتصوره العقل . وقد يكون أهمها تسجيل الأصوات وأداءها فى وقت واحد

مع شارة الممثلين بجهاز يحاكى جهاز الفونوغراف يسير بسرعة واحدة مع سرعة عرض الأشرطة المتحركة

وإذا كان اختراع السينما قد أدى حاجة نفسية من حاجات البشر فانه ، ككل اختراع ، له محاسنه وله عيوبه

له محاسنه فى خلق صناعات جديدة . وفى خلق ميادين للذكاء الانسانى ، أو الذوق الفنى ، يعمل فيها بنشاط غريب . وله محاسنه فى تسلية الناس والتفريج عن صدورهم بالضحك الساذج ، وفى تلقينهم معلومات مفيدة كانوا يجهلونها قبل أن يروها على اللوحة البيضاء ، وفى وقوفهم على مناظر بديعة للطبيعة والبلدان كان من المتعذر الوقوف عليها بغير عرض الأشرطة المتحركة ، وفى إثارة الحماسة فى نفوسهم فى مواقف الحماسة ، وتحبيذ الشجاعة والهمة والمروءة فى مواقف الأخلاق الفاضلة

ولاختراع السينما من الجانب الآخر عيوبه . فان الفضائل لاتعرف إلا بمقابلتها بالرذائل : فالشجاعة بالجبن ، والمروءة باللؤم ، والبراءة بالاجرام ، والاحسان بالاساءة . ومن هنا ظهرت على اللوحة البيضاء المحاسن والأضداد ، فظهرت صورة منحطة من الناس ، وأعمال منطوية على خبث نياتهم . وظهرت الجرائم كيف تدبر ، والجنايات كيف ترتكب ، والخيانات كيف يحيك شباكها الخائنون . فكان لعرض هذه المساوىء تأثيرها السيىء فى بعض النفوس الساذجة أو المستعدة للشر لأى سبب طبيعى أو خلقى أو اجتماعى ، حتى أثارت فى بعض الأحيان عاطفة الشر منهم ، فاندفعوا بعامل التقليد إلى ارتكاب الجرائم ، بجرأة مأخوذة تماماً مما شاهدت العيون على اللوحة البيضاء . بل قد ترتكب معايب لا تذهب إلى حد الاجرام المعاقب عليه ، ولكنها تذهب فقط إلى الحط من الأخلاق دون التعرض لعقاب القانون

ومن أجل الاغراق فى عرض هذه الأضداد التى أصبحت المبالغة فيها عيوباً ظاهرة

من عيوب السينما ، تقررت الرقابة على الأشرطة فى معظم البلدان . ومع هذا فان الرقابة خفيفة فى بلاد الغرب ؛ وهى خفيفة بالمثل فى بلادنا . وهى لو تشددت عندنا فى اختيار الروايات لدور السينما لوجب أن يقضى على معظم ما يرد إلينا من الغرب

والمؤلف فى البلاد الغربية أن يؤلف فى أى موضوع يشاء ، لأن حرية التفكير مطلقة لأهل الفكر . غير أن عرض ما يؤلف الروائى ينبغى أن يمر برقابة . وإذا أجاز الرقيب عرض ما لا يجد مانعاً من عرضه ، فان بعض الدول ، كسويسرا ، يتحاشى عيوب السينما بمنع دخول الصبيان والفتيات دورها ما داموا لم يبلغوا السادسة عشرة من أعمارهم . وهم ، مع هذا ، غير محرومين من بعض روايات صبيانية بريئة تعرض لهم خاصة فى بعض الأعياد السنوية . وفى تركيا الآن مشروع يقضى بحرمان الفتيات والفتيان من دخول دورها لغاية الثامنة عشرة من أعمارهم

أما فى بلادنا فقد يكون من المتعذر منع الصبيان والفتيات من دخول دور السينما بسبب الامتيازات الأجنبية ، فضلا عن أن الوارد من روايات الغرب كثيراً ما يحوى أشياء لا يصح عرضها على الكبار سواء بسواء . لهذا فاننا فكرنا منذ تأسيس شركتنا ، ولا زلنا نعتقد ، فى أن الخطة المثلى لمقاومة الفاسد من روايات السينما التى تصل إلينا من الغرب هو أن تنجح شركتنا فى أعمالها المتواضعة التى تزاولها الآن ثم تكبر وتقوى حتى تكون قادرة على إخراج روايات مصرية ، ذات موضوعات مصرية ، وآداب مصرية ، وجمال مصرى — تكون فى منزلة عالية من الفن تسمح بعرضها فى بلادنا وفى البلاد الشرقية المجاورة ، وتكون أقرب لعاداتنا وطقوسنا وأحوالنا الاجتماعية من الروايات الأجنبية التى تكتظ بها دور السينما فى الشرق ، والتى كثيراً ما تحوى حوادثها ومناظرها ما لا يتفق مع عاداتنا وآدابنا الشرقية

ومع أن هذه أمنية من أمنياتنا ، فاننا نسرع فنقول : إنه لتعذر إخراج الرواية فى

الوقت الحاضر فقد أدركنا عند تأسيس شركتنا أن الرواية التى لا ننكر أهميتها وسلطانها على النفوس غاية من الغايات البعيدة ، تأتى بعد مراحل أخرى ينبغى أن تسبقها ويتحتم علينا قطعها إذا شئنا أن نسير بعملنا فى طريق النجاح

٢ — مصنع مصرى للسينما

وقد بدأنا فعلا فى السينما بما نعتقد أنه واجب فى البداية . بدأنا بايجاد مصنع لدينا كامل الاستعداد لأخذ المناظر بما كينات ، وتحضيرها فيه تحضيراً فنياً ، وإخراجها منه صالحة للعرض فوق اللوحة البيضاء . وقد عانينا ، أيها السادة ، فى إنشاء هذا المصنع المصرى شيئاً غير قليل من المتاعب حتى انتهينا باقامته فى شقة كبيرة من عمارة مطبعة مصر . ونعتقد أنه لا يوجد مصنع فى القطر المصرى مستعد استعداد مصنعنا لاخراج الصور المتحركة بدرجة مشكورة من الاتقان . فلدينا فيه ما كينات متعددة لخطف المناظر ؛ ولدينا غرفة للتحميض قادرة على إخراج شريط من ألفى متر فى اليوم الواحد ؛ ولدينا غرفة لتنشيف الأشرطة بعد تحميضها ، وغرفة أخرى لطبع الأشرطة أى لنقلها من الشريط السالب إلى الشريط الموجب ، وما كينات لصنع العناوين ، وما كينات وآلات ومعدات أخرى يطول أمر بيانها

وطبعاً إن كل هذه الما كينات قد استحضرناها من الغرب لاستحالة صنعها الآن فى مصر . غير أننا أوجدنا بمصنعنا غرفة للميكانيكا الدقيقة يعمل فيها مهندس كهربائى على إصلاح ما يقع فى الماكينات أثناء العمل من عطب أو تعقيد طارىء يصعب اتقاؤه ولا نستبعد أن تكون هذه الغرفة الصغيرة هى النواة لمصنع آخر من مصانع الميكانيكا الدقيقة ؛ نحن نرى على الأقل أنها فرصة حسنة لموظفى شركتنا المصريين يألفون بها خبايا الماكينات التى يستعملونها عند ضرورة فكها لتصليحها

وإعادة تركيبها كما كانت . فما عاشت صناعة فى بلدة من البلدان ما لم تكن الأيدى العاملة فيها قادرة على فهم ما كيناتها تمام الفهم

على أنه لم يخطر ببالنا أن نصنع ما كينات للسينما . فان هذه غاية بعيدة ؛ تأتى كنتيجة محتمة لتقدم السينما فى الشرق وارتقاء الصناعات المعدنية فى مصر . إنما نحن ، باقامة هذا المصنع من ما كينات حديثة الطراز مستحضرة من الغرب ، نريد فقط أن نعرف كيفية استعمالها فى أخذ المناظر بالأشرطة الخام التى تصل إلينا من الغرب أيضاً ، وفى جعل الشريط الخام شريطاً مصنوعا ، أى مطبوعا عليه ما نشاء أن يطبع عليه من مناظر ، وجعل الشريط المصنوع متقناً فى صناعته لا ينم عن أى عيب فنى عند عرضه فوق اللوحة البيضاء

وللوصول إلى هذه النتيجة . أى إلى إخراج أشرطة مصنوعة صنعاً فنياً ، كم عانينا من المتاعب أيضاً فى تكوين جماعة الفنيين اللازمين لهذه الأعمال حتى انتهينا بعد عامين الى استخدام جماعة من الفنيين الأوربيين القادرين على مزاولة هذه الأعمال الفنية . وتبعاً لخطتنا ، وهى أن تكون المعاهد التى نقيمها بمثابة مدرسة لتدريب المصريين ، ألحقنا بجوار كل فنى أوربى شابا مصريا ليستفيد من احتكاكه بالأوربى . وطمأنا الأوربى على مستقبله معنا حتى لا يبخل بتعليم المصرى . على أن المصرى الذى يعمل فى مصنعنا ويقدم البرهان على حسن استعداده وقابليته للتقدم فى فنه لا نبخل فى إلحاقه بالمصانع الكبرى فى أوربا بضعة شهور على نفقتنا حتى يزداد خبرة بدقائق الفن وأسرار العمل

٣ — دائرة عمل الشركة

وجد المصنع ووجد العمال ، فماذا نصنع به وبهم ؟

سؤال قد أجبنا عليه بعض الجواب بتقريرنا أنه ليس فى نيتنا أن نشجع الآن على

وضع رواية السينما ، ولا على طبعها وعرضها ؛ لأن الرواية ، وإن كانت هى العامل الأقوى فى حياة السينما ، إلا أننا لا نستطيع أن نعض فيها وأسناننا ما زالت ، فى هذا الميدان ، طرية

وإذا طرحنا الرواية من عملنا وقتياً فماذا نحن صانعون ؟

إن هناك ، خلاف الرواية ، ميادين واسعة للعمل تناسب حالتنا المبتدئة ، وتناسب حاجاتنا الاجتماعية

هنـاك مناظر مصر الطبيعية ؛ وكم فى مصر من مناظر تسترعى بجمالها الألباب : هناك النيل ، ووادى النيل ، وزرع الوادى وشجره وشادوفه وسواقيه ونخيله ومراعيه ، وهنـاك صحراؤها ورمالها وقوافلها وجمالها وواحاتها تبكى عزلتها وبعدها عن الوطن العزيز ، وهناك بحيراتها وبحارها تثير أمواجها الشجون وتنعكس فوق لجينها أشعة القمر ساطعاً فى سماء مصر قدر صفاء الأضواء فى النهار ، وهناك الوديان المنبطحات والجبال الشاهقات مختلفة الألوان باختلاف تكوينها الجيولوجى وباختلاف ما تحويه من معادن فى جوفها السحيق

ثم هناك ما استحدثته يد الانسان ، من قرى لها جمالها مهما كان بناؤها من الطوب الأخضر ، ولها شعارها الخاص بطرقها الضيقة ، وما يحيط بها من قنوات أو يكتنف أجرانها من أشجار . ومدن لكل مدينة منها طابعها الخاص القريب منها على الفطرة ، والمستحدث فى العمارة أجمل

وهنـاك ثم هناك آثار الأجداد قائمة من ثلاثة إلى ستة آلاف عام بين أهرام ومسلات ومعابد ومقابر وقصور ؛ أحجارها من أسوان قد حار فى كيفية نقلها الانسان ، ونقوشها ورسومها لا زالت حافظة رواءها وزهوها مهما تعاقبت الأحداث

وهناك الآثار العربية بجوامعها ، تمتد منائرها الدقيقة نحو السماء ، وتبدو منابرها آية فى دقة الصـناعة ، ومقابرها بنقوش سر جمالها فى استقامة خطوطها وتعاشق مثلثاتها

ومربعاتها ومسدساتها ، وتجانس ألوانها البهيجة ، ودقة الصناعة فى أبوابها ونوافذها ومشربياتها مطعمة بالصدف تدهش الناظرين

وهناك زراعة البلاد . وكم من مقيمين فى مدننا ، ونحن فى بلاد زراعية ، يجهلون كيف ومتى يزرع ويجنى القطن أو القصب أو القمح أو الذرة أو الأرز فضلا عن بقية الفواكه والخضروات والمحاصيل الزراعية ! فلو أن آلة السينما الخاطفة تتبعت زراعة كل صنف من أصناف المحاصيل فى أوانه ، لخرجت لنا مجموعة ناطقة بأحوالنا وعاداتنا الزراعية فى هذا الزمان

هناك الصناعات المصرية الكبيرة كصناعة حليج الأقطان وتكرير السكر ، والصناعات الصغيرة كصناعة الحرير وصناعة السلات من القش ، فان هذه الصناعات تتطور الآن تطوراً غريباً . فالموجود منها يتحسن ؛ وغير الموجود يتهيأ للوجود . ومن الصناعات ما يخشى أن يزول من البلاد تماماً . وكم يكون من المفيد تاريخياً أخذها وتصوير حركاتها بالسينما قبل الزوال !

فضلاً عن أن الصناعات المصرية فى ذاتها فى حاجة إلى أن يعلن عنها فى الداخل وفى الخارج . وأى شىء أوقع فى الاعلان عن صناعة مصرية أو غير مصرية من إظهارها فى شريط سينما يعد لها خاصة ؟ فتستعرض فيه المواد الخام ومصادرها وطريقة تحويلها والماكينات أو الآلات والمعدات المستخدمة فى هذا التحويل ، كما تستعرض الأيدى العاملة وقوة المجهود المبذول حتى يخرج الشىء المصنوع معداً للتداول بين أيدى الناس

ثم هناك التجارة والمتاجر ؛ هناك السواحل والأسواق ؛ وهناك المخازن الصغيرة والمخازن الكبيرة ، والمعارض والمعروضات ، والغرف التجارية ، والموازين والمكاييل ، والعملة المتداولة ، والمصارف على اختلاف أنواعها — كل هذه مناظر جديرة أن تؤخذ

بشريط الصور المتحركة لتعرض حسب خطة ماهرة للعرض يعود أثرها بالفائدة على تجارة البلاد

وهناك الوزارات والادارات العمومية ودورها وقصورها مع إيضاح شيء من تاريخها . والمدارس الأميرية على اختلاف درجاتها ، والمدارس الأهلية على اختلاف جمعياتها ، والجمعيات العلمية والفنية ومظاهر نشاطها فى البلاد

وهناك الصحة العمومية ومقاومة الأمراض التى تتعرض البلاد للاصابة بها خاصة ، وقانا الله شرها . نعم قد توجد أشرطة تأتينا من الخارج لكن تأثيرها محدود ؛ لأن الأمكنة أوربية غير مألوفة من سواد الناس ، والأشخاص أجانب عنا . أما لو أخذت أحوال الأمراض فى مستشفياتنا المعروفة من الناس ، ولو أخذت صور الوقاية منها بأشخاص معروفين من الهيئة الاجتماعية المصرية ـ لكان العرض فى اللوحة البيضاء أعمق أثراً فى نفوس الناظرين

وهناك أعمال الرى من خزانات قائمة ، وقناطر مشيدة ، وطرق تصريف المياه وضبطها وتوزيعها فى الترع وطرق صيانة الجسور وحفر الأقنية وطرق الصرف وتطهير المصارف كبيرها وصغيرها

وهناك المواصلات بالسكك الحديدية واسعها وضيقها وبالطرق العمومية براً تجتازها دواب النقل والعربات والسيارات على اختلاف أنواعها ، والمواصلات النهرية أى الملاحة النيلية بمراكبها الشراعية وذهبياتها ورفاصاتها وبواخرها ، والأهوسة التى تخترقها ، والملاحة البحرية من موان وأحواض ومنارات ، والملاحة الجوية

وهناك غير هذا موضوعات شتى يقصر البيان من حصرها فى هذا المقام ، ولو أننا مرتبون موضوعاتها فى شركتنا ترتيباً علمياً نظامياً ومستعدون أن نعمل فى تنفيذ كل موضوع من الموضوعات بارشاد إخصائى . ففى المناظر الطبيعية نسترشد بأى شاعر مصرى

يتفضل بارشادنا للدلالة عن مواطن الجمال فى الطبيعة المصرية . وإذا لم يتفضل علينا شاعر أو عالم بهدايته استرشدنا باحساس الجمال يسوق عمالنا الى الجميل من الأشياء ونماذج الأحياء أيان يجدونه وأنى يعثرون عليه . وفى الآثار نهتدى بأهل خبرتها من علماء فى تاريخ مصر القديمة أو تاريخها فى القرون الوسطى ؛ وفى الزراعة بالاخصائيين الزراعيين يعرفون طرق الزراعة قديمها وحديثها ، ويدلون عليها دلالة تحسن إنتاجنا الزراعى ، وتحبب إلينا تنويع المحاصيل حتى لا نبقى تحت رحمة محصول واحد ؛ وفى الصناعة بكل خبير فى صناعته ؛ وفى التجارة بالراغبين فى الاعلان عنها أو العارفين دخائلها ؛ وفى مقاومة الأمراض واتقاء وقوعها بالأطباء الذين يملكون ، بجوار خبرتهم الطبية ، ملكة روائية تساعد على ترتيب المناظر وجعلها منسقة فى قالب ذوقى لطيف على النفس غير ثقيل الوقع ولا جاف الوضع ؛ وفى الرى بمهندس نابغة ؛ وفى المواصلات بالخبيرين فى مختلف أنواعها برا ونهرا وبحرا وجوا . وبالجملة نستعين فى كل مادة بالخبير فيها ، يعاوننا فى وضع خطة أو ترتيب لكل موضوع يراد أخذه بالآلة الخاطفة كما يعاوننا فى وضع الايضاحات والعناوين بين أجزاء الشريط الواحد حتى تحصل الفائدة عند عرضه من قراءة العناوين والايضاحات ومن تتابع المناظر الخاصة

وهذه الموضوعات كلها تعتبر موضوعات وصفية عن أشياء محسوسة قائمة

إلا أن هناك موضوعات وصفية أخرى عن حركات المصريين وحياتهم الاجتماعية وحوادثهم الهامة يجدر تركيزها فوق اللوحة البيضاء . وفى هذه الموضوعات يدخل وصف الأعياد القومية والحفلات السنوية ، كحفلات الكسوة الشريفة ، والمحمل ، وفتح الخليج ، والموالد الشهيرة ، وافتتاح البرلمان ، واستعراض الجيش ، والمسابقات الرياضية ؛ والحوادث الطارئة الهامة ، كمؤتمر الملاحة ومؤتمر الغزالين اللذين انعقدا أخيراً فى القاهرة ، واللذين صورنا حوادثهما وموضوعاتهما بقدر المستطاع . وسيعرض على حضراتكم

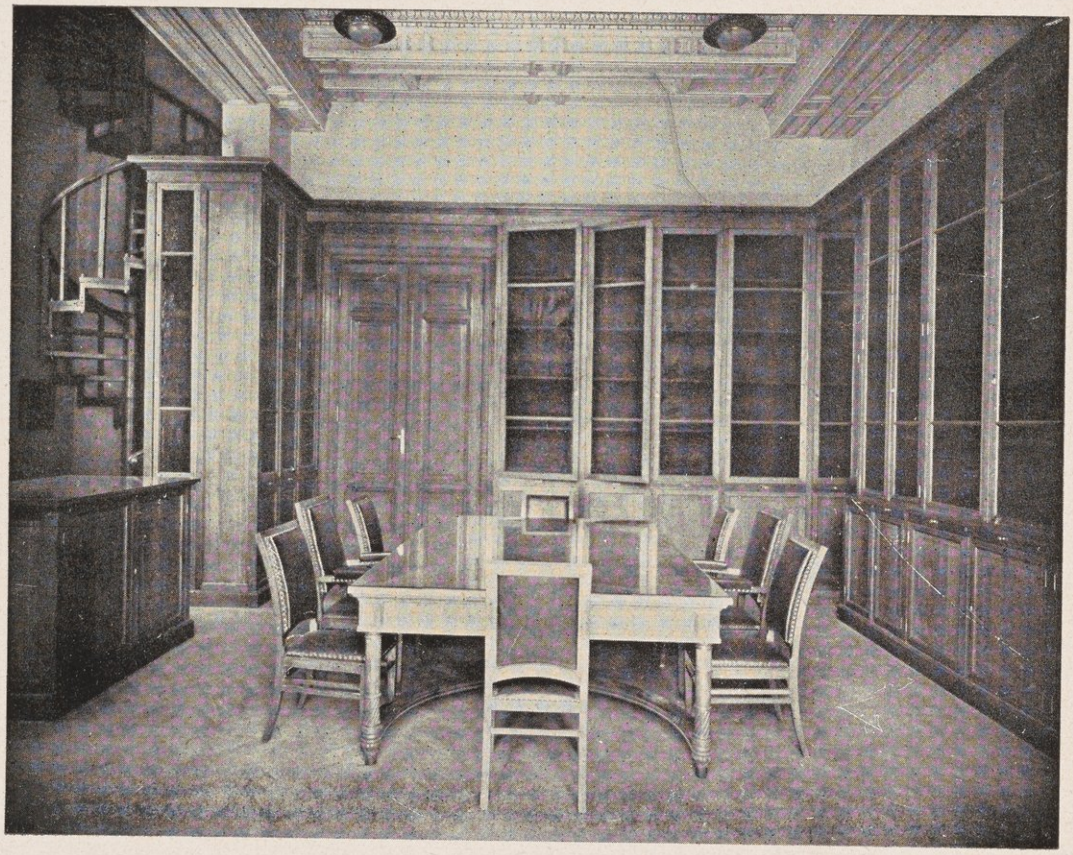

مكتبة بنك مصر

شيء منهما فى هذه الليلة . والحوادث الهامة فى حياة الجماعات والأفراد التى يراد تدوين تذكارها بشريط الصور المتحركة ، كأخذنا تذكار اجتماع الجمعية العمومية للمساهمين فى بنك مصر السنة الماضية حيث كان الاجتماع نهاراً ؛ وأخذنا صور حفلة افتتاح مدرسة خيرية فى هليوبوليس ، واستعدادنا لأخذ صور حفلة افتتاح عمارة بنك مصر الجديدة قريباً إن شاء الله تعالى ، واستعدادنا لأخذ مثل هذه الصورة التذكارية للجماعات والعائلات بل للأفراد ، كتذكار حفلة زواج يراد حفظها فى مدخرات العائلة . وبالجملة فان فى هذا الميدان ، ميدان حياة المصريين العمومية ، وحياتهم العائلية والفردية ، لمتسعاً للعمل تقوم به شركتنا بغاية الارتياح تثبيتاً للحوادث أو بقاء لتذكاراتها

وهذه الصور ، على بساطة موضوعها ، تعتبر فى الواقع مستندات قيمة فى تاريخ المصريين . أرأيت كيف يصعب علينا أن نتصور بالضبط أية حفلة من حفلات أجدادنا منذ مائة عام فقط ؟ بل أرأيت كيف يصعب إعادة تصوير الحفلات الهائلة التى أقامها إسماعيل لافتتاح قناة السويس ؟ فالسينما تحفظ الحوادث : تبقى للأحياء تذكارها ماداموا أحياء ، وتبقى للمؤرخين مادة حية يستأنسون بها خير استئناس فى تاريخ الحياة الاجتماعية

بل هناك موضوعات هامة ينفع أخذها بالصور المتحركة نفعاً عظيماً من الوجهة العلمية أو الفنية ، كأخذ شريط مناظر عن طريقة إجراء بعض الأعمال النادرة المثال ، كالطريقة التى تتبع فى تشييد كوبرى غريب فى بابه ، أو الكشف عن أثر قديم ، أو ترميم بناء أثرى على شفا السقوط وطريقة ترميمه بواسطة عالم من علماء العاديات ؛ فان الطرق التى تجرى فى هذه الأعمال لا تكون طرقاً عادية مألوفة بحيث يحسن إثباتها فوق شريط الصور المتحركة والانتفاع بها علمياً وفنياً ؛ إذ أنه من المستحيل أن يبلغ قلم أى عالم من علماء العاديات ، أو أى مهندس فى وصف دقائق أى عملية من عملياته

قدر ما يبلغه شريط الصور المتحركة ، فهو صورة متحركة طبق الأصل بغير حاجة إلى تسجيل قلم العقود

وكل هذه ، أيها السادة ، موضوعات شتى ، يضيق النطاق عن حصرها ؛ ولكن فى تعداد بعضها ، وفى فوائد أخذه بالصور المتحركة ، مايكفى لتقديركم أهمية العمل الذى يمكن أن تقوم به شركتنا

على أن ما قدمنا من أمثلة الموضوعات يخص مصر وحدها . ولمصر جارات تتطلع إليها ، وتقتدى بها ، وتترسم خطواتها . ونحن إذا استوعبنا الموضوعات المصرية ، واستوفينا خدمتها ، نجد دائماً فيها موضوعات أخرى قابلة للتجديد ، وإظهارها فى مظهر جديد . ونحن إذا وصلنا إلى هذه النقط انتقلنا إلى البلاد الشرقية القريبة ، وطبقنا على إقليمها ، ومناظرها الطبيعية ، وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية ، عين الطريقة التى نستعملها ، أو نكون قد استعملناها فى مصر . وبفضل ذلك نستطيع استخدام قوة السينما فى زيادة التعارف بين مصر وجاراتها الشرقية القريبة ؛ لمصلحة الثقافة المشتركة ، والمنافع التجارية المتبادلة

من هذا ترون حضراتكم أن ميادين العمل ، خارج رواية السينما ، واسعة الأطراف فى مصر وفى البلاد الشرقية المجاورة

ومع هذا فاننا نقصر الكلام عن مصر ونقول : إننا ، بعد أخذ هذه الصور ، يتحتم علينا عرضها والانتفاع بها

فما هى طريقة العرض وما هى طريقة الانتفاع ؟

٤ — عرض الأشرطة المصرية للمتعلمين

أما طريقة العرض فإننا ننتفع بما نصنع ليعرض فى أكبر عدد من دور السينما نستطيع عرضه فيها بمصر والاسكندرية ، وننتفع بما نصنع ليعرض فى عواصم المديريات

والمراكز ، بل فى القرى بواسطة سيارات متنقلة حديثة الطراز على مثال أفضل سيارات مستعملة فى الغرب ، أوصينا على عدد منها ، بحيث يكون داخل كل سيارة جهازها الكهربائى ، ولوحتها البيضاء ، وجميع معدات العرض بسهولة مدهشة

ولما كانت أشرطتنا تعليمية ، وكان فيها بعض أشرطة لايخلو من الاعلان عن الصناعات والمتاجر والمحاصيل والمنتوجات المصرية ، فقد لاحظنا أن عرضها وحدها قد لايجتذب العدد الكبير إليها ، فاتفقنا مع بعض البيوت الأجنبية على استئجار بعض الروايات المضحكة التى تناسب حياتنا فى الأقاليم ؛ لعرضها فيها ، وتشويق الناس إلى ما يكون بجوارها من أشرطة تعليمية نافعة

والواقع ، أيها السادة ، أن الصفة الغالبة فى الأشرطة التى نصنعها هى الصفة التعليمية ؛ يستفيد منها الناس ، خاصتهم وعامتهم ، كما يستفيد منها طلبة المدارس وتلاميذها على اختلاف درجاتها

ولهذا فاننا نعتقد أن مهمة شركتنا التعليمية فى صنع الأشرطة وفى عرضها تجعلها شركة من الشركات التى تؤدى خدمات ذات منفعة عامة ، وترشحها بحق لأن تتولى هذه المهمة فى مدارس الحكومة بالاتفاق مع وزارة المعارف العمومية ، وفى المدارس الأهلية بالاتفاق مع إداراتها ، خصوصاً وأن العادة فى البلاد الغربية هى أن صنع الأشرطة وعرضها فى المدارس عمليات فنية تختص بها الشركات مثل شركتنا أو الجماعات التعليمية التى تعضدها الحكومة والبلديات بالاعانات المالية السنوية ؛ ويبقى اختصاص وزارات المعارف محصوراً فى الاتفاق مع هذه الشركات ، وفى اختيار الأشرطة التى يحسن عرضها على المدارس ، وفى مراقبة تنفيذ الاتفاق

هذا كله فيما يتعلق بطريقة العرض داخل القطر المصرى

٥ — عرض الأشرطة المصرية لمقاومة الدعاية الأجنبية الباطلة

أما فى الخارج ، ولا سيما فى أوربا وأمريكا ، فاننا نسعى لربط روابط مع الشركات المشتغلة بالسينما لعرض أقصى ما يستطاع عرضه فى دور السينما الأجنبية من صورنا المتحركة التى نصنعها فى مصر

وغرضنا من هذه المساعى فى الخارج هو أن نظهر مصر على حالتها الحقيقية ؛ فانه من العيب الفاضح أن تأتى شركة كبيرة أجنبية من شركات صنع الأشرطة ولا تجد فى تصوير القاهرة فى مجموعة مدن العالم إلا رسم رجل حاوٍ يلعب بثعبان أمام السياح عند مدخل فندق الكونتيننتال ، كأن القاهرة كلها ليس فيها غير هذا المنظر لتصويرنا نحن المصريين فى عاصمة بلادنا

ومن العيب الفاضح أن تستمر الدعاية الفاسدة فى الخارج تصورنا فى شكل أمة قريبة من حالة الهمجية ، حتى إن بعض السياح الذين اجتمعنا بهم فى مؤتمرى الملاحة والقطن أعربوا لنا صراحة أنهم كانوا لا يتصورون مصر كما رأوها ، بل كانوا يتصورونها قطعة من شعوب أفريقيا الوسطى

ومن العيب الفاضح أن يصورنا المغرضون من الأجانب فى صورة أمة تفتك بها الأمراض ، ويتعرض السائحون فيها للأوبئة ؛ حتى يمنعوا السياح من زيارة بلدنا ولا بقائهم فى الشتاء فى بلاد أخرى قل أن يبلغ جوها مناعة جونا فى مصر خريفاً وشتاء . وشريط الصور المتحركة وحده هو الذى ينبغى استخدامه فى الغرب للقضاء على هذه الدعاية الفاسدة

ومن العيب الفاضح أن يصورنا الأجانب المغرضون فى الخارج من طينة منحطة عن طينة البشرية المتمدينة ، وأن نبقى مكتوفى الأيدى لا نعمل شيئاً لاظهار أن المصرى

متمدين كبقية الشعوب المتمدينة ، ولاظهار آثاره العملية الماضية والحاضرة فى حياته المهذبة . وشريط الصور المتحركة وحده هو الذى يتحتم استخدام قوته لاظهار الأمة المصرية فى صورتها الواقعية الصحيحة

٦ — أغراض الشركة العملية

نحن إذن أيها السادة :

١ — نعمل للصناعة : نأخذ بيدها صغيرة فى مصر حتى تكبر وتشابه الصناعات الكبرى فى الخارج

٢ — ونعمل حتى لا نخضع لقوة السينما تأتينا من الخارج حسب أحكام الخارج وأذواقه، دون أن يكون لنا قوة قومية تنتج الأشرطة التى تناسبنا، وترد بعض الأشرطة التى لا تصلح لنا الى مصادرها الأجنبية

٣ — ونعمل لأداء وظيفة هامة هى استخدام أقوى سلاح عصرى للاعلان عن محاصيل البلاد الزراعية ، وعن منتجاتها الصناعية ، وعن تجارتها التى نرجو أن تتسع يوما بعد يوم

٤ — ونعمل خصوصاً لأداء مهمة ذات صفة عامة ، تسوقنا فى حياة هذه الشركة بقوة اعتقادية ، وهى أن السينما سلاح عصرى للتعليم ، لا غنى لمصر عن استخدامه فى إرشاد سواد الناس الى ما يراد إرشادهم إليه حتى تزول الأمية ، وفى تعليم الطلبة والتلاميذ فى مدارسهم أسوة بالدول الأجنبية الراقية ، وفى إفادة الخاصة بتعريفهم أشياء قد لا يعرفونها قبل أن يروها فوق اللوحة البيضاء

٥ — ونعمل أيضاً لمقاومة الدعاية الفاسدة فى الخارج ضد مصر والمصريين ولاذاعة أحوالنا وشؤوننا المصرية فى صورها الحقيقية

هذه هى أعمالنا التى نعمل لها ، أو هذه هى أغراضنا التى نسعى إليها: حدثناكم فيها طويلا ، لأننا أردنا أن تعرفوها ، طمعا فى أن نحظى بتعضيدكم الأدبى فيها

٧ — الشركة تخدم المصلحة العامة

أما جوابنا على سؤالنا الآخر الذى سألناه ، الخاص بطريقة انتفاعنا بما نصنع من أشرطة . فهو أننا لا نصنع أشرطة لنتاجر بها تجارة الأجانب فى الأشرطة المصنوعة فى الخارج . إنما نحن أنشأنا شركتنا ونصنع أشرطتنا لأداء خدمة عامة هى المعاونة فى بث المعلومات النافعة وأداء وظيفة متواضعة فى التعليم بطريقة السينما الحديثة التى تتمم طرائق التعليم القديمة المعروفة

ونحن فى عملنا هـذا مسوقون باعتبارات عامة فى المصلحة العامة ، تجعل شركتنا بالاسم شركة مساهمة تجارية ، وبالفعل شركة من الشركات القومية التى تؤدى خدمات عامة ليس من خصائص الدولة أن تقوم بهـا مباشرة . ولهذا فاننا فى عملنا لا ننظر إلى الربح ، ولـكننا لا نريد ، كشركة مساهمة مصرية ، أن نعيش بخسارة ؛ لأن الشركة التى تؤدى وظيفتها بخسارة لا تستطيع أن تعيش طويلا

لا نقصد إلى الربح فى ذاته ؛ ولـكن إن جاءنا ربح فانما يجيئنا فى حدود معتدلة للغاية ؛ ومهما جاءنا من ربح فالغاية العامة مقدمة على ربح الشركة الخاص

وأظن أن حضراتـكم تقدرون هذه العوامل قدرهـا ، وتقدرون فائدة شركتنا فى الأعمال التى قامت بها حتى الآن من البيان الذى قدمناه ، ومن الأشرطة التى ستعرض على حضراتكم فى الحال . كما تقدرون فائدة العمل الهام الذى تنوى أن تقوم به هذه الشركة

وإنا نشكركم فى الختـــام ، ونؤكد لحضراتكم أن أكبر سرور لنا هو أن نشعر بأنـكم تشاطروننا الأحساس بقوة السينما فى العالم . وبأنـكم معنا فى طريقة استخدامها فى

مصر وفق البرنامج الذى بسطناه أمام حضراتكم ، والذى دفعنا إلى تصوره والشروع فى تنفيذه رغبتنا الصادقة فى نفع المصريين ونفع الوطن بهذه القوة العصرية

والسلام على حضراتكم أجمعين

ALLOCUTION

DE S.E. AHMED MIDHAT YEGHEN PACHA

Président du Conseil d'Administration

Le 5 Juin 1927.

Altesses, Excellences, Messieurs,

Au nom de la Banque Misr, que j'ai l'honneur de présider, j'adresse à Sa Majesté le Roi l'expression de notre reconnaissance pour avoir daigné Se faire représenter à cette cérémonie, donnant une nouvelle preuve de Sa sollicitude pour tout ce qui touche au progrès du pays sur lequel la Providence L'a appelé à régner, et je prie le Représentant de Sa Majesté de porter au pied du Trône l'assurance de notre dévouement sans bornes.

Messieurs,

Je vous remercie d'avoir bien voulu répondre à notre invitation en assistant aujourd'hui à l'inauguration de notre Etablissement. Nouveaux venus dans le monde bancaire puisque nous ne datons que de sept ans, nous n'avions pas un local pouvant répondre aux besoins sans cesse croissants de notre Siège et de ses filiales. Nous avons donc voulu nous mettre, comme on dit, dans nos meubles et nous inaugurons aujourd'hui nos nouveaux locaux, où le public en général, sans distinction d'origine ou de croyance, trouvera, toujours, l'accueil le plus empressé, le plus large, le plus cordial.

Mon collègue Mohamed Talaat Harb Bey, Vice-Président et un des Administrateurs-Délégués, va faire un exposé de l'œuvre accomplie à ce jour. S'adressant surtout aux actionnaires et à la grande partie de la clientèle égyptienne, cet exposé sera fait en langue arabe et nous espérons que ceux parmi vous qui ne sont pas familiarisés avec notre langue voudront bien nous excuser.

Je vous remercie encore pour l'honneur que vous nous faites en assistant à cette cérémonie et je termine avec l'assurance que, dans cet Etablissement où nous serons chez-nous, vous serez, également, tous, chez vous.

ترجمة كلمة معالى أحمد مدحت يكن باشا

رئيس مجلس إدارة بنك مصر

فى حفلة افتتاح دار « بنك مصر » الجديدة يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٧

يا أصحاب السمو ، ويا أصحاب الدولة والمعالى والسعادة ، أيها السادة :

باسم بنك مصر الذى أتشرف برياسته أتقدم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك بعبارات العرفان ، لتفضله بايفاد من يمثل جلالته فى هذه الحفلة . فقدم بهذا دليلا جديداً على عطفه على كل ماله مساس بتقدم البلاد التى دعته القدرة الالهية إلى ارتقاء عرشها . وأرجو من ممثل جلالته أن يرفع إلى عتبات العرش تأكيد إخلاصنا الذى لا حدّ له

سادتى

أشكر لكم تفضلكم باجابة دعوتنا ، وحضوركم اليوم حفلة افتتاح دارنا

ولقد جئنا إلى العالم المصرفى حديثاً ، إذ لم نقض فيه بعدُ أكثر من سبع سنين . ولم تكن لنا دار تسد حاجات مقرنا ومتفرعاته ، وهى حاجات متزايدة بلا انقطاع . فأردنا أن « نسكن بيتنا » ، كما يقولون ، وها نحن أولاء نفتتح اليوم دارنا الجديدة التى سيلقى فيها الجمهور عامة من غير تمييز بين الأصل والعقيدة ، كما لقى إلى اليوم ، كل إكرام . وسيشرح زميلى محمد بك طلعت حرب نائب رئيس مجلس الادارة ، وأحد عضويه المنتدبين ، العمل الذى أتمه البنك إلى اليوم . وحيث إنه سيوجه كلامه خاصة إلى المساهمين وإلى جانب كبير من عملاء البنك المصريين ، فانه سيتكلم بالعربية . وإنا لنرجو أن يعذرنا فى ذلك الذين لا يجيدون من حضراتكم اللغة العربية بعد

وإنى لأشكر لحضراتكم مرة أخرى ما أوليتمونا من شرف ، بحضوركم هذه الحفلة ، وأختم كلمتى بأن أؤكد لحضراتكم أنه كما سنكون نحن هنا « فى بيتنا » ، فانكم ستحسون ، إذ تجيئون إلى دارنا ، أنكم كذلك « فى بيتكم »

خطبة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك

فى حفلة افتتاح دار بنك مصر الجديدة

يوم ٥ يونيه سنة ١٩٢٧

سادتى

تقدم حضرة صاحب المعالى أحمد مدحت يكن باشا ، رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، فشكر باللغة الفرنسية حضرات ممثلى الدول وكبار الجاليات الأجنبية الذين تفضلوا باجابة دعوتنا ، واشتركوا معنا فى هذا الاحتفال

وإذا كان معاليه قد سبق بالشكر يوجهه إلى حضرات هؤلاء الأماثل ، فلأن شعار المصريين : « أحرار فى بلادنا ، كرماء لضيوفنا » ـ يستدعى تقديم الشكر للضيف الكريم قبل تقديمه من حارس الدار ، من مجلس الادارة ، إلى أصحاب الدار

وإذا كان حضرات الأجانب كرماء بتشريفهم هذا المكان ، فان حضراتكم سمحاء بقبول دعوة مجلس الادارة ، التى يضاعف لكم الشكر الجزيل على تفضلكم باجابتها وحضوركم مستبشرين فرحين . نشكركم شكر الوكيل إلى الأصيل ؛ ونخص بالشكر حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم الذى تفضل بانابة حضرة صاحب الدولة رئيس ديوانه العالى عنه فى هذا الاحتفال ؛ ونرجو دولته أن ينوب عنا فى الاعراب عن ولائنا وإخلاصنا ، ومزيد تشكراتنا على عطفه السامى

على أننا كوكلاء فى إدارة أموالكم — نملك بعض ما تملكون لضمان حسن إدارتنا حسب القانون المكتوب ؛ وإن كان ضمان حسن الادارة مستمداً من الوجدان

وحبات القلوب — قد نحسب مثلكم من أصحاب الدار ، وأصحاب الدار لا يشكر بعضهم بعضاً على التعاون فى إقامتها ، إنما يهنئون أنفسهم على حسن التوفيق فى إتمامها على أحسن حال

وإن هذه الابتسامات التى تعلو الثغور ، والأفراح التى تبرق بها العيون ، وتنم عما تنطوى عليه الأفئدة من آى السرور — لكافية فى الاعراب عن التهانى المتبادلة . وكثيراً ما تغنى الاشارة عن العبارة

فهنيئاً لكم إذن فى داركم تدخلونها فى سلام ، وتشاهدونها فى اطمئنان ، وتباركون لها ، وتتعاملون فيها بالحق ، وتحرصون على بقائها للمجموع : قائمة على أساس الثقة والتضامن والتعاون . فما كانت هذه الدار دار مال قبل أن تكون دار أخلاق . وما بقيت دار مال أو غير مال ما لم تكن قائمة على أسس متينة من الثبات وقوة الأخلاق

ونحن فى هذه الدار ، وفى التى قبلها ، لانستغلّ المال حباً فيه ، فاننا لسنا من عباده أو ممن يتعلقون بنواصيه . إنما نحن نعرف أن المال قوة فى هذا العالم ، وأنه كما يكون قوة للشر فى أيدى الأشرار يكون قوة للخير فى أيدى الأخيار ، وأن المصريين ، إلى عهد قريب ، قد انصرفوا عن استخدام قوته إلا فى بعض أحوالهم الفردية . فتركوا قوة الأموال الأجنبية المنظمة تحزّ فى حياة جماعاتهم ، وتستدرّ بقوتها خيرات الأموال العمومية والأموال الخصوصية ، حتى كادت تستأثر بجهود الأمة عن آخرها لو لم يتنبهوا إلى تنظيم قوتهم المالية كجماعة ، فكان أظهر أثر لاتجاهاتهم الجديدة التفافهم حول بنك مصر بقوة من الايمان ، وشعور من الوطنية ، وإحساس بضرورة الدفاع عن الذات — حتى أصبح بنك مصر بفضلهم قطعة ظاهرة من الحياة القومية المصرية ، يحفونه بمحبتهم ، وبتعضيده من غير قيد ولا تحفظ

ولولا حسن إدراك المصريين ، وخفيف إلهامهم ، وقدرتهم على تقدير النافع من

الأعمال ـ ما كنا وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم . فقد بدأنا فى سنة ١٩٢٠ صغاراً يهزأ بنا الهازئون ، ويتساءلون : أبثمانين ألفاً تقام البنوك ؟ ! وقد نسوا أن العمل الصالح يولد صغيراً وينمو حتى يصير كبيراً . ونحن بحمد الله ما لبثنا طويلا حتى تضاعف رأس المال وبلغ ٧٢٠ر٠٠٠ جنيه ، وقد يزيد إلى ضعفه بعد حين . وسخروا من أعمالنا فى السنة الأولى ، لأنهم رأوا أرقامها ضئيلة ؛ كأن الشجرة المثمرة ، الشجرة المعمرة لمئات السنين تورف ظلالها ، وتؤتى أكلها — فى خلال عام ! ولكنهم ما سخروا حتى عدلوا عن سخريتهم ، وأقروا بالحقيقة ، وهى حيوية البنك ، وقطعه مسافات الرقى إلى الأمام بخطى لا يعرف لها مثيل فى حياة المصارف المالية قاطبة . يدل على ذلك عدد الموظفين ، وكانوا يعدون على الأصابع ، فبلغوا الآن فوق الخمسمائة ؛ تدربوا جميعاً فى البنك على تجارة الأموال ، وسير الأشغال ، بعد أن كانت الأبواب مقفلة فى وجوه الشباب لمثل هذا التدريب . وبفضل تدريبهم تيسر التوسع فى افتتاح الفروع والمكاتب فى الداخل ، والشروع فى تأسيس أول فرع جديد فى الخارج هو « بنك مصر — فرنسا » الذى سيحتفل بافتتاحه فى صيف هذا العام

قلنا : إن المال قوة للخير فى أيدى الأخيار ؛ ولعل بنك مصر لم يكتب حتى الآن فى عداد الأشرار . فهو لم يقف عند حدود الأموال يتاجر بها كما تتاجر المصارف المالية العادية . وهو مع هذا لو وقف عند حدودها لكان عمله خيراً لمجرد حفظه حق امتلاك الأسهم للمصريين — لا تعصباً منهم ، ولكن حرصاً على أن يدير المصرى دفة شأن من شئونه الحيوية بذاته ، وإثباتاً لاقتداره على هذه الادارة إن هو تولاها بنفسه فى دائرة اختياره ، ولكان عمله خيراً لمجرد اتخاذ اللغة العربية لأول مرة فى الحياة المصرفية لغة البنك الرسمية ـ وكانوا يقولون إنها لا تنفع لغة للمحاسبة ، ولا للشركات والمصارف ـ ولكان عمله خيراً لمجرد تشجيعه موظفيه المصريين على معالجة

المسائل المالية ، وتدريبهم على أن يكونوا عدة للبنك وللبلاد فى مستقبل الأيام . بل كان يكفيه خيراً فوق هذا وبدون هذا أنه ، كوكيل على مال ، قد أدى الأمانة حقها ، وأوفى أصحاب الأسهم حصة من أرباحه ، بدأت بخمسة حتى بلغت ثمانية ونصفاً فى المائة ، وأنه كمصرف مصرى قد خطب وده الكثير من المصارف المالية الكبرى فى الخارج ، وطلبت ، ولا تزال تطلب ، أن تتعامل معه ، لما ثبت لديها من حسن سير أشغاله ، والدقة فى ضبط أعماله ، والحكمة فى ربط أنظمته ، بما يدعو إلى تمام الثقة والطمأنينة فى سير دولابه

كان يكفى هذا العمل مجهوداً من البنك فى سبيل الخير العام . لكن « بنك مصر » ليس كـكل البنوك : هو أول بنك قومى فى بلاده . وهو ، بطبيعة مولده ، ونموه ، والثقة فيه مضطر أن يشعر بحاجات البلاد الاقتصادية ، وأن يجتهد فى تحديدها تحديداً علمياً عملياً ، وأن يجدّ فى المعاونة على تحقيق ما يستطيع تحقيقه من الأعمال اللازمة لتكوين هيكل الاستقلال الاقتصادى للبلاد

أيها السادة

كان من الطبيعى ، أمام اتساع دائرة الأعمال ، أن يفكر مجلس إدارة البنك فى بناء مكان خاص به ؛ فاختار قطعة أرض فى شارع عماد الدين ؛ وأراد أن يشيد فوقها عمارة فخمة تتناسب وحاضر أعماله ومستقبلها ؛ فأذاع المسابقة بين المتسابقين لرسم هذا البناء . فكان أفضل رسم تم الرأى عليه — بواسطة لجنة تحكيم من كبار المهندسين — هو الرسم المقدم خارج المسابقة من شيخ المهندسين المعماريين وكبيرهم من غير منازع فى مصر ، المسيو أنطوان لاشاك بك ، الذى تفضل فباشر بدقة فنه إقامتها من البداية إلى النهاية . وعاونه فيها كبار المقاولين تعضدهم الأيدى المصرية فى كل جزء من أجزاء العمل ،

وها هى ذى العمارة ماثلة أمام حضراتكم ؛ ستشرفونها اليوم بزيارتكم ، فترونها عمارة من العمارات النادرة فى القاهرة ، بل فى القطر المصرى : من حيث فخامة البناء ، ورشاقته ، وحسن هندامه ، وجميل هندسته ، وتجانس أجزائه طبق ذوق واحد ، وتماسك مجموعه تحت إحكام هذا الذوق

واليوم نودع دارنا القديمة فى شارع أبى السباع . نودعها رسمياً فى هذا اليوم ، ولو أننا سنبقى بها بضعة أيام حتى يتم النقل منها إلى دارنا الجديدة . نودعها ذاكرين بالجميل أمكنتها المباركة التى ضمت حياة البنك فى طفولته سبعة أعوام متوالية . نودع منها تلك الغرفة التى كانت مكتباً بالنهار ، حتى إذا جن الليل كانت محلاً لاجتماع مجلس الادارة ولكد الأفهام فى تدبير الأعمال

واليوم نستقبل دارنا الجديدة بقلوب فرحة ، ووجوه ضاحكة مستبشرة بالخير . ونرجو أن تكون ، كسابقتها ، مباركة . ولا نبطر فندعو أن تكون أكثر منها بركة — وما ذلك على الله بعزيز

اليوم نعلن افتتاحها باسم الله وتوفيقه وعونه ، باسم الأمة المصرية الكريمة ، ومليكها المعظم . وندعوه سبحانه وتعالى أن يلهم العاملين فيها طريق الصواب ، ويثبت المتعاملين على الحرص فى الوفاء ، ويزيد المساهمين قوة فوق قوة إيمانهم بما فى أيديهم من وديعة لصالح البلاد ، وأن يجعل أعوام هذه الدار طويلة ، مقرونة بالسعادة والرخاء . إنه سميع مجيب الدعاء

قصيدة

أمير الشعراء أحمد شوقى بك

نبذَ الهوى وصحا من الأحلام ... شرقٌ تنبَّه بعد طولِ منامِ
ثابَتْ سلامتهُ وأقبلَ صحوُه ... إلا بقايا فترة وسَقام
صاحت به الآجام ـ هنتُ ـ فلم يَنَمْ . ... أعَلَى الهوان يُنام فى الآجام ؟
أممٌ وراءَ الكهفِ جهدُ حياتهم ... حركاتُ عيشٍ فى سكون حِمَام
نفضوا العيون من الكرى واستأنفوا ... سَفَرَ الحياة ورِحلةَ الأيام
من ليس فى ركب الزمان مغبِّراً ... فاعدده بين غوابر الأقوام
فى كل حاضرةٍ وكل قبيلةٍ ... همٌ ذَهبْنَ برُمن كلَّ مرام
من كل ممتنع على أرْسانه ... أو جامحٍ يَعْدُو بنصف لجام

* * *

يا مصرُ أنتِ كِنانة الله التى ... لا تستباح وللكِنانةِ حامِ
استقبلى الآمال فى غاياتها ... وتأمّلى الدنيا بطرفٍ سامِ
وخذى طريفَ المجد بعد تَليده ... من راحَتَىْ مَلِك أغرَّ هُمام
يُعنَى بسؤدد قومه وحقوقهم ... ويذودُ دون حياضهم ويُحامى
ما تاجُك العالى ولا نُوَّابه ... بالحانثين إليك فى الإقسام
جربتِ نُعمَى الحادثاتِ وبؤسها ... أعلمتِ حالاً آذنَتْ بدوام

* * *

عَبَسَتْ إلينا الحادثات وطالما ... نزلَتْ فلم نُغلَبْ على الأحلام
وثَبتْ بقومٍ يضْمِدُون جراحَهم ... ويُرَقّدون نوارىَ الآلامِ

الحقُّ كلُّ سلاحِهم وكِفاحِهم والحقُّ نِعْمَ مُثبِّتُ الأقدام

* * *

يبنون حائطَ مُلكِهم فى هُدنةٍ وعلى عواقبِ شِحْنَةٍ وخِصام
قل للحوادث : أقدمى أو أحجمى إنا بنو الإقدام والإحجام
نحن النِّيامُ إذا الليالى سالَمَتْ فإذا وَثَبْنَ فنحن غيرُ نِيام
فينا من الصبرِ الجميلِ بقيَّةٌ لحوادثٍ خلفَ الغيوبِ جِسام

* * *

أين الوفودُ الملتقون على القِرَى الْمُنْزَلون منازلَ الإكرام
الوارثون القدسَ عن أحباره والخالفون أميةً فى الشام
الحاملُو الفُصْحَى ونورِ بيانِها يبنون فيه حَضارةَ الإسلام
ويؤلفون الشرق فى برهانِها لَمَّ الضِّياءِ حواشيَ الإظلام
تاقوا إلى أوطانهم فتحملوا وهوى الدِّيارِ وراءَ كلِّ غَرام
ما ضرَّ لو حبسوا الركائب ساعةً وثَنَوْا إلى الفُسْطاط فضلَ زِمام
ليُضيفَ شاهدُهم إلى أيامه يوماً أغرَّ مُلَمَّح الأعلام
ويرى ويسمعَ كيف عادَ حقيقةً ما كان ممتنعاً على الأوهام
من همةِ المحكومِ وهو مكبَّلٌ بالقيدِ لا من هِمَّةِ الحكام

* * *

مصرُ التقَتْ فى مِهْرَجان محمد وتجمَّعَت لتحيةٍ وسلام
هُزَّتْ مناكبُها له فكأنهُ عُرسُ البيانِ وموكبُ الأقلام
وكأنهُ فى الفتحِ عَمُّوريَّةٌ وكأنّنى فيهِ أبو تمَّام
أَسِمُ العصورَ بحسنه . وأنا الذى يروِى فينتظمُ العصورَ كلامى

* * *

باب خزائن البنك

شرفاً ، محمدُ ، هكذا تُبْنَى العُـلاَ ... بالصـــبرِ آونةً وبالإقـــدام
همُ الرجالِ إذا مضت لم يثنِهـا ... خُـدَعُ الثناءِ ولا عَـوادِى الذّام
وتمامُ فضلك أن يعيبك حُسَّـدٌ ... يجـدون نقصاً عنـد كلّ تمام

☆ ☆ ☆

المـــالُ فى الدنيـــا منازلُ نُقْلَةٍ ... من أينَ جئتَ له بدار مُقـام ؟
فرفعتَ إيواناً كركن النجـم لم ... يُضْرَب على كسرى ولا بهرام !
صيرتَ طينَتَه الخلودَ وجئتَ من ... وادى المـــلوكِ بجَـنْدَلٍ ورَغام
هـــذا البناءُ العبقـــرِىُّ أتى به ... بيتٌ له فضـــلٌ وحـــقٌّ ذِمام
كانت به الأرقام تدرك حِسْـبَةً ... واليـــوم جاوَزَ حِسْـبةَ الأرقام
ياطالما شغف الظنون وطالما ... كثُرَ الرجاءُ عليـــه فى الإلمام
ما زلتَ أنتَ وصاحباك بِرُكنِه ... حتى اســـتقامَ على أعـزّ دَعام
أسَّسْتُمُ بالحاسدين جِـــدارَه ... وبَنَيْتُمُ بمعـــاوِلِ الهُـدّام
شركاتُك الدّنيا العريضةُ لم تُنَلْ ... إلا بطـــولِ رِعايةٍ وقِيـــام
اللهُ سخَّـــــرَ للكِنانةِ خازناً ... أخـذَ الأمانَ لها من الأعوام
وكأن عهدَك عهـدُ يوسفَ كلّه ... ظـــلّ وسُنْبُلةٌ وقَطْرُ غَمـــام
وكأنَ مالَ المودِعين وزرعَهم ... فى راحَتَيْـك ودائعُ الأيتـــام
مازلتَ تبنى ركنَ كلّ عظِيمـــةٍ ... حتى أتيت برابع الأهـــرام

أقوال الصحف المحلية

عن دار « بنك مصر » الجديدة وحفلة افتتاحها

انتهينا من مجموعة خطب حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك عند خطبته التى خطبها لمناسبة حفلة افتتاح دار « بنك مصر » الجديدة . وهى خطبة يحسن الوقوف عندها ، لأنها تشير إلى حادث تاريخى هام فى حياة البنك : حادث انتقاله من داره القديمة التى نشأ فيها سبعة أعوام ، ولم تكن ملكا للبنك ، إلى داره الجديدة ، وقد شيدها من ماله ليقيم فيها عشرات الأعوام إن شاء الله

وإننا ، إتماماً للفائدة من هذه المجموعة ، رأينا أن نأتى هنا على بعض ما كتبت الصحف المحلية أو نشرت من أقلام أفاضل الكتاب عن دار « بنك مصر » الجديدة وحفلة افتتاحها ، إثباتاً لتقدير الرأى العام المصرى لبنك مصر فى الوقت الحاضر

وقد راعينا فى تقديم ما نشره بعض الصحف على البعض الآخر ترتيب نشرها حسب تواريخ ظهورها

مطبعة مصر

بنك مصر (١)

اليوم يستطيع المصرى أن يفاخر بعمل قومى جليل فى بناء النهضة الاقتصادية الحديثة . واليوم تحتفل البلاد بافتتاح ذلك البناء الشامخ الخالد الذى شيده بنك مصر من فيض أرباحه وصميم ماله بعد جهاد سبع سنوات فى الميدان المالى شاء الله أن يكلله بالفوز والفلاح ؛ ذلك أن السيادة القومية الحقة فى العصر الحديث ترتكز على المال وما إليه من المنشآت الصناعية والتجارية .

وإذا كان للمصريين أن يفخروا بهذا المجهود الجليل ، ويباهوا بثمرات ذلك النضال المنتج النبيل ، فجدير بهم أن يقدروا جهود أولئك البنائين الذين كان لهم فضل التفكير والتنفيذ والسعى والنجاح — كل ذلك فى غير جلبة ولا زهو ، مخلصين فى سعيهم ، مضحين بأوقاتهم ، جادين فى أعمالهم ؛ حتى قضوا على فرية المفترين ، ودعاية المدعين ، من أن المصرى غير أهل للأعمال العامة ، والمشروعات العملية والمالية منها على الخصوص

ولما كان نجاح تلك الأعمال يتطلب الحزم ، والعزم ، وأصالة الرأى ، ومجالدة الصعاب ، والاعتماد على النفس ، واستثمار الكفايات ، واختيار أنسب الظروف ، وانتهاز أحسن الفرص ، — فقد أتاح التوفيق لمؤسسى البنك أن يسيروا فى سبيل تحقيق فكرتهم مشربين بهذه الروح متحلين بتلك الصفات

ولقد كنا إلى ما قبل عام ١٩٢٠ لا نكاد نتنسم بارقة أمل فى قيام مصرف وطنى يقوم بأموال وطنية ، وتتعهده أيد وطنية ، حتى هيأ القدر لمصر رجالا ذوى رأى وإرادة أقدموا على تحقيق تلك الأمنية . وما هى إلا أعوام قليلة نما فيها البنك نمواً عاجلا وطيداً حتى أصبح اليوم ذا أثر فعال فى حياة البلد الاقتصادية ، وها هو ذا ينتقل اليوم من مهده المتواضع الصغير إلى أفخم بناء لمصرف فى البلاد ، بل من أفخم أبنية المصارف فى العالم

وقد برهن البنك خلال تلك السنين القصيرة المباركة على أنه المصرف الوطنى الصميم الذى يهتم بكيان الدولة المالى ، ويقوى شرايين الحياة فيها ؛ ودل على أنه ، بحق ، محط آمال الماليين المصريين ، ومنبع الحركة الانتاجية المصرية

وقد شق البنك فى طريقه كثيراً من الصعاب ، وذلل غير قليل من العقبات ، وجاز تيار المنافسة المشروعة منها وغير المشروعة . أليس مما يدعو إلى الاغتباط والفخار أن ترى الآن مبلغ تهافت

---

(١) الأهرام — عدد ٥ يونيه سنة ١٩٢٧

المصريين من غنى وفقير على اقتناء أسهم « بنك مصر » بثمن يربو كثيراً على سعرها الأساسى ، على حين نذكر ما لاقته تلك الأسهم عند نشأة البنك من تردد واحتياط ، حتى لقد كان الاكتتاب فى أسهم البنك إحدى التضحيات الوطنية إذ ذاك ، طالما جاهد الطلبة فى سبيل إذاعتها والدعاية لها

ولئن ذكرنا لبنك مصر يده على الحركة الاقتصادية العامة ، فانما يجب أن نذكر ، إلى جانب ذلك ، فضله على طائفة من الشباب المصرى ، دربهم وكان لهم بمثابة مدرسة عملية استثمر فيها مواهبهم ، واستغل كفايتهم ، وأكمل تدريبهم — فأصبح فيه اليوم نخبة من خيرة من تستطيع البلاد أن تعتمد عليهم فى مستقبلها المالى ، وممن لا يقلون خبرة وكفاية عن نظرائهم الأجانب الذين مارسوا الأعمال المالية فى المصارف الأجنبية . وإن كثيراً من الفضل فى نجاح ذلك المشروع الوطنى الكبير ليرجع إلى الروح المباركة الجديرة بالتقدير ، التى يعمل بها ذلك الشباب فى أداء واجبه ، واعتباره نجاح المصرف أمراً مرتبطاً بروحه وحياته ومجد بلاده

كما يجب أن نسجل لبنك مصر جعله لغة البلاد « لغة مصرفية » لها شأنها ومكانتها بين اللغات الأجنبية الحية فى المصارف الأجنبية

ولم يكتف بنك مصر بما سده من فراغ وما أداه من خدمات ؛ فانه لما أينعت شجرته الطيبة ، وورف ظلها ، بذر بذور منشآت تجارية وصناعية استظلت بظله ، فتعهدها وعاون على تكوينها ، فنمت وأصبحت شركات تحمل اسم « مصر » وتحذو حذوه بثبات ونجاح

إن دار البنك الجديدة لمفخرة من مفاخر الفن ، وآية من أبدع آيات البناء ؛ حق إنها لتستحق أن يفد إليها الزوار والسياح ليروا ، إلى جانب نهضة مصر الاقتصادية الحاضرة ، مثلا عالياً من أمثلة النبوغ المصرى الحديث فى فن الزخرفة والبناء

وإننا لنحمد الله الذى حقق آمالنا وهيأ لنا مصرفاً وطنياً نفاخر بمجهوداته ، وإدارته ، وموظفيه وداره

نادى التجارة العليا

بنك مصر وداره الجديدة [١]

خير ما يدفع الأمم إلى الأمام ، وينشطها للرقى هو شعورها بالعزة فى نفسها ، وبالقدرة على أن قليلا من الهمة يؤدى بها إلى كثير من التقدم . وتزداد هذه العزة تمكنا فى نفوس أبنائها إذا أبصروا أنهم قادرون على أن يساووا غيرهم ويجاروهم فى إقامـــة الأسس العظيمة التى تبنى عليها الأمم والشعوب

ولقد كانت مصر ، إلى وقت ما ، تحس بحاجتها إلى بنـك اقتصادى يجمع شتات أموالها ، ويقوم بحاجتها من هذا الجانب ، ويغنيها عن اللجوء إلى المصارف الأجنبية التى تتمشى مع الروح السياسية فى أغلب الأحيان ؛ لأن السياسة لا تجد لها جناحاً تطير به إلى حيث شاءت غير المال . بل أنبأتنا التجارب أنها لا تدور إلا على المحور المادى ، ثم دارت الأيام دورتها فاذا بالهمة العالية والنشاط الممدوح يضع بنك مصر ، فيضع ، فى الوقت نفسه ، دعامة الحياة الاقتصادية للأمة ، وينيل هذه ما كانت تبغى من آمال

لسنا الآن فى مقام سرد الحوادث التى تقدمت إنشاء هذا البنك أو التى أعقبته ، وإنما نستطيع أن نقول : إن هذه البذرة التى غرستها اليد الغيرى على مصر ، وتعهـدتها بالرى والسقيا ، أصابت أرضاً طيبة خصبة فنمت وأصبحت ناضرة الأوراق وارفة الظلال . وهى تمشى ، على الدوام ، إلى النمو والريعان . فحبذا الغارس وما غرس ، وحبذا أمة أنبتت هذا النبات الحسن

أقام بنك مصر داراً جديدة لتكون موضع إدارته ومشروعاته المتفرعة عنه ، فما هى هذه الدار الجديدة ؟ إنها بنية من البنى الفخمة ، تتألف من أربع طبقات غير الطبقة الأرضية (البدرون) . خصصت الطبقة الأرضية منها للخزانات الخاصة بالبنك والمعدة للأفراد الذين يريدون استئجارها لوضع أموالهم ونفائسهم فيها ؛ وفيها ١٨٠٠ خزانة من هذا النوع ، جهزت كلها بالأجراس المنبهة والأنوار الدالة فيما إذا أراد غريب أن يمسها ، بحيث إذا سولت له نفسه ذلك قرعت الأجراس وضاءت المصابيح ، فتنبه الحراس إليه ، ولم يستطع الافلات منهم . وفى هذه الطبقة أيضاً وضعت « الدفترخانة » الخاصة بالبنك . وأما الدور الأول والثانى فقد خصصا لادارة البنك وموظفيه ، وأفردت بعض غرفه لمكتبة أهداها إلى البنك ذلك الرجل العظيم : محمد بك طلعت حرب واضع أساسه ، وصاحب اليد الطولى فى إنهاضه . وعدد ما فى هذه المكتبة عشرة آلاف مجلد كلها فى الشئون الاقتصادية وما إليها . وستكون هذه المكتبة نواة لمكتبة عظيمة يرجع إليها فى الاقتصاديات على

---

(١) « الاتحاد » عدد ٥ يونيو سنة ١٩٢٧

اختلاف أنواعها . وأما الطبقتان ، الثالثة والرابعة ، فقد خصصتا لتكونا محال إدارة المشروعات المتعددة التى تفرعت عن البنك ، مثل مشروعات الطباعة ، والملاحة ، والحلاجة ، والغزل والنسج ، وما إلى ذلك مما ابتدأ البنك فى إنشائه ، ومما هو قيد التنفيذ

وضع رسم هذا البنك المهندس المشهور الموسيو « لاشاك » . وقد برهن به على أن العقول الكبيرة لا ترضى إلا بعظائم الأمور . ولم يكفه أن يضع الرسم على خير مثال بل تعهد تنفيذه ، ووقف نفسه على إبراز كل دقيقة وجليلة فيه ، فظهرت هذه البنية من عجائب فن البناء والزخرفة العربية التى تليق بمصرف مصرى عربى

اقتطع لها الأعمدة ودرجات السلم من جبل الجرانيت بأسوان ، وأرسلت إلى ألمانيا لتسوى وتصقل ، ثم وضعت فى أمكنتها فكانت أشبه بمرايا تلاقى على سطوحها المشاهد والمرئيات ؛ ثم فرشت أرضه بالبلاط المنقوش الذى يشبه فى لمعانه قطع الفسيفساء . وقد اختار أن تكون نقوشها تشبه نقوش البسط والسجاجيد الزاهية الألوان ، الجميلة التناسب والتقاطيع ؛ وقد صنعت هذه فى إيطاليا . أما السقوف والأبواب وما بها من زخرفة ونقوش فحسبنا أن نقول : إنها صنعت على الأشكال العربية الدقيقة فى وضعها والبديعة فى تناسقها . وبالجملة فهذه الدار آية فى فنى الهندسة والبناء ، دالة على أن المسيو لاشاك قد راعى فيها الفن فأرضاه ، والأذواق فاجتلبها ، والأبصار فاجتذبها والنفوس فسرها وشرحها ، والعلم فبر به — لأنه من خيرة المهندسين وأفضلهم . وناهيك بدار لا يجد الخطأ الفنى والعلمى والهندسى إلى جهة من جهاتها سبيلا ، وهذا نهاية ما يصل إليه الكمال

وإذا نحن أثنينا على المسيو لاشاك بما أرضى به العلم والفن ، فهنالك رجال يستوجبون ثناءنا — نستغفر الله بل ثناء شعب بجملته — هم الذين أسسوا هذا البنك ، وفى مقدمتهم طلعت حرب بك فخر مصر ، وأنجب بنيها ، والذين قاموا للسهر عليه وعملوا له وهم صامتون . أجل نثنى على هذه الهمة التى تقدمت بهذا العمل الاقتصادى العظيم كل هاتيك الخطوات المبرورة ، والتى تتحفز لتقطعها أشواطاً أخرى فى سبيل مصلحة هذا الشعب الذى شعر بالعزة القومية ، وعلم أن من بين أبنائه من يحوطه بفضله وعلمه وتجاربه وغيرته ووطنيته ، ويسرى فيه سريان ضوء القمر فى الدوح فتتلون أزهاره ، ويعبق أريجه

ولقد بلغت تكاليف هذه الدار مائة ألف جنيه . وهو مبلغ قليل بجانب الفخامة التى تبدو به هذه البنية الضخمة الضاحكة زخرفة وتنساقا ، والتى ستبقى على الدهر فخر مهندسها والقائمين بادارة هذا البنك الذين أشرفوا عليها ، ونصبوها مثالا للهمة والنشاط . وسيحتفل بافتتاح هذه الدار رسمياً مساء اليوم . وقد أقيم سرادق لهذا الاحتفال يسع الألوف من الذين دعوا ليروا مجدهم ، وأساس حياتهم الاقتصادية . أتم الله على الأمة سعادتها وأنجح مقاصدها

يوم بنك مصر

الاحتفال بداره الجـــديدة ، وصف الدار [١]

احتفلت مصر أمس بافتتاح الدار الجديدة لبنك مصر . فأمّ نائب ملكها ، وأمراؤها ، ووزراؤها ، وشيوخها ، ونوابها ، وعظماؤها ، وأعيانها ، وكل ذى مقام وحيثية فيها السرادق الواسع النطاق الذى نصب أمام تلك الدار التى تعـد حجر الزاوية فى صرح استقلال مصر الاقتصادى

فمن الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر أمس أخذ المدعوون يفدون على مكان الاحتفال زرافات وجماعات ، فيستقبلهم حضرات أصحاب المعـالى والعزة أحمد مدحت يكن باشا ، ومحمد طلعت حرب بك ، وفؤاد سلطان بك ، وعبـد الفتاح اللوزى بك ، بالحفاوة والاكـرام ، ثم يتولى كبار موظفى بنك مصر إرشادهم إلى أماكن الجلوس المعدة لهم

وقد كان سمو الأمير عمر طوسون فى مقدمة الذين بكروا إلى سرادق الاحتفال ، فقوبل بما يليق به من التجلة والاحترام . وفى تمام الساعة الخامسة كان ذلك السرادق الذى أعد لأكثر من ثلاثة آلاف شخص قـد غص فى كل شبر أرض فيه ، وفى كل ناحية من نواحيه . وما هى إلا برهة وجيزة حتى أقبل حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا ، فقابله موظفو البنك الذين كانوا مصطفين عند مدخل السرادق بالتصفيق . ولما دخل دولته السرادق وقف له الحاضرون وصفق له كثيرون . وعقبه حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا رئيس مجلس الوزراء ، فقوبل بالتصفيق . كما قوبل أيضاً بعض الوزراء الحاليين الذين كانوا يفدون الواحد تلو الآخر

وجلس فى صدر المكان حضرة صاحب الدولة توفيق نسيم باشا مندوب جلالة الملك ، وإلى يمينه حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون وجلس حضرات أصحاب الدولة عدلى يكن باشا وعبد الخالق ثروت باشا وسائر أصحاب المعالى الوزراء إلى الجهـة اليسرى ، ووراءهم حضرات أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب . أما المقاعـد الأمامية من الجهة اليمنى فخصصت لحضرات وزراء الدول الأجنبية المفوضين ، وقد حضر منهم المركيز باترنو وزير إيطاليا المفوض ، والمسيو دوج وزير البلجيك المفوض ، والمسيو هوربان وزير تشكوسلوفاكيا المفوض ، والجنرال محيى الدين باشا وزير تركيا المفوض ، والمسيو بلجر قنصل ألمانيا ، والقائم بأعمال مفوضيتها . وحينما كان الحاضرون

---

(١) « السياسة » — عدد ٦ يونية سنة ١٩٢٧

يصغون إلى قصيدة شوقى بك لمحوا الدكتور مورتن هاول مقبلا ، فصفقوا له تصفيقاً شديدا . وجلس جنابه إلى جانب حضرات الوزراء المفوضين زملائه . أما المسيو جايار وزير فرنسا المفوض فانه وصل بعد الفراغ من إلقاء الخطب ، فسار إلى حيث كان مدحت باشا واقفاً مع طلعت بك ، وهما أهما بدار البنك الجديدة

ويضيق بنا المقام لو حاولنا أن نأتى هنا للقراء على أسماء الكبراء والعظماء الذين لبوا الدعوة إلى هذا الاحتفال الباهر ، فقد كانت مصر بجميع طبقاتها ممثلة فيه أكمل تمثيل وحسب

* * *

وبعد ما استقر المقام بالحاضرين ألقى معالى مدحت يكن باشا باللغة الفرنسية الكلمة التى نترجمها فيما يلى . (وأتت الجريدة على ترجمتها) . ثم وقف حضرة صاحب العزة طلعت حرب بك وألقى الخطاب الآتى (وذكرت الجريدة نصه)

ثم ألقيت قصيدة شوقى بك المنشورة فى صدر « السياسة » . وكانت هى ، وما سبقها من خطب ، تقاطع بتصفيق الارتياح والاستحسان

* * *

وبعد الانتهاء من الخطب دعى الحاضرون إلى زيارة الدار الجديدة . فكان أول ما استرعى أبصارهم بابها الضخم الفخم الذى جمع بين الصلابة والمتانة وسلامة الذوق . وقد عنى برسم زخرفته المسيو لاشاك بك المهندس الايطالى البارع الذى عهد إليه فى وضع تصميم الدار وهندستها ، فجاءت آية من آيات الفن والابداع ، ومفخرة من مفاخر الهندسة وأيدى الصناع . وقد قال لنا المسيو لاشاك بك ، ونحن نهنئه بنتيجة مجهوده : « لقد وضعت فى هذه الدار كل ما يضطرم بين جنبى من الروح الوطنى المصرى » . ومما يؤثر ذكره هنا عن حضرته أنه قضى عمره فى مصر التى هاجر إليها أبوه فى شبابه . وهو الذى تولى بناء دار المحكمة المختلطة بالاسكندرية ، كما تولى هو بناء قصر الزعفران ، وقصر الأمير سعيد حليم ، ودار حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا

ولما وصل المدعوون إلى قاعة البنك الكبرى وقفوا أمامها معجبين حائرين لا يدرون هل يصوبون أنظارهم صعوداً أو يوجهونها نزولا : فالسقف مجموعة نقوش وزخارف عربية فارسية شرقية تتجلى الدقة والعناية فى كل جزء من أجزائها ، وتظهر للعين المجردة مهارة يد الفنان الماهر فى كل رسم من رسومها . خيل إلينا ونحن نسرح الطرف فى جمال ذلك السقف وبهائه ورونقه أننا نتطلع إلى سقف جامع الرفاعى ، أو إلى سقف الجامع الأموى فى دمشق ، أو إلى سقف قاعة العرش فى قصر من قصور شاه العجم القديمة

أما الأرض فمرآة من الرخام الجميل الشكل والصنع والاحكام ، عبارة عن مجموعة من السجاجيد المختلفة الأنواع والأحجام . هى سجاجيد برسومها ، وتقاطيعها ، وكيفية وضعها ، وسبكها : ولكنها رخام فى مادتها وصلبها . رسمت رسوم هذه السجاجيد « الرخامية » فى مصر ثم أرسلت إلى إيطاليا فجلب الرخام اللازم لها . وصقل وقطع بموجب تفاصيلها ، وشحن بعد ذلك إلى مصر حيث ركب فى مكانه الحالى طبقاً للرسوم المرفقة به . أما الرخام الذى صنعت به سلالم البنك الرئيسية وبعض الأجزاء الأخرى ، فجلب من أسوان وأرسل إلى إيطاليا حيث صقل الصقل المطلوب ، ووضع فى القطع المرغوب

ويحيط بجوانب القاعة المناضد الرخامية المستطيلة التى يجلس الموظفون خلفها ، وقد جهزت هذه المناضد بأدراج من الحديد متينة الصنع ، خفيفة الوزن ، يسهل فتحها وإقفالها بسرعة

وقد صنعت جميع أبواب هذه القاعة وأقفالها وقناديلها وفاقاً لرسوم عربية شرقية ، عنى المسيو لاشاك بك بوضعها

ونزلنا إلى الدور الأرضى . وإذا كان الدور الأول يمتاز بدقة نقوشه وبهاء زخرفه ، فالدور الأرضى يمتاز بصلابة أبوابه وجدرانه ، ومتانة حواجزه ومفاصله

وقد جهز بأحدث الخزائن الحديدية والأبواب الفولاذية . وهى الخزائن التى ستحفظ فيها الأموال المودعة فى البنك . وقيل لنا إن بهذه الخزائن أجراساً خفية وأنواراً كهربائية تقرع وتنير إذا ما امتدت إليها يد سرية لتسلب ما فيها من مال وأوراق مالية

وفى جانب آخر من هذا الدور مكان فسيح لحفظ أوراق البنك ومستنداته حتى إذا قضت خمس سنوات فى ذلك المكان نقلت إلى الدار التى سيشيدها البنك فى جهة شبرى خصيصاً لهذا الغرض فتحفظ فيها

أما الدور الثانى فيمتاز بالقاعة الكبرى التى أعدت لاجتماعات مجلس الادارة . وقد وضعت هندستها على الطراز الأوربى الحديث ، وبقاعة المكتبة التى ستحوى عند افتتاحها عشرة آلاف مجلد فى مختلف الشئون المالية والتجارية والاقتصادية ، وهى المجلدات التى تتألف منها مكتبة حضرة طلعت بك حرب الحالية . أما سائر أدوار الدار فأفردت للشركات التى تفرعت من بنك مصر

وبعد ما فرغ المدعوون من طواف الدار الجديدة ، ومشاهدة فخامة بنائها ، وجمال نقشها وزخرفها ، أقبلوا على حضرات القائمين بأمرها يهنئونهم بالنتيجة العظيمة الجديدة التى أسفرت عنها جهودهم الصادقة التى يرجو كل محب لهذا البلد أن تظل موضع التوفيق لتستمر فى خطتها : تلك الخطة الرشيدة الحكيمة ، المنطوية على خدمة الوطن خدمة اقتصادية جليلة ، هى حجر الزاوية فى صرح استقلاله كله

بنك مصر (١)

[زار حضرة الفاضل الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى الدار الجديدة لبنك مصر فراعه ما فيها من جمال صناعة وفن فأبدع وصفها فى هذه الآية :]

لا أحاول فى هذا المقال ، وهيهات لى ، أن أبسط بين يديك صورة كاملة لتلك البنية العزيزة التى أقامها « بنك مصر » فى شارع عماد الدين لتكون مثوى له ، ولما يرفد من الشركات فى القاهرة . وكيف للغة بأن تتناول ما لم يجر على مثال ، ولا وقعت عليه العيون ، ولا تعلق به الخيال ؟

ولقد كنا نقرأ أقاصيص « ألف ليلة وليلة » ، وما افتنت فيه الأخيلة من وصف مجالس الملوك ، إنسهم وجنهم ؛ وكنا نقرأ ما جاءت به السير من حديث قصر غمدان ، وإيوان كسرى أنوشروان ، وما حوى الخورنق والسدير ، وما أبدع الفاطميون فى القصر الكبير والقصر الصغير — كنا نقرأ هذا فلا نتمثل إلا ركاماً من الذهب والفضة واليواقيت واللآلىء ونحوها من ثمين الجوهر ، ثم يقبل البناؤون فيديفون هذا بهذا بعد أن يعالجوه بالعنبر ، وبالمسك الأذفر ، حتى إذا علكت هذه الطينة ، رفعوا منها قصراً ذا شرفات ، وكوى ومقاصير ، وإيوانات وأبهاء !

هذا الذى تنفضه عليك أخيلة القصاص من صفة القصور الدائرة فى العصور الغابرة . فاذا أنت انبعثت من هذا النوم ، وشخصت ، على قدميك لا على جناحى خيالك ، إلى تلك البنية التى أقامها بنك مصر . فسرعان ما تتفقد نفسك وتجس مواقع حسك لتعرف : أهببت من النوم أم عقد جفنك المنام . وكان حقاً ماترى أم كان حلماً من الأحلام ؟ !

لم تقم فى هذا البناء كله لبنة واحدة من الذهب ولا أخرى من الفضة ، ولا رصعت جدره بشىء من الدر ولا اللؤلؤ ، ولا ضمخت حوائطه بالعنبر ، ولا تدلت من سقوفه معاليق الجوهر : على أنه يملأ ك من روعة وجمال ، لم تستشعرهما دهرك فى حقيقة ولا خيال ! إنما هو المال ، والعلم ، والذوق — تظاهر ثلاثتها على إخراج هذا البدع كله ، وما شاء الله كان

دعك من ظاهر هذا البناء . فلقد تجد له فى البنيات أشباهاً ، على أنه أوفى على الغاية من الفخامة والاحسان . وخذ بنا فى جوفه ، فهناك ينفغر الفم ، ويتحير النظر ، ويتعلق النفس ، ويزيغ اللب فى هذه الفتنة

يستقبلك من الباب مصراعان عظيمان طبعا من مصفى النحاس (البرنز) ، قد جالت فيهما

(١) « السياسة » عدد ٦ يونيه سنة ١٩٣٧

أمهر الأيدى بأفخم النقش والتزيين ، فتراه كله قائماً على أشكال هندسية بديعة مفرغة فى متن المصراع تفريغاً . فاذا جزته وصرت إلى المدخل فرفعت النظر إلى حوائطه كاد ينزلق عليها انزلاقاً ، فقد كسيت بالمرمر الأملد من الصبح (١) واللؤلؤانى ، تتمشى فى صفحتها جداول دقيقة من الخضرة حتى إنهـــا لتمثل لك عروساً صقلت عارضها حتى تم إشراقه ، وشف جلده فبانت من دونه أعراقه

وتجد سلماً بين يديك أى سلم : لقد اقتطعه بنـك مصر صخراً من جبال أسوان من ذلك « الجرانيت » الأحمر الصلب الذى تراه فى تماثيـل قدماء المصريين ، ثم حمـله إلى ألمانيا فنحت وسوى درجاً عظيما مؤطراً بأبدع النقوش

فاذا أنت ارتفعت على هـذا السلم حتى غايته : فأنت فى بهو عظيم يترامى فيه النظر . وأول ما ينطق به اللسان : ما شاء الله كان . وأول ما يجول به الخاطر : الندامة على أن ليس لك فى كل جارحة عين ـ ففى كل شبر بدع ؛ وفى كل فتر إحسان . وهيهات أن تحط بصرك على موضع فى سقف هذا البهو ، أو فى أرضه . أو فى جدره ، أو عمده ، وكل ما قام فيه ـ فهان عليك أن تحوله عنه من حسن ومن افتنان

وقد سقفت حواشى البهو الأربع بسقوف تعتمد على جدره من جهة ، وعلى عمد من المرمر الأصفر مربعة من الجهة الأخرى . وأما بهرته فقد ارتفع سقفها إلى مدى الطابق الثانى . وهذا السقف كله مؤلف من قطع مربعة من البلور ، افتنت فيها أيدى الصناع بمختلف الأشـكال فى مختلف الألوان . فاذا رفعت النظر إليها خيل إليك أنك فى يوم عرس تبارت فيه الكواعب الحسان ، من كل مكحولة العين وكل مخضوبة البنان . وإن كنت قد غشيت دار الآثار العربيـة فاقتطفت نظرة من تلك القناديل الزجاجية التى خلفها الفن الفاطمى ، فلا شك فى أنك ستتخيل أن هذه القناديل الرائعة قد بسطت بسطاً ، ومهدت فى هذا السقف حلية ، ونظمت فيه سمطا

وأما تلك السقوف التى قامت على حواشى البهو فقد قسموها مربعات أيضاً بحيث يتنـاهى عرض كل مربع إلى مدى ما بين العمودين ، وأجروها كلها على الطراز العربى ؛ فحدث ما شئت بلسان الذوق الجديد عن جمال الفن القديم . فبعد أن أبدعت الصناع حفرها وتكريشها طوعاً للأشكال الهندسية العربية المقسومة لها عادت عليها تكفتها بالفضة ، وتموهها بالذهب ؛ وتشجرها بأزهى الألوان : من أخضر ناضر ، وأصفر فاقع ، وأحمر قان . والعجب أن لكل رقعة من رقاع تلك السقوف رسما خاصاً ، تجرى فيه ألوان خاصة فى أشكال خاصة ؛ وكلها ، مع هذا ، عربى ، فلا

---

(١) الصبح ، بفتح الصاد وسكون الباء ، لون يضرب الى الحمرة

تدرى أيها أجمل وأحسن ، وأيها أبدع وأفتن ؟ فلا يسعك أن تنصرف عنها إلا وأنت تردد قول الشاعر : « . . . كل مليحة بمذاق »

وقد فصل بين حواشى البهو وبين بهرته بحجاز قائم على مسامتة تلك العمد ؛ يرتفع إلى نصف القامة ليقوم عمال المصرف من خلفه على قضاء حاجات الناس . وهذا الحجاز كله قد اتخذوه من المرمر الأبيض ، نحت على صورة أنصاف دوائر بارزة متجاورة ، تقوم أطرافها على سوق من المرمر الأسود ، وقد بسطت عليها مناضد صفيقة من المرمر الأصفر ، مدت فى داخل حواشى البهو مهاداً لأسباب عمال المصرف ، ومتكأ لأذرعة المتمثلين إليهم من الناس

ومن فوق هذا السقف طابق آخر ، له كل ما للأول من دقة فن ، وروعة جمال . وهو يشرف على بهرة الايوان من أقطارها الأربعة . وترى من فوق كل عمود من تلك العمد المربعة التى حدثتك عنها عموداً أسطوانياً قد أحسنت يد النحات فى قاعدته وهامته أيما إحسان ، وافتنت فى نقشهما أيما افتنان

أما أرض الايوان فاذا لم يحدثك أحد أنها من الرخام لخلتها فرشت بجلود الصلال ، أو بالوشى الصنعانى نمنم بمثل أكارع النمال ، أو أنها لوحة كفتت بالذهب ، أو كأس حفها الحبب

وقد انتهى إلى أنهم جاءوا لها بقطع الرخام من إيطاليا وألمانيا وأمريكا حتى يتم لهم ما قدروا لها من جمال يتحير فيه الطرف ، وبدع يعز فيه الوصف

وهناك غرف ومقاصير ، وهناك دهاليز وسلاليم . وهناك فرش ممهودة ، وأرائك ممدودة ، وثريات منضودة . وهناك طرف وتحف . وهناك أشياء وأشياء ؛ إذا وعتها الأفهام فهيهات أن تتعلق بوصفها الأقلام !

والغريب أنك تجد فى كل رقعة لوناً من الحسن يخالف ما تجد فى أختها ، ونوعاً من الفن غير ما ترى فى التى تليها . على أنك واجد بينها كلها أوثق الاتصال ، وأحكم الاتساق . وكذلك شاءت عبقرية الفنان العظيم ، الأستاذ أنطوان لاشاك ، أن تلحن فى هذه البنية دوراً موسيقياً بارعاً ؛ مهما تنوع فى ضروبه وتلون فى أنغامه ، فكلها مؤتلف فى قراره ، متسق فى قوامه

هذا ما واتانى عليه القلم فى مدخل هذا البناء الجليل وبهوه العظيم . أما باقى تفصيلاته ، ووصف سائر طبقاته ، فانى أدع هذا لغيرى فقد جهد بى ، وجف فى يدى القلم »

يوم مصر

إنه يوم عيد الأمة العام (١)

منذ عشرة أيام ، وأنا أسلك شارع عماد الدين قاصداً إلى شارع فؤاد الأول . وما كنت أقطع عدة خطوات حتى أشعر بجاذبية لا قبل لى على قهرها والخلاص من أسرها

كنت أقف ، وكيف لا يقف كل من مر أمام جلال القومية ، وعظمة الوطنية ؟ كنت أقف كما يقف المارة خاشعاً ذاهلا . أتأمل وأطرق مفكراً ، ثم أرفع البصر فاذا بدوار الذكريات تسودنى فيملك منى الاحساسات والمشاعر . وما هى إلا نظرة إلى الخلف وأخرى إلى الأمام ثم مقابلة . فأحكم أن صرح الوطنية العاملة : عملاق يمد يده من عنان السماء ، إلى قزم الفضيلة الكامنة ؛ وأن علم القومية الناضجة يداعب النسيم ، فاذا ما تماسا تلاشى دوى النواقيس كما يتلاشى بريق السيوف تحت مثار النقع إذا ما حملت خيالة القديس جورج (الجنيه) حملتها المباركة . وما النحاس إذا قيس بالذهب ؟ بل ما الفارق بين طلحة وأبى لهب ؟

إنك لتقف أمام العظمة القومية مبهوتاً حائراً . وإذا عفت عنك جاذبيتها ، وذرتك تتحرر لحظة من قيدها لتتمكن من أن تكون فكرة ، ما استطعت إلى القول سبيلا غير أن تومىء أو تتمتم : إن للحق والعدل يوماً ؛ إن قانون النماء إلهى ؛ إن خيال الماضى حقيقة اليوم ؛ إن أحلام عظماء الرجال من وقائع المستقبل ؛ إن المفكرين يقررون ما يجب أن يكون ؛ إن يد الله مع العاملين

يميل الانسان إلى الخلاص من الأسر . فاذا ما بذلت جهداً جهيداً ، وتمكنت على الرغم منى أن أحول دون جاذبية مصر المتجسدة فى بنك مصر سبحت فى عالم الماضى والحاضر : الماضى التعس والحاضر المنبىء بفجر سعيد ، ثم حمدت الله وشكرت على أن الأمم قد تتجسد فى شخص ، وتكون مثلة باسلة مفكرة أبية نزيهة ، على استعداد للنضال ، وأهلا لتقبل الفكرة ؛ وتكون مثله تواقة للحرية ؛ ويكون هو مثلها له عظمة الحياة وجلال العمل - لذلك رأيت أن مصر وطلعت حرب امتزجا فى نوع من التفاهم المتبادل الذى جعل منهما شخصاً واحداً . إن كليهما يشع فى الآخر ؛ إنها مجيد كما هو مجيدة ، إن قلبهما واحد ، وإرادتهما واحدة ، ومصيرهما واحد : الخلود . إن مصر تشبهه عن طريق ذلك السلطان المفزع الكامن فى أعماق النفس لاستخدامه فى تذليل العقبات ، وقد يكون لاستخدامه فى تخطى الملمات ؛ إن كليهما قد توج : هى بصبرها وهو بعبقريته

---

(١) « الأخبار » — عدد ٦ يوليو سنة ١٩٢٧

إن الاعتراف بالجميل لعظماء الرجال فرض ، وكيف يجحد جميل من كان ضمير أمة ؟ فاذا ما جحدت الأمة اليوم طلعت حرب فانها تشهد ضميرها

* * *

وفى يوم السبت ، اعتزمت أن أحيى فى يوم الأحد « بنك مصر » ، لا بل فخر مصر . وعند ما عدت بعد الظهر إلى دار الأخبار أخطرت أن زميلا وأخاً لى من دعامات هذا الفخر قد زارنى ؛ ففهمت السبب ، وأخذت سبيلى إلى « بنك مصر » ؛ وهناك قابلت الدكتور سيد كامل بك

من الرابعة إلى السادسة والثلث بعد الظهر - هذا ما قضيناه مع بعض حضرات الزملاء من الوقت فى زيارة الطابق الأرضى والدور الأول والثانى من « بنك مصر » . والذى نفسى بيده لقد عدت إلى الجريدة لا أشعر أين أنا من فرط ما تملكنى من ذهول الغبطة ، وجنون المسرة .

ولم يسعنى إلا أن أعتذر عن الكتابة فى موضوع « مجد مصر » أمس

تعال هنا ، أيها القارىء ، وألق نظرة عن بعد : إنك تجد فى كل جناح أمامى مسلحة يرفرف عليها علمك المصرى ، رمز السلام والصفاء ، رمز مصر الوديعة ؛ وفى كلتيهما ساعة تناديك : « اقطع وقتك قبل أن يقطعك ؛ واستثمر مالك اليوم قبل غدك - ففى هذا نجحك ورفاهة بلادك »

وإن أنت اقتربت من الباب تجسمت أمامك ضخامة العظمة ، وشخص جلال المجد ، فلا تملك إلا أن تشد إلى الباب فى جاذبية غامضة لا تدرى سرها . ولا تعرف أن تميز كنهها ، ولا تستطيع مقاومة تيارها ، ولا يسعك إلا أن تستسلم وتسلم ، وإنما فى خشوع وحمد للقاهر القادر لتجتاز منطقة الرواء والبهاء الخارجى ، صاعداً سلم التحرير الاقتصادى المالى القومى

ها أنت ذا قطعت أول مرحلة وولجت هذا الباب الذهبى الوهاج : عنوان الفتح المبين الذى تلا أول معركة قومية قد تؤدى إلى أخريات حاسمة تمكننا من أن نسقط حجة السياسيين الذين تصدوا من تلقاء أنفسهم لحماية المصالح الأجنبية ، وأخذوا على عاتقهم مسئولية هذه الحماية

إن تلاوة ما نسطره لا يجدى . فأنت فى حاجة إلى أن تدخل هذا الأثر الخالد ، هذا المعبد المقدس ، هذا الهيكل الذى يتحتم أن يحج إليه كل مصرى ليؤدى الفريضة القومية ، ويساهم بالجزية الاختيارية المثمرة الثمرة الصالحة . إنك فى حاجة إلى التدقيق فى عمده ، فى حوائطه ، فى سلالمه ، فى كل قطعة من قطع أرضيته ، فى كل نتوء بارز فى سقفه ، فى صرحه ، فى نقوشه ورنوكه التى تعيد إلى الذاكرة عهد الفن الكنسى مستعرباً فى وضاحة وجلاء - ليذهلك سلطان الفن ، وتدهشك قدرة الصانع وخاصة المصرى

يقوم بنك مصر فى مدينة القاهرة ، ذلك المحيط المسجور بالمتناقضات الحجرية والبشرية التى تصطدم فتتكسر تكسر الأمواج ، ذلك الموزاييك البديع ، مدينة الرخام والأوحال ، مدينة

الجند المختلف الأصناف ، والأمراء الأصليين واللاجئين ، وأواسط الناس والصعاليك من مختلف الملل والنحل والأجناس ، مدينة البارود والبخور ، مدينة الأحكام العرفية والحرية ، مدينة الدينيين والملحدين ، مدينة العظمة القاسية للاطلال التاريخية وجلال فن المعمار الأثرى ، مدينة العالم القديم والعالم الجديد ، مدينة الوثنية والمسيحية واليهودية والاسلام ، مدينة القيصرية والبابوية والمحمدية ، مدينة العبادات دائماً . ولكن بنك مصر على نقيض ذلك : إنه وحدة ؛ إنه قومية ؛ إنه مصر ؛ إنه شكل واحد ، وصيغة عامة واحدة ، وفكرة واحدة . ومن أجل ذلك يسهل عليك وصفه إذا أنت خلوت إلى نفسك ، وسكن ما ملك عليك قياد فكرك : من رواء وروعة وبهاء ، واستعنت بعالم أثرى ، ومستقرىء ، وتاريخى ، ونقاد فنى ، ومؤرخ وثنى ، وآخر مسيحى ، وثالث إسلامى عربى ، وعالم دينى ، ورجل سياسى ، وواعظ أدبى ، وشاعر متين ، وفيلسوف حكيم ، وغيرهم ثم غيرهم

إنك إذا أردت أن تتكلم عن بنك مصر فى علم وجب عليك أن تملك ناصية العلوم . إن بنك مصر متحف ؛ إنه التاريخ ؛ إنه تحليل فنون العالم ! إنه العالم : ففيه نجد منفيس ، وبابل ، وفارس ، وأثينا ، وبيزنطة ، وباريس ، ولندرة ، وبرلين . فى بنك مصر جميع الفنون الجميلة القديمة والحديثة — إنه خلاصتها

إنه يوحى بفكرة العظمة ، وفكرة الجمال : فالتناسق الطبيعى ، والتكافؤ القياسى ، وصفاء الفن وروعته — كل هذا لايفوت باصرتيك . والرخام الكريم ، والحليات البارزة العجيب رواؤها ، والذهب الوهاج فى كل مكان ، والألوان المتوافقة ، والعمد المرفوعة ، والسقف الخيالى ، والزرابى الرخامية المبثوثة فى صحنه ، والصرح الممرد — كل هذا يشعرك بالجوامع الأثرية الفخمة ، والمعابد القديمة الضخمة ؛ إنه يقذف إلى روعك التقديس الفجائى ؛ إنه يشعرك بأن التصور قاصر عن إدراك كنهه إذا لم تصب بدوار جلاله

إن بنك مصر معبد حقاً . ولكنه ليس كمعبد القديس بطرس بروما ، ذلك الذى قرر البابا يوليوس الثانى من أجل القيام بنفقات عمارته الضخمة أن يبيع جوازات المرور إلى الجنة ، فأثار لوثر ، وأضرم النار فى ألمانيا ، وولد الاصلاح البروتستنتى ، وكانت الحروبات الداخلية فى القرن السادس عشر ، ومذبحة سان برتلمى ، وثورة انجلترا ، وفسخ معاهدة نانت ، ومذابح السيفن ، وانحلال أسرتى إسبانيا والنمسا ، وتأسيس الولايات المتحدة ، وإنشاء بروسيا ثم الامبراطورية الألمانية إلا نتيجة للهو عظيم التهى به بابا أحب الفنون ، وولع بالزهو . أما بنك مصر فلا يشعر بذرة بسكال الرملية ، إنه الهرم ثابت الدعائم ، شامخ بذروته ، إنه النيل فياض بالخيرات والبركات ، إنه أس من أسس الاستقلال . إن فيه السلام ، وفيه النجاة

اجتز الباب الذهبى الوهاج ؛ ثم اخترق الباب البلورى ؛ واصعد السلم الرخامى ذا اللون العنابى الذى طعمته الطبيعة بالسواد والزرقة والبياض ، وجىء به من أسوان ؛ ثم أرسل إلى ألمانيا وعاد فركبته اليد المصرية . ثم إذا أنت وصلت إلى البهو الأعظم، فكبر وهلل وامش فى تؤدة وثبت نظرك فى بقعة بقعة حتى لا يزيغ بصرك ، ويحار لبك ، وتفقد صوابك . ثم تقدم فوق هذه السجاجيد الرخامية المصقولة فى إيطاليا على مختلف الأشكال والألوان التى صنعتها يد الطبيعة فى بهاء رائع ، وكأن القدرة أرادت أن يكون للصانع الايطالى نصيب من خريطة بلاده فى تلك الذرابى البهيجة المبثوثة . فأنت ترى فى بعضها جزءاً عظيما من شواطىء إيطاليا الغربية والشرقية وبعض شواطىء دلماسيا . ثم تأمل تلك العمد الضخمة الرخامية ذات اللون الأحمر المتداخلة فيه طبيعة أمواج من مختلف الألوان . ثم تعلو قممها حليات ذهبية فى أشكال عربية

ثم ارفع بصرك إلى الكوى وقل : سبحان الله ! إنه الشجر ذوات الأفنان ، والزهر والريحان ، طبعت على السماء الزجاجية فى بهيج الألوان ، وبالغ حد الكمال من الاتقان . بل هو البراعة أولا وآخراً : تشهد بحسن الذوق ، وجميل الغريزة الفنية ، ومن فوقه الصرح ممرد ، إن أنت نظرت إليه حسبته لجة

تعال بنا ، أيها القارىء ، نقتف أثر الأستاذ السيد كامل . وطف معنا فى الحجرات ؛ وادخل غرفة عرش البنك : باب من أبواب الجوامع ، نقش فى أبدع ما يتصوره العقل من حذق ومهارة فى الفن ؛ وفرشت أرضها بسجادة حاكتها يد مصرية فى أجمل ما يكون من الرواء والبهجة ، يملأ فسحة الغرفة ؛ وعلى جوانبها دواليب من خشب الجوز صنعت فى أدق صنع عربى . وبأحد طرفى واحد منها ساعة ، وفى الطرف الآخر ميزان للحرارة وتقلبات الجو . ثم ترى العرش : طاولة متواضعة ، تدل على عظم النفس وتبسطها . أما سماء الغرفة فعربى النقش . وأمام هذه الغرفة أخرى للسكرتير الخاص لملك المال ودعامة الاستقلال . وبها طقم عربى من صنع « البقرى » . ومن الناحية الأخرى غرفة انتظار ، يلوح لنا أنها أعدت لمن يكفل الزمن بتعليمهم قيمة الزمن ، وخاصة زمن محافظى البنوك ؛ كما يكفل تعليمهم اختصاص موظفى البنوك ، وهذه الغرفة تؤدى إلى غرفة الدكتور فؤاد سلطان بك ، دعامة هذا الصرح الثانية ، وركنه الركين ، وهى غرفة لا فارق بينها وبين غرفة طلعت بك

ثم انزل معنا إلى أسفل تر العزة والمنعة فى المنجم داخل الخزانات الحديدية فى قاعات أحيطت بالقضبان الحديدية ، صنعت على أحدث طراز بحيث أقل حركة بجانبها تشعل الأنوار ، وتدق الأجراس ، وبجانب ذلك غرف أخرى بها خزانات حديدية للايجار ، ولا تفتح إلا بمحضر وبمفتاحين أحدهما لدى البنك والآخر مع المستأجر ، ثم هاك غرف المحفوظات والوثائق

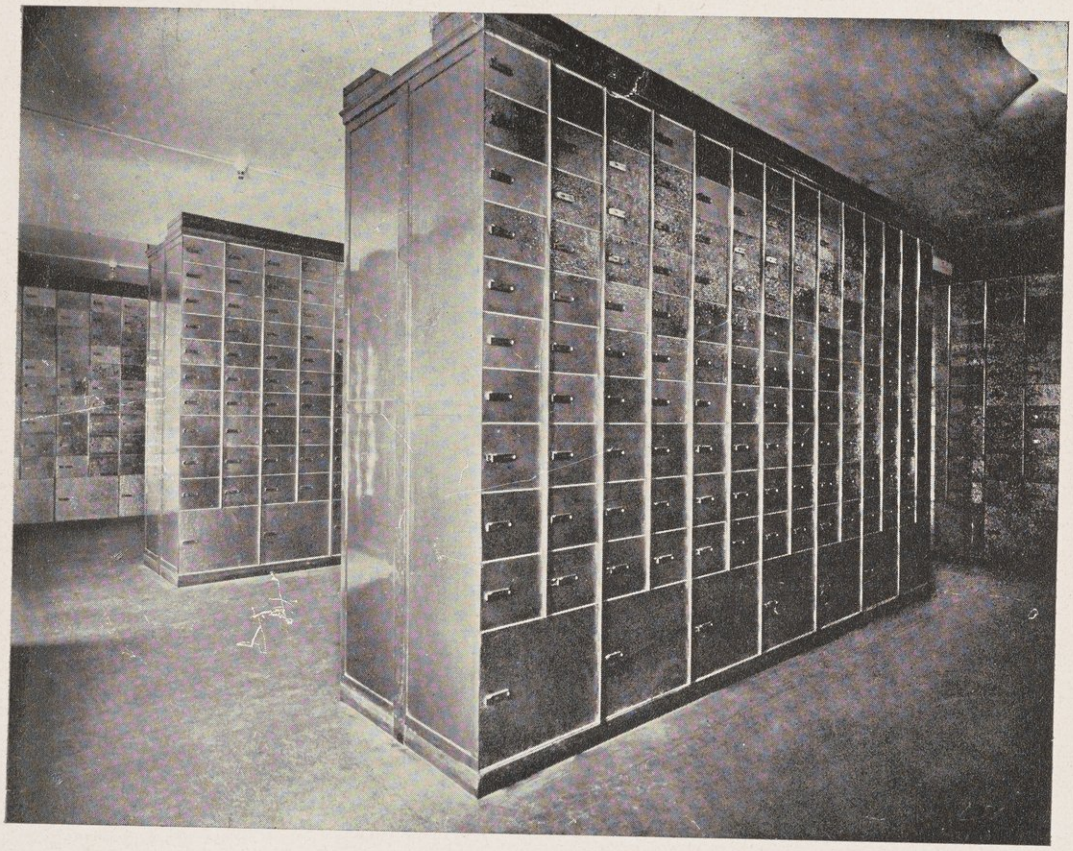

خزائن حديدية للعملاء

التى لم يمض عليها خمس سنوات . أما ما زاد عن ذلك فان بنك مصر يبنى له دفترخانة خاصة بشبرى

ثم اصعد معنا إلى الدور الثانى . وهنا تجد ، على ما قال لنا الأستاذ سيد كامل بك : « ورشة الحسابات » . وأمامها من الغرب غرفة مجلس الادارة ، غرفة العاملين على النهوض بالاستقلال المالى والاقتصادى لمصر ، ورفع الكابوس الأجنبى الضاغط على الثروة المصرية . وبجانبها مكتبة أنيقة الصنع ، وعلى أجمل وأحدث طراز

أما الطبقات الأربع الأخرى فقد خصصت لحضرات موظفى الشركات التى ينشئها البنك فى سبيل النهوض بالصناعة القومية ، والأعمال الوطنية ، كشركة الملاحة ، وشركة الغزل ، والورق ، وغير ذلك من الشركات التى تتولد عن الفكر الجبار ، لذلك المالى الذى مرد فى ابتكار الأعمال القومية الجليلة، هو وحضرات أعضاء مجلس الادارة ، وفى مقدمتهم المالى الكبير والاقتصادى العملى الظيم معالى مدحت يكن باشا

وقد اختص حضرة الأستاذ القدير ، والاقتصادى العامل الكفء ، الأستاذ سيد بك كامل بادارة المكتبة فى الدور الثانى كما اختص فى الدور الثالث بادارة قسم النشر والمباحث الاقتصادية

وقد علمنا أن البنك ، علاوة على ما أنشأه من شركات ، يعد العدة لانشاء شركة لصقل الرخام المقتطع من الجبال المصرية

* * *

هذه فكرة قاصرة ، ندلى بها وصفاً لبعض مما رأيناه فى « بنك مصر » حتى ساعة تقدمت جنوح النهار إلى أن يدور دورته ، ويستوى فى مقعده ليأخذ خلافه من راحته ، كى يسترد منته وقوته ، وليستظهر على الليل ، ويرسل على الكون أشعته إيقاظاً لأحياء تمثلوا به فى كده ونصبه ، فسكرت أعينهم ، واستسلموا لقضاء التعب وسنته ، أو تقويماً للمتماوتين أولئك ، النساك المرامون

وماذا بعد هذا ؟

إنك إذا ما ترجم نور الطبيعة عن ضعف فى ضوئه وإملاق ، وآذنك بالامحال والامحاق ، وشهدت قرص الشمس يحترق ليشعل الأفق ويعلن الشفق ثم يدميه ويدميه إلى أن يتعشق لونه بالزرقة ، ثم ينتش من الكحل قليلا قليلا إلى أن يصيب من الحداد قسطاً وفيراً ، ثم من السواد قسطاً عظيما ، إلى أن يتوارى خلف ستار الليل فى حركة فلكية دورية يومية تبسط على الأعين معنى الحياة السائرة من تضاؤل إلى نحول فذبول فغيبة ففناء - أبصرت مصابيح المال تبشر بسعود الحال ، وحسن الاقبال ، وألفيت ثريات الذهب الوهاج كوكباً درياً خلف الباب البلورى يسطع نوره فينفذ من ذلك الباب الفخم الضخم فى نصف دائرة لا تتناهى إلا مع اللانهاية ، ويكيف ذلك الهلال الذى استوى على عرش هذا الباب تكييفاً نورانياً يتنافس مع الطبيعة التى أنزلت

على مخيلة « ميكل انجلو » و « ليونار دافنشى » و « رافائيل » وحياً استرشدت به ريشة كل منهم فأخرجت تلك اللوحات ، بل بعثت عهد التجدد الأوربى . غير أن الهلال الذى توج هذا الباب يتجسم أمامك خلال الزجاج السميك ذى الألوان المتناسقة المتآلفة فى تدرج صعودى أو نزولى ، من حيث قوة الصبغة أو ضعفها وفق ما يستمتع به القارىء فى « الشابل سيكستين » بروما ، وفى كاتدرائية الدومو فى ميلانو ، وكنيسة سان مارك فى البندقية ، و« نتردام ده باريه » ؛ ويقوم أشراطاً للنبوغ فى الفن الماثل فى أكناف النوافذ العليا لهذه الكنائس . ثم إذا بك تلمح أن هذا الهلال مركز يجمع أشعة النور جميعاً يفيض ذات اليمين وذات الشمال ، ويمتد متألقاً فوق قباب هذا الباب كأن الشمس المصرية لا تتحول عن الشرق : آية الرقى والعمران ، وحجة على أن فرعونية المصرى أبدية ، وأنه إذا كان موسى السامرى بالوادى المقدس خاب رجاؤه أمام رسالة موسى ، فقد وجد المصرى الآن الذى ينطق العجل الذهبى معبود العالم وهو كل من طلعت حرب وفؤاد سلطان مدير الشركة والسياسى أيضاً ؛ لأن سلطان المال له السيادة والتحكم فى مختلف فروع الحياة

ولا غرابة بعد هذا أن نسمع من حضرة لاشاك بك المهندس الكبير قوله : « لقد وهبت هذه الدار كل ما يشتعل بين جوانحى من إحساس وطنى مصرى »

والحق يقال : إن السعادة فى هذا البنك ، والرفاهة القومية باذن الله ستكون ثماره . حقق المولى القدير الآمال ، ووهب مصر ما يكفيها من رجال

احمد وفيق

حفـــلة افتتاح

عمارة بنك مصر الجـديدة [١]

بشارع عماد الدين بالقاهرة

بالقرب من ميدان سوارس ، بشارع عماد الدين حيث بنيت عمارة بنك مصر الشاهقة ، أو حصن ثروة مصر المكين ، نصب سرادق فخم مترامى الأطراف ، متسع الجوانب . صفت فى فنائه الكراسى المذهبة المكسوة بالحرير ، وفرشت أرضه بالطنافس والسجاجيد ، وزينت جدرانه بالأعلام والرياحين . وقد خصص قسم منه لحضرة صاحب الدولة نائب حضرة صاحب الجلالة الملك ، ولحضرات أصحاب السمو الأمراء ، ولحضرات أصحاب الدولة والمعالى الوزراء وسفراء الدول الأجنبية

وفى منتصف الساعة الخامسة كان الشارع المؤدى إلى السرادق يموج بمئات السيارات والعربات تقل حضرات المدعوين ، وكان يستقبلهم حضرة صاحب المعالى أحمد مدحت يكن باشا ، وحضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب بك ، وحضرة صاحب العزة فؤاد بك سلطان . وكان حضرات كبار موظفى البنك يرشدون الوافدين إلى الأمكنة المخصصة لجلوس كل منهم . وكان فى مقدمة الحاضرين حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون باشا ، كما شرف الاحتفال حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا رئيس الديوان العالى الملكى نائباً عن حضرة صاحب الجلالة الملك المفدى . وقد حضر حضرات أصحاب الدولة والمعالى رئيس مجلس الوزراء والوزراء جميعاً ، وحضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا . ومما هو جدير بالذكر أن الحاضرين صفقوا طويلا لدولته ولدولة ثروت باشا حين دخولهما ، وكذلك صفقوا حين دخول صاحب السعادة الدكتور مورتن هاويل وزير أمريكا المستقيل . أما السرادق فقد غص بألوف المدعوين وكلهم من علية القوم من شيوخ ونواب وحكام وتجار وغيرهم . وما وافت الساعة الخامسة حتى افتتح الحفلة حضرة صاحب المعالى أحمد مدحت يكن باشا بكلمة فرنسية ترحيباً بحضرات سفراء الدول الأجنبية ، وكبار الجاليات الأجنبية ، ابتدأها بشكر حضرة صاحب الجلالة الملك الذى يعمل ليل نهار على إسعاد الأمة ورقيها

وبعد أن شكر النزلاء الأجانب على تفضلهم بالاشتراك فى هذا الاحتفال قدم لهم حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب بك ليلقى خطابته باللغة العربية ، وقد قوبلت كلمته فى ختامها بالتصفيق

---

(١) « جريدة التجارة » ، باسكندرية — عدد ٦ يونية سنة ١٩٣٧

ثم وقف حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب بك فألقى خطبة شائقة نفيسة (يجدها القارىء منشورة فى غير هذا المكان) وكان يقاطع بالتصفيق الشديد

وعقبه أحد موظفى البنك فقام وألقى قصيدة عصماء لأمير الشعراء أحمد بك شوقى عضو الشيوخ (نشرناها أيضاً فى غير هذا المكان)، وكان المصورون يأخذون رسم الحاضرين خصوصاً أصحاب السمو والدولة والمعالى الأمراء والوزراء والخطباء . كما قامت شركة مصر للسينما بأخذ مناظر متحركة ستعرض على الجمهور فى بوفيه حديقة الأزبكية بمصر ابتداء من اليوم (الاثنين ٦ يونيو) علاوة على البرنامج الأصلى

ثم دعى أصحاب السمو والدولة والمعالى والسعادة والعزة المدعوين لمشاهدة عمارة البنك (موضوع الاحتفال) فدخلوها ودخلناها فماذا رأينا ؟

رأينا داراً فخمة بنيت على الطراز الشرقى الجميل تجلت فيها آية الذوق المصرى ، ومهارة الصانع المصرى ، كسيت أرض صالاتها بالمرمر الزاهى اللون وغرفها بالخشب المصقول . أما سقوف العمارة فيحار أمهر الكتاب فى وصف ما بها من نقوش جميلة ، وألوان بديعة ، تكاد بهجتها تأخذ بالألباب وبمجامع القلوب

خصص الدور الأول لمكتبى حضرتى صاحب السعادة طلعت بك ، وفؤاد بك سلطان ، ومكاتب السكرتيرين ووكلاء الادارة ، ومكاتب حضرات الموظفين المنوط بهم الاتصال بجمهور العملاء لقضاء أشغالهم حيث يجلس الأخيرون فى فناء الدور الأول يحجزهم عن الجمهور شبه دائرة مصنوعة من المرمر البديع الصنع ، وفى وسط الفناء صفت مقاعد عديدة لجلوس الجمهور

وخصص الدور الثانى لقاعة مجلس الادارة وأقلام الحسابات والمراجعة والقضايا الذين لا اتصال بينهم وبين الجمهور

وخصص الدور الأرضى ، المسمى بالكنز ، للخزائن الحديدية لحفظ النقود والسندات والأسهم والأشياء الثمينة . وهذه الخزائن عبارة عن غرف واسعة ، صنعت فى جوانبها أدراج حديدية متينة ، منها ما هو مخصص للنقود ، ومنها ما هو مخصص للسندات ، وغيرها للجواهر الثمينة . وقد خصصت إدارة البنك غرفة يودع فيها من يشاء من الجمهور ودائعهم كأمانة عينية مقابل أجر معين ، وهذه الخزائن بأدراجها وأبوابها الضخمة هى من صنع ألمانيا

وقد أعد بغرفة حضرة طلعت بك دفتر ليوقع عليه الزائرون

وقد لفت نظرنا بنوع خاص تعمد إدارة البنك استخدام كل ما هو مصرى فى هذه العمارة ما عدا الأشياء التى لا يمكن صنعها فى مصر فى الوقت الحاضر ، مثل عدد التليفون العادية والأتوماتيكية ، ومثل الخزن الحديدية

أما الطنافس والسجاجيد فقد صنعها صانع مصرى بمساعدة بنك مصر وتشجيعه، ومصابيح الكهرباء (ما عدا اللمبات ذاتها طبعاً) مصنوعة من نحاس على الطراز الشرقى ذات الأنابيب الزجاجية الملونة (صناعة بلدى). والنجارة، من أبواب ومنافذ ومكاتب، كلها مصنوعة على الطراز الشرقى المعروف. فلو اقتدى أفراد الأمة المصرية الكريمة من عظماء ومتوسطين، وفى مقدمة الجميع الحكومة، بما فعله بنك مصر فى استخدام المصنوعات المصرية فى البناء والأثاث وغيرها لراجت عدة صناعات، ونشط الصناع المصريون؛ فان بنك مصر قد ألقى بعمارته هذه درساً نافعاً ومثلا صالحاً فى هذا الميدان

وفاتنا أن نذكر أن حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا قد سبق فزار هذه العمارة صباح السبت أمس الأول مراعاة لصحة دولته؛ وقد سر مما شاهده سروراً عظيما

وإننا، والحق يقال، لنسطر آيات المدح والثناء للقائمين بهذا البنك الوطنى، بل هذا الحصن المكين: حصن الثروة المصرية، سدد الله خطاهم، وأكثر من أمثالهم العاملين على استقلال البلاد اقتصادياً، الذى هو بمثابة القاعدة القويمة للاستقلال السياسى المنشود

يوم من أيام وادى النيـــل

افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر (١)

وصف الذين زاروا دار بنك مصر الجديدة فخامة هذه الدار ، وحسنها ، وبهاءها ، واتساعها للذين لم يروها؛ وأجادوا فى التعبير وحسن البيان . ولكن خير ما يقال بعد ذلك كله : إن الخبر ليس كالعيان . فقد جمعت هذه الدار من آيات الحسن ، ومجالى الهندسة الشرقية والغربية، وجودة المواد المصنوعة منها ، واستيفاء الشروط اللازمة للأعمال المالية وتسهيلها ، وصون الأوراق والعقود والأموال - ما لم نر له مثيلا فى هذا القطر ، وقد يكون بعضه نادر النظير فى سواه . فكيفما سرح المرء طرفه فيها لا تقع عيناه إلا على مظهر من مظاهر الاتقان وبعد النظر ، ومراعاة المتانة وسلامة الذوق : من الباب الكبير المحلى بالزجاج الملون الذى شاع استعماله فى القرون الوسطى فى البيع والمساجد ، إلى السلم الكبير المصنوع من الحجر الأعبل الأسوانى الداكن . وقد قطعت كل درجة قطعة واحدة ، وأرسلت إلى ألمانيا حيث نحتت وصقلت وجليت فصارت كمرآة الغريب ، إلى صحن الدار الكبرى . وقد فرش بطنافس من المرمر المختلف الألوان والأشكال ببريق يقر النواظر ، وصقل يخشى منه على من يمشى عليه . وقد رأينا شيئاً من هذا فى الفساقى القديمة كالتى يحفظون اثنتين منها فى دار الآثار العربية ؛ ولكن الفرق بين الاثنين عظيم ، والفرق كبير ، فلا تكاد العين تقع على هذا الصحن حتى يلتمس اللسان عبارة يعرب بها عن وقع المنظر فى النفس . فمن قائل : سبحان من أبدع ! وقائل : ما شاء الله ! وصامت يترجم صمته عما يشعر به بأبلغ من الكلام . ولقد صدق شوقى بك إذ قال حين رآه : « هذا هو الايوان »

وعلى هذا الصحن قامت أعمدة من الصلب غشيت بالمرمر الفاخر ، تحمل على منا كبها سقفاً عربى الشكل زخرف أبهى زخرفه ، وجمل بمختلف الألوان والأصباغ الموشاة بالذهب . فكأن منه صورة أخرى لا تعرف العين أتحدق فيها وتجلو محاسنها ، أم تعود إلى صحن الدار البديع فتقف وقفة ذلك القاضى الذى كلف الحكم بين صنفين من الحلوى ، فكان يحكم لهذا بعد ما يأكل منه ثم يحكم لذاك بعد ما يملأ به ماضغيه

وبين الأعمدة موائد مستطيلة من المرمر النفيس تفصل بين عملاء البنك وعماله ، وهى فى البنوك الأخرى من الخشب ، ووراءها مكاتب الحاسبين والصيارفة وغيرهم ، وإلى يسار الداخل

---

(١) « المقطم » — عدد ٨ يونية سنة ١٩٢٧

مكاتب المديرين وسكرتيريهم . وقد صنعت كلها على هـذا المنوال . وجعلت أبوابهـا من الطراز العربى الفاخر ، ومن خشب ثمين ، وفرشت أرضها بطنافس من صنع أيدى المصريين

وقد جىء بهذا المرمر والرخام من إيطاليا والمغرب الأقصى ، طبقاً لرسوم رسمها المهندس الشهير لاشاك بك ، وعهد فى تركيبها إلى الصانع المتفنن رتشى . كما أن لاشاك بك هو الذى صنع رسوم الدار كلها من جليل وحقير ، حتى ترابيس الأبواب والنوافذ . ويضىء الدار فى دوريها الأولين منور مغطى بزجاج ملون بديع الشكل ، يكسر من حدة النور ، ويكسوه حلة بهية تقر النواظر

وفى الدور الثانى غرفة كبيرة ، صنعت على طراز الأمبير ، لاجتماع مجلس الادارة ؛ وبجوارها مكتبة هى التى ستودع فيها هدية طلعت بك الثمينة من الكتب القيمة عن أعمال البنوك والصناعات ؛ ويلى ذلك أربعة أدوار يصعد إليها بمصعد وسلالم ثلاثة الشركات التى لها صلة ببنك مصر أو هى تتفرع عليه . أما الدور الأرضى فقد وضعت فيه خزائن من أحدث طراز يضيق المقام عن وصفها ، ومخازن للأوراق لمدة خمس سنوات ، تنقل بعدها إلى دفترخانة البنك التى تبنى فى شبرى

على أن خير ما يوصف به البنك للقراء هو أن ندعوهم إلى زيارته والتمتع بمرآه والابتهاج بهذه الهمة المصرية التى عرفت أن تأخذ بيد هذا المشروع وتنهض به غير مكترثة لما لقيت من تثبيط الهمم ، فجدت واجتهدت ، وواصلت النهار بالليل ، واستعانت بقوى الشبان المصريين المتعلمين ، وخبرة بعض الأجانب الفضلاء ؛ ومضت فى سبيلها حتى انتهى بها المطاف بعد المرحلة الأولى إلى هـذا الصرح العظيم الذى برز فى عاصمة أفريقية شاهداً ناطقاً بما تستطيعه العزيمة الصادقة إذا حسنت النيات ، واتحدت الأيدى والقلوب

فيوم الاحتفال بفتح هذه الدار يوم من أيام مصر ، لدلالته على العزم الأكيد على التماس الاستقلال الاقتصادى الصحيح من طرقه الحقيقية وأبوابه الفنية . وستذكر الأجيال المقبلة هذا اليوم ، وتردد تاريخ هذه النهضة ، ونصيب العاملين فيها - بروح الفخر والمباهاة والشكر والثناء

وإذا كانت فى الدنيا مكافأة فوق إعجاب الخلق وثنائهم فهى الغبطة التى يشعر بها العامل المخلص بنجاح عمله ، وإدراك غرضه ، ولا سيما الغرض العام الذى يحقق آماله ، ويسدى لقومه ومواطنيه خدمة جليلة طالما تمنوا قضاءها حتى قيض الله لهم من وفق إليها على هـذا المثال الباهر من النجاح والكمال

وكان يوم الافتتاح يوماً مشهوداً فى العاصمة ؛ تقاطر فيه أقطاب البلاد وعظماؤها إلى السرادق الكبير الذى نصب فى شارع عماد الدين أمام الدار الجديدة ، وفرشت أرضها بالطنافس ونصب فيه صفوف الكراسى بالمئات والألوف

وفى الساعة الرابعة أخذ المدعوون يفدون إلى السرادق فيستقبلهم حضرات أصحاب المعالى

والسعادة والعزة أحمد مدحت يكن باشا ، ويوسف قطاوى باشا ، ومحمد طلعت حرب بك ، وأحمد عبد الوهاب بك ، وعبد الفتاح اللوزى بك ، وفؤاد سلطان بك ، وإسماعيل شرين بك وكيل محافظة العاصمة ، ونخبة من موظفى البنك - بالحفاوة والاكرام ، ويجلسونهم فى أماكنهم المعدة لهم

وقد حضر هذه الحفلة جم غفير من الأمراء والوزراء والعظماء والكبراء والوجهاء وأعضاء مجلسى الشيوخ والنواب ومديرى الشركات والبنوك والبيوت التجارية ووزراء الدول المفوضين ووكلاء الوزارات ، يتقدمهم حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا رئيس الديوان العالى موفداً من قبل جلالة الملك ، فحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، والأمير سعيد طوسون ، وحضرات أصحاب الدولة والمعالى عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء ، وعدلى يكن باشا ، ومحمد فتح الله بركات باشا وزير الزراعة ، وعلى الشمسى باشا وزير المعارف ، وزكى أبو السعود باشا وزير الحقانية ، ومحمد محمود باشا وزير المالية ، ومحمد نجيب الغرابلى باشا وزير الأوقاف ، وأحمد خشبة باشا وزير المواصلات ، وجعفر ولى باشا وزير الحربية ، وسعيد ذو الفقار باشا ، وأحمد زيور باشا ، وإسماعيل صدقى باشا ، وتوفيق رفعت باشا ، ونخلة المطيعى باشا ، وفوزى المطيعى باشا ، ويوسف سليمان باشا ، وتوفيق دوس باشا ، وأحمد طلعت باشا رئيس محكمة الاستئناف الأهلية ، وأحمد مظلوم باشا ، ومحمود صدقى باشا محافظ العاصمة ، وأصحاب الفضيلة الشيخ محمد بخيت ، والسيد عبد الحميد البكرى ، وعبد الرحيم الدمرداش باشا ، وأصحاب السعادة محمد عرفان باشا ، ومحمود فهمى القيسى مدير الأمن العام ، وطاهر نور باشا النائب العمومى ، وصادق يونس باشا مدير الغربية ، ونيازى بك مدير الفيوم ، واللواء محمود عزمى باشا ، واللواء صادق يحيى باشا كبير الياوران ، وعبدالله سميكة باشا ، وعبد الخالق مدكور باشا ، ومحمد رفعت الزرنايجى باشا ، واللواء أحمد شفيق باشا مدير مصلحة الحدود ، وحافظ حسن باشا ، ومبروك فهمى باشا ، وإبراهيم حلمى باشا ، وأحمد زكى باشا ، وأصحاب العزة الشيخ عبد العزيز جاويش بك مراقب التعليم الأولى ، ومحمد شرارة بك مراقب الادارة العامة بوزارة المالية ، وأحمد حسنين بك الأمين الأول ، وإبراهيم درويش بك مراقب قسم الادارة بوزارة المعارف ، ومحمد خالد حسنين بك مفتش العلوم الحديثة بالمعاهد الدينية ، ومحمود فهمى بك المفتش العام لرى الوجه البحرى بوزارة الأشغال ، وحامد خلوصى بك سكرتير مجلس الوزراء ، وإرنست نعمة الله بك مساعده ، وأحمد فهمى القطان بك مراقب التعليم الفنى ، ومحمد خالد حمدى بك مدير إدارة الامتحانات ، وعبد المجيد الرمالى بك وعباس الرمالى بك ، وأمين لطفى بك سكرتير وزارة المعارف العام المساعد ، وغانم محمد بك ، مدير إدارة المستخدمين فيها ، وعبد الرحمن فهمى بك ، وعثمان رفقى بك وكيل مصلحة الأملاك ، والدكتور عبد العزيز نظمى بك ، وأصحاب السعادة وكلاء الوزارات ، وأعضاء مجلسى الشيوخ

والنواب ، وكثيرون غيرهم لم تع الذاكرة أسماءهم . وكان فخامة اللورد لويد قد اعتذر فى اليوم السابق عن الحضور

ولما أقبل سمو الأمير عمر طوسون قوبل بالتصفيق ؛ وكذلك لما وصل حضرات أصحاب الدولة والمعالى عدلى يكن باشا ، وعبد الخالق ثروت باشا ، وزملائه قوبلوا بالتصفيق

وبعد ما تكامل عقد الاجتماع واستقر المقام بالحاضرين ألقى حضرة صاحب المعالى أحمد مدحت يكن باشا رئيس مجلس إدارة البنك باللغة الفرنسية كلمة نشرنا ترجمتها فى غير هذا المكان . ثم وقف بعده حضرة صاحب العزة محمد طلعت حرب بك مدير البنك وألقى كلمة نشرناها فى غير هذا المكان . ثم ألقى أحد طلبة دار العلوم الأذكياء قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقى بك ، وقد نشرناها فى غير هذا المكان . وبينما كان الحاضرون يصغون إلى قصيدة شوقى وصل جناب الدكتور مورتون هاويل وزير أميركا المفوض فقوبل بالتصفيق

وبعد الفراغ من الخطب والقصائد تقدم معالى مدحت يكن باشا من دولة توفيق نسيم باشا وسمو الأمير عمر طوسون وسمو الأمير نجله وأصحاب الدولة والمعالى الوزراء ودعاهم إلى زيارة الدار الجديدة فلبوا الدعوة ، وتبعهم الحاضرون فصعدوا أولا إلى الطابق الثانى ثم نزلوا إلى الطابق الأول ، فالطابق السفلى . وكان حضرة صاحب العزة طلعت حرب بك يشرح لحضراتهم كل ما يقع عليه نظرهم

وقد سمع مندوبنا حضرة صاحب المعالى أحمد مظلوم باشا يقول لحضرة صاحب المعالى محمد نجيب الغرابلى باشا وزير الأوقاف عند ما كانا يتفرجان على الخزائن الحديدية : « إن شاء الله تصبح الخزن دى عندك » فرد عليه معاليه : « هذا من بعض ما عندك ياباشا »

وبعد ما انتهى دولة توفيق نسيم باشا وسمو الأمير عمر طوسون والأمير نجله والوزراء من مشاهدة الدار استراحوا قليلا بمكتب حضرة طلعت بك ، ثم وقعوا دفتر الزيارات ، وهنأوا طلعت بك ، وانصرفوا مودعين بمثل ما قوبلوا به من التجلة والاكرام

أما حضرات المدعوين فقد ظلوا يطوفون ويمتعون النواظر بمحاسنها ، ثم انصرفوا وهم يثنون على حضرات القائمين بأمر البنك ، ويهنئونهم بنتائج جهدهم الصادق الذى أنتج للبلاد هذا البنك العظيم

وكان حضرة صاحب السعادة رسل باشا حكمدار العاصمة ، وحضرات كامل محسن بك مساعد الحكمدار ، والصاغ رأفت افندى مأمور قسم عابدين ، وبعض الضباط يشرفون على النظام فى الشوارع المؤدية إلى سرادق الاحتفال . وقد انتهى الاحتفال كما بدىء ، بنظام تام ، مع شدة الزحام ، وكثرة عدد الحاضرين ؛ وقد بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف

المشروعات القومية العظيمة [١]

على ذكر افتتاح دار بنك مصر

كان العرب فى جاهليتهم يفرحون لشاعر ينبغ فيهم ، أو غلام ينجب ، أو فرس يسبق . تلك أيام كان لها حاجاتها ومقتضياتها فتبدلت بأيام لم يعد يصلح لها كل ما كان صالحا من قبل ، ولم يعد يكفى الناس منها ما كان يكفى أجدادهم وأسلافهم

إن فى اجتماع ثلاثة آلاف من نخبة المصريين والأوربيين المقيمين فى مصر ، يتقدمهم عظماء الدولة وأقطاب البلاد ، لحضور الحفلة بافتتاح الدار الجديدة الفخمة لبنك مصر ، وما كان يلوح على الوجوه من سيماء الابتهاج والتفاؤل - لدليلا ساطعاً على أن مصر أنجبت مولوداً سعيداً أقر الله به العيون ، وشرح بمولده الصدور ؛ فأقبل الناس على بيتهم ، كما قال طلعت بك حرب : « يتبادلون التهنئة ، ويدعون للمولود الجديد بأن ينبته الله نباتاً حسناً ، ويكتب له السلامة ، وطول العمر ، ودوام النفع والفائدة »

ولقد أعجب الناس إعجاباً عظيما بالفعل العظيم الذى أتيح للندبرغ ومن بعد لتشمبرلن الأميركى ، وقد أقدما على ما تحاماه غيرهما وفعلا ما قصر المناظرون عن بلوغه ، فعبرا بحر الظلمات طائرين ، وأنشآ حلقة جديدة من اتصال بين العالم القديم والعالم الجديد ، وصغرا الكرة الأرضية بهذه السرعة التى كانت فيما مضى حلما من الأحلام ، فصارت اليوم حقيقة من الحقائق . وإنما كان إعجاب الناس أولا بالصفات والمواهب التى تحلى بها هذان المقدامان ، وكيف أنهما بالحذق وإتقان العمل ، والمثابرة والاقدام ، والشجاعة والتجلد على احتمال المصاعب والمشقات فازا بما هو مطمح أبصار ألوف من الشجعان ، ومنتهى آمال البشرية التى تتوق من صميم فؤادها إلى توثيق عرى الصلات بين الشعوب . فلم يكن ابتهاج الفرنسيين والانجليز والبلجيكيين والألمان بأقل من اغتباط الأميركيين الذين أرسلوا إلى العالم القديم هذين السفيرين يحملان بشرى التقرب ، ويزفانها إلى أبناء عمهما فى الانسانية ، وإخوانهما فى الجهاد المشترك لرفع شأن البشرية

ومن المشهود فى طبائع البشر أن الأعمال السريعة المفاجئة تستوقف النظر أكثر مما يستوقفه سواها ، وقد يعنى الناس بما يرتسم أمامهم من صور السينما أكثر من عنايتهم بالصور غير المتحركة ولو كانت من صنع أمهر المصورين . غير أن هذه الحقيقة لم تغمض العيون فى مصر عن المغزى العظيم الذى يترجمه مشروع كمشروع بنك مصر ، والعبرة الكبرى التى تستخرج من تاريخه القصير

---

(١) المقطم — عدد ٨ يوليو سنة ١٩٢٧

الحافل بما يبهج الصدور ، ويقر العيون ، ويبشر بما يليه من العمر الطويل ، والعمل النافع المطرد لسد فراغ كبير فى حياة مصر الاقتصادية ، وما يتصل بها من الحياة الاجتماعية والسياسية

وقد قصصنا تاريخ بنك مصر وقصه سوانا . ولو كانت قصة أخرى لصارت مبتذلة ، ولكنها فى هذه الحال جديرة بالترديد والاعادة ، لأنها نقضت عقائد كانت راسخة فى الأذهان ، ونفضت كثيراً من غبار الفتور والتراخى ، وشقت طريقاً رحباً أمام هذه الألوف المؤلفة من الشبان الذين نعنى بتعليمهم فى المدارس ، وتخريجهم فى الكليات ، ثم لا نكترث بعد ذلك لما يكون مصيرهم ، فلا يرون أمامهم من القدوة سوى موظفى الحكومة ، ولا يبصرون من الغايات سوى هذه المناصب التى كثر عليها الزحام ؛ حتى صار أمرها مشكلة من مشكلاتنا الاجتماعية ، وحتى بتنا نخشى من عواقب حالة إذا طال أمرها ، واجهتنا فى مستقبل الأيام معضلات لا تحصى

خطرت فكرة إنشاء هذا البنك لنفر من رجالنا اشتهروا بقلة الكلام ، والانزواء ، وحب الابتعاد عن الاعلان ، فدرسوا المشروع ، ووزنوه بميزان الاختبار والاعتبار ، وأحاطوه بالعناية التى نشأوا عليها ، وتمرنوا على أساليبها ، ثم أخذوا يطرقون أبواب الذين توسموا فيهم حب النهضة القومية فى هذا السبيل . فكانوا لا يسمعون كلمة تنشيط حتى يسمعوا ، قبلها أو بعدها ، عبارات شتى من تثبيط العزيمة . وإن المرء ليعجب بهم ، بعد الذى قرع أسماعهم من هذه العبارات ، كيف ظلوا ماضين فى طريقهم ، ولم يحولوا أبصارهم ساعة واحدة عن الغاية العظمى التى وضعوها نصب العيون . وهذا خلق ما أحوجنا نحن معاشر الشرقيين إليه ! فقد اشتهر عنا أننا نهب للأمر أو المشروع بحماسة وغيرة عظيمتين تبشران بنتائج كبيرة ، ثم لا نلبث أن يحل بنا الاعياء والفتور فلا نكاد نتوسط الطريق حتى نعود القهقرى ، أو حتى نجمد ونضيع ثمار ما غرسنا

فاذا عد مشروع بنك مصر قدوة كانت هذه القدوة من غير ناحية واحدة ، فالابتكار ، والتصميم ، وعدم التردد ، والاعتماد على النفس ، ثم الاستمرار ، ومغالبة المصاعب ، والمعاكسات — وفى كل من هذه درس يجدر بالجميع ، ولا سيما الشبان ، الذين يواجهون الحياة ، وليس عندهم كل مايعدونه لازماً من أدوات النجاح وأسبابه فيما يعالجون من الأعمال ، فلمثل هؤلاء يقال : انظروا مافعل جماعة بنك مصر ، وكيف أن الرأى العام كان على غير ما أرادوا ، فلم يتخذوا من ذلك مسوغاً للقعود والتهاون ، بل شرعوا يتلافون الأمور بعناية وعزم صادق ، ووطنوا النفس على أن يقيموا البرهان على صدق نظرهم وصحة رأيهم ، وسلامة مشروعهم من العيوب ، وهنا أظهروا ما انطووا عليه من صفات مكنونة . فقد انقطعوا لأعمالهم لا يلهيهم عنها شىء آخر ، فكانوا لا يشهدون حفلات ولا يلتمسون راحة ، ولا يفارقون مركز عملهم ولا يتركونه للهو أو مسرة حتى لقد قيل : إن حضرة طلعت بك حرب ذهب إلى مكتبه فى بنك مصر فى اليوم الذى اختار

فيه الله وحيده لجواره ، فلم يشأ قلبه الكبير أن يتخلى عن عمله الخطير ، وهو لا يزال فى دور نموه الأول : حرصاً على سلامته مما كان يهب عليه من اللوافح فى ذلك الحين

ثم آن أوان النجاح ، فرددت مصر من أقصائها إلى أقصائها اسم بنك مصر ، وصار علماً من أعلام وادى النيل ، له مقامه فى عالم التجارة والصناعة والمال والاقتصاد . فلم يسكر ذلك أصحاب العقل فى إنشائه ، ولا ثملوا بنشوة هذا الفلاح المبين ، وقد صار عملهم قبلة العيون - بل عمدوا إلى توسيع أساسه ، ليكبروا الصرح الذى يبنى على هذا الأساس ؛ فعمدوا إلى إنشاء الصناعات ، وابتكار المشروعات بمعونة البنك ؛ ولكن من دون أن يجازفوا برأس ماله ، وهو مالهم ومال غيرهم . وأخذوا يضمون إليهم النابغين من شبابنا ليستعينوا بهم على إنجاح هذه الأعمال ، فاجتمع فى بنك مصر والشركات المتصلة به نخبة من شبابنا العاملين الأذكياء الذين اضطرمت فى صدورهم مثل تلك الحمية التى امتاز بها المسئولون . وكان من هذا التعاون الوثيق العرى ما نشهد الآن من نجاح تخفق أعلامه على جميع مشروعات هذه الهيئة الوطنية التى غيرت اتجاه الأنظار فى مصر ، وكانت أكبر ثورة اقتصادية على ضفاف النيل فى العصر الحاضر . وصار بنك مصر جامعة اقتصادية فيها كليات للتربية المالية ، والتربية الصناعية ، ودائرة للبحث والتحليل ، وتعزيز ملكة الابتكار وصقلها ، وعنواناً على ما يستطاع باجهاد القوى وتعاونها

ولا يظنن ظان أن طريق بنك مصر وأعماله الكثيرة طريق فرشت أرضه بمنثور الورد والأزهار . فان زيادة أعماله ، واتساع دوائر مشروعاته يضاعفان التبعة الملقاة على عاتق مؤسسيه ومديريه ، ولا سيما بعد ما شادوا هذا الصرح العظيم ، أو الايوان الفخم البديع ، فجاء آية مادية للدلالة على ماقيض لهم من النجاح . وليس ذلك فقط ، بل للاشارة إلى ما يتوقعون بعده من تحقيق الأمانى التى وضعتها البلاد فيهم طوعا واختياراً بعد الامتحان الشاق الدقيق الذى جازوه مرفوعى الرأس ، ونالوا فيه درجة « فائق » باجماع أصوات الخلق ، وهى ، فى القول المأثور ، أقلام الحق

فاذا تمنينا دوام النجاح لهذا العمل القومى الكبير تمنينا إلى جنب ذلك أن يكثروا بيننا بحكم القدوة عدد الذين وهبهم الله ما يستطيعون به رفع منزلتهم ، وتخليد ذكرهم ببذل المواهب فى خدمة الأوطان ، ومد يد المعونة إلى إخوانهم فى القومية ؛ ليحققوا أمنيتهم العظمى بالاستقلال ؛ إذ لا يكون استقلال ولا تتوطد أركانه إذا لم يحط بسياج من الاستقلال الاقتصادى ، ولم تبلغ البلاد منزلة تصير بها عضواً فى جماعة الأمم الناهضة فى عالم الاقتصاد بما يحويه من الأعمال المالية والتجارية والصناعية والزراعية . وهذا ما يجب أن تنضى إليه القوى ، وتوقف عليه الجهود

خزائن حديدية لحفظ مستندات البنك

بنك مصر (١)

تخيل « بنيامين كد »، فى بعض كتبه، أنّ قادماً غريباً عن الأرض وعاداتها وأوضاعها وفد إليها من المريخ أو من بعض الكواكب الأخرى ثم طاف فى أنحاء مدينة كبرى مع دليل من أبنائها يعرفه بمبانيها ومواقعها، ويبصره بتاريخها وآثارها. قال، فمن السهل على الدليل أن يوجز له وصف كل بنية من تلك البنى التى يمر بها، سواء أكانت من المتاجر أم من المصارف، أم من دور التعليم أو دور الحكم، وأن يدله على فائدتها ونشأتها ببيان قليل يسهل فهمه لأول وهلة - إلا طائفة من الدور تصعب الابانة عنها، ويعانى الدليل بعض الحيرة فى تفهيم غرضها، وعلة اجتماع الناس فيها، واحترامهم إياها: وتلك هى دور العبادة؛ فان الدليل لا يسهل عليه تمثيل المعانى الكثيرة التى من أجلها أقيمت تلك الدور، وحلت محل الرعاية والمهابة بين العمائر المأهولة، والمعاهد النافعة. ولا يزال، كلما وضح وفسر، محتاجاً إلى المزيد من التوضيح والتفسير، إلى أن يفهم القادم الغريب بعض الفهم، ثم لا يستغنى عن الزيادة فى طول مقامه بين أبناء هذا الكوكب

نظن أن « بنيامين كد » على صواب فى هذا التخيل، وإن كانت دور العبادة فى الأرض من أقدم الدور، وأول ما عرف الأرضيون من المعاهد والمثابات، ولكنها تقوم على مزيج من الشعور والتصور والادراك لا يسهل توضيحه وتعليله لمن يجهله كل الجهل، ويحتاج إلى درسه من البداية إلى النهاية. ويلوح من كلام « بنيامين كد » أن المصارف تعد بين أسهل الأبنية تعريفاً وأشبهها بسائر الأبنية التى يراها القادم الغريب عن الأرض فى سياحته بالمدينة. وهذا صواب أيضاً؛ فان المصرف والمتجر والمطعم كلها بسبيل واحدة فى حياة الانسانية، وفى كل حياة طبيعية؛ غير أننا نظن أن مصرفاً واحداً من مصارف الأرض خليق أن يستثنى من هذه القاعدة العامة، وذلك هو « بنك مصر ». فلو أن القادم الغريب عن العالم الأرضى، بل الغريب عن القطر المصرى عرف ما فى نفوس المصريين من الاجلال، والعطف، والثقة. والرجاء المنوط بتلك العمارة؛ ولو أنه شهد مفتتحها فى يوم الأحد الماضى، وتوسم ما على الوجوه، وما فى طوايا النفوس من الأريحية والسرور بهذا اليوم المعدود؛ ولو أنه علم أن شعور القداسة الذى يخامر نفوس جميع الحاضرين شامل لمن يستفيدون من تلك الدار ومن لا يستفيدون منها، لمن يعاملونها ومن هم بعيدون عن معاملتها — لو أنه شعر بهذا كله لاستغرب كيف يتأتى هذا

---

(١) البلاغ — عدد ٨ يونيو سنة ١٩٢٧

التقديس لمصرف من مصارف المال ، ولاحتاج إلى تفصيل كتفصيل المتحدث عن أماكن العبادة ليفقه سر ذلك الحنو الذى يحيطها به الناس ، ومعنى الرجاء النزيه والاكبار الخالص الذى يتوجهون به إلى مكان أعد للبيع والتجارة ، وهما غريبان كل الغرابة عن شعور التنزيه والتقديس

إن المصريين لا يكبرون المال وحده حين يكبرون « بنك مصر » ، ولكنهم يكبرون معه العزة ، والرجاء ، والحرية والاستقلال . وهم لاينظرون إليه نظرتهم إلى مكان يمثل الثروة المادية فحسب ، بل ينظرون إليه نظرتهم إلى المكان الذى يمثل « ثروتهم النفسية » ومقدار ما عندهم من الأمل فى الحياة والقدرة على الجهاد . وقد يكون ذلك شأن بعض المصارف فى بعض البلاد الأخرى. ولكننا لانظن مصرفاً فى الأرض اقترنت به المطامح السامية ، ووقف إلى جانب «المثل الأعلى» الذى تنشده الأمة ، كما تحقق ذلك كله فى بنك مصر ، ولا نظن مصرفاً آخر استحق ذلك المقام الرفيع كما استحقه هذا البناء الذى توجه النجاح ، ووطد أساسه الرجاء

قال صاحب العزة محمد طلعت حرب بك مدير البنك فى حفلة الافتتاح : « نحن فى هذه الدار ، وفى التى قبلها ، لا نستغل المال حباً فيه ؛ فاننا لسنا من عباده ، أو ممن يتعلقون بنواصيه . إنما نحن نعرف أن المال قوة فى هذا العالم ، وأنه كما يكون قوة للشر فى أيدى الأشرار يكون قوة للخير فى أيدى الأخيار ؛ وأن المصريين إلى عهد قريب قد انصرفوا عن استخدام قوته ، إلا فى بعض أحوالهم الضرورية - فتركوا قوة الأموال الأجنبية المنظمة تحز فى حياة جماعاتهم ، وتستدر بقوتها خيرات الأموال العمومية والأموال الخصوصية حتى كادت تستأثر بجهود الأمة عن آخرها لو لم يتنبهوا إلى تنظيم قوتهم المالية كجماعة ، فكان أظهر أثر لاتجاهاتهم الجديدة التفافهم حول بنك مصر بقوة من الايمان ، وشعور من الوطنية ، وإحساس بضرورة الدفاع عن الذات ، كان من أثره أن أصبح بنك مصر بفضلهم قطعة ظاهرة من الحياة القومية المصرية : يحفونه بمحبتهم وتعضيدهم ، من غير قيد ولا تحفظ »

صدق المدير الفاضل . إنما الايمان ، وشعور الوطنية : هما الأساس الذى يقوم عليه بنك مصر وترتفع عليه تلك العمارة الرائعة التى ترمز بجمالها ومتانتها إلى جمال الرجاء ومتانة الايمان . وهى ، كما قال ، قطعة ظاهرة من الحياة القومية يحفها المصريون بمحبتهم وتعضيدهم « من غير قيد ولا تحفظ » ، نعم من غير قيد ولا تحفظ ! فما عرفنا عملا مصرياً آخر كانت له فى نفوس المصريين تلك الحرمة التى تفاهموا بينهم بغير إرشاد ولا نصيحة على توجيهها إلى تلك القبلة المحبوبة . فلكل أمة غرض أو سياسة أو عمل ترفعه عن الأغراض الشخصية ، وتنسى عنده عداوات الأفراد والمذاهب والأحزاب ؛ وفى مصر عمل وضعه المصريون بذلك الوضع هو « بنك مصر » وحده بغير شريك فى هذه المزية . فكم خلط المصريون ، كما يخلط الناس جميعاً ، بين مهاجمة الخصوم ،

ومهاجمة العمل القومى الذى يقوم به أولئك الخصوم ! وكم توسلوا بالمسائل العمومية إلى النيل من بعض الأفراد ، أو بالمسائل الفردية إلى النيل من العاملين بينهم فى كل فرع من فروع الحياة - إلا بنك مصر . فما اجترأ أحد ، ولا يستطيع أن يجترىء ، على المساس به أو بالمشرفين عليه أيا كان شأنه وخلقه فى تنزيه المصالح القومية ، وتعظيم الرجال . وذلك مظهر آخر من مظاهر القداسة التى يحف بها أبناء هذا البلد داراً تقوم على المنفعة والمال

وإذا كان « بنك مصر » فى حاجة جديدة إلى الثقة الصادقة ، فهذه الدار التى بناها كأجمل ما تبنى المصارف فى الدنيا، شاهد على تلك الثقة ، ودليل مجسم على حسن الادارة ، وحسن الاشراف. وإننا - فى اليوم الذى نهنىء فيه رجال البنك بتمام هذا المجهود العظيم — نتمنى ألا تزال همتهم ناهضة به ، ساهرة على تكبيره وتوطيده ، حتى تضيق به هذه الدار الجديدة على سعتها ، ويتقبلوا التهنئة بانشاء الدار بعد الدار على تعاقب الأيام . وليكونوا على ثقة أن أسماءهم الموقرة لن تنسى فى تاريخ نهضة مصر مابقى لها حرص على تاريخ ، وقدرة على التقدير

عباس محمود العقاد

تحيـــــة بنك مصر

حَيِّ الْجِهـــادَ الْمُنْتِجَ الفَعَّالاَ ... وَاطْلُبْ لَهُ مُسْـــتَقْبَلاً وَكَمالاَ

وَافْخَرْ بِمِصْرَ وَأَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّهُمْ ... كَانُوا أَمَامَ الْحَاسِـــدِينَ رِجَالاَ

هُمْ شَجَّعُوا هَـذَا الْبِنَاءَ وَأَظْهَرُوا ... عَطْفاً عَلَيْـــهِ وَأَقْبَلُوا إِقْبَالاَ

يَتَبَايَنُونَ طَـــوَائِفاً لٰكِنَّهُمْ ... بِإِزَائِهِ قَدْ وَحَّـــدُوا الأَمْيَالاَ

لَمْ يَبْـقَ فِيهِمْ مُوسِرٌ أَوْ عَامِلٌ ... لَمْ يَسْـــتَفِدْ أَوْ يُودِعِ الأَمْوَالاَ

وَثِقُـوا بِبَانِيـهِ فَحَقَّقَ ظَنَّهُـمْ ... وَبَنَـــوْا عَلَى مَشْرُوْعِهِ الآمَالاَ

يَاوَاضِعَ الْحَجَرِ الأَسَاسِيِّ الَّذِى ... ضَـــرَبُوا بِهِ الآيَاتِ وَالأَمْثَالاَ

نُبِّئْتَ أَنَّ الْمَـــالَ فِى مَجْمُوْعِنَا ... يَكْسُو الْحَيَاةَ مَهَابَةً وَجَـــلاَلاَ

فَرَفَعْتَ لِلْمِصْرِيِّ شَأْناً لَمْ يَكُنْ ... وَرَفَعْتَ عَنْ أَطْوَاقِهِ أَغْـلاَلاَ

وَبَلَغْتَ مَا بَلَغَ امْـــرُؤٌ بِجِهَادِهِ ... وَدَنَوْتَ مِنْ أَوْجِ الْكَمَالِ كَمَالاَ

فَبَنَيْتَ نِبْراساً لِكُلِّ مُجَاهِـــدٍ ... إِنْ شَاءَ شَاهَدَ عِنْـــدَهُ تِمْثَالاَ

أُمْنِيَّةٌ عَـــزَّتْ وَرُبَّ عُـــلاَلَةٍ ... سَهُلَتْ بِإِقْـدَامِ الرِّجَالِ مَنَالاَ

هَـــذَا فُؤَادٌ يُعِينُ فِى تَحْقِيقِهَا ... وَيَظَلُّ يَدْأَبُ لَيْسَ يَهْـدَأُ بَالاَ

قُمْ يَابْنَ حَرْبٍ فِى الْكِنَانَةِ إِنَّمَا ... جُعِلَتْ حُرُوبُ الْمُخْلِصِينَ سِجَالاَ

وَافْتَحْ مِنَ الأَبْوَابِ أَعْسَرَ مُوْصَدٍ ... فَاللهُ فِى عَوْنِ الْمُجِـــدِّ تَعَالَى

إِنَّ الْجِهَادَ لِمِصْرَ أَنَّ تَسْعَى لَهَـــا ... لِتَزِيدَ ثَرْوَتَهَا فَتَسْعَـــدَ حَالاَ

فَإِذَا أَصَابَتْ حَظَّهَا مِنْهُ فَقَـــدْ ... نَجَتِ الْبِـلاَدُ وَنَالَتِ اسْـتِقْلاَلاَ

مَاذَا يُفِيـدُ الْمُسْـتَقِلَّ إِذَا طَوَى ... جُـــوعاً وَأَصْبَحَ بُؤْسُـهُ قَتَّالاَ

---

(١) « الأهرام » عدد ٩ يونيو سنة ١٩٢٧

وَالْفَقْرُ يَجْعَلُ فِي النُّفُوسِ مَهَانَةً ... وَيُذِلُّ أَنْفَ رَفِيقِهِ إِذْلَالاً

وَلَرُبَّ مَشْرُوعٍ لِمَصْرِفِكَ الَّذِي ... أَسَّسْتَ أَصْبَحَ قُدْوَةً وَمِثَالاً

إِنِّي أَرَى قُوَّادَ مِصْرَ فَلاَ أَرَى ... مِثْلَ ابْنِ حَرْبٍ فِي الْحُرُوبِ نِضَالاً

يَا بَانِيَ اسْتِقْلاَلِ مِصْرَ الاقْتِصَا ... دِيِّ الَّذِي مِنْ قَبْلُ كَانَ خَيَالاً

خُذْ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَنَاءً عَاطِرًا ... وَاسْتَقْبِلَنَّ مَدِيحَهَا اسْتِقْبَالاً

وَاحْمِلْ إِلَى التَّارِيخِ أَكْبَرَ مِنَّةٍ ... أَبَدًا يَدُومُ حَدِيثُهَا أَجْيَالاً

فِي ظِلِّ رَبِّ التَّاجِ حَامِي مِصْرِنَا ... يَحْيَا فُؤَادُ بِرِفْعَةٍ تَتَوَالَى

حسن الحكيم

فهرس

	صفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٥
خطبة محمد طلعت حرب بك فى حفلة تكريم المسيو سيجفرد فى سنة ١٩١٣	٩
تقرير طلعت حرب بك ويوسف قطاوى باشا عن الصناعة والتجارة الألمانية مقدم إلى لجنة الصناعة والتجارة فى سنة ١٩١٦	٢١
خطبة طلعت حرب بك فى حفلة تأسيس بنك مصر سنة ١٩٢٠	٥٣
قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقى بك فى حفلة تأسيس بنك مصر سنة ١٩٢٠	٧٠
خطبة طلعت حرب بك فى حفلة التجار لتكريم الوفد سنة ١٩٢١	٧١
خطبة طلعت حرب بك فى وليمة بنك مصر لتكريم قناصل الدولة المصرية سنة ١٩٢٤	٧٧
خطبة طلعت حرب بك فى حفلة توزيع الجوائز السنوية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة ١٩٢٤	٨١
خطبة طلعت حرب بك فى حفلة التكريم التى أقامها له نادى التجارة العليا لمناسبة دخوله عضواً فى مجلس الشيوخ فى مارس سنة ١٩٢٤	٩٢
خطبة طلعت حرب بك فى حفلة افتتاح فرع بنك مصر بالمحلة الكبرى سنة ١٩٢٤	١٠٢
نداء إلى الأمة المصرية الكريمة للاكتتاب العام فى أسهم الشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان يناير سنة ١٩٢٥	١٢٠
كلمة مجلس الادارة فى حفلة وضع الحجر الأساسى فى بناء بنك مصر بشارع عماد الدين وصيغة المحضر الخاص بذلك فى مايو سنة ١٩٢٥	١٢٧
قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقى بك فى حفلة وضع الحجر الأساسى لبنك مصر	١٣٠
خطبة طلعت حرب بك فى بيروت فى يوليو سنة ١٩٢٥	١٣٣
خطبة طلعت حرب بك فى دمشق فى يوليه سنة ١٩٢٥	١٤٢
خطبة طلعت حرب بك فى فينا فى يوليه سنة ١٩٢٥	١٥٣
خطبة طلعت حرب بك فى باريس فى سبتمبر سنة ١٩٢٥	١٦١
خطبة طلعت حرب بك فى حفلة موظفى بنك مصر فى أكتوبر سنة ١٩٢٥ . .	١٧٨

صفحة

خطبة طلعت حرب بك فى حفلة الغرف التجارية فى أكتوبر سنة ١٩٢٥ ١٨٢

خطبة طلعت حرب بك فى حفلة تكريم أحمد بك عبد الوهاب فى فبراير سنة ١٩٢٦ ١٩٠

خطبة طلعت حرب بك فى حفلة افتتاح فرع بنك مصر ببنى سويف فى سبتمبر ١٩٢٦ ١٩٤

خطبة طلعت حرب بك فى حفلة الغرفة التجارية ببنى سويف سبتمبر ١٩٢٦ ١٩٦

خطبة طلعت حرب بك فى حفلة افتتاح فرع بنك مصر بمدينة الفيوم . . . ٢٠١

كلمة طلعت حرب بك فى الحفلة التى دعا اليها أعضاء مؤتمر الغزالين بتياترو حديقة الأزبكية فى يناير سنة ١٩٢٧ . . . . . ٢٠٣

خطبة طلعت حرب بك عن قوة السينما وطريقة استخدامها ووظيفة شركة مصر للتمثيل والسينما وأعمالها وأغراضها فى مارس ١٩٢٧ . . . . . ٢٠٦

ترجمة خطبة معالى أحمد مدحت يكن باشا فى حفلة افتتاح دار بنك مصر الجديدة فى ٥ يونيو سنة ١٩٢٧ . . . . . ٢٢٥

خطبة طلعت حرب بك فى حفلة افتتاح دار بنك مصر الجديدة فى ٥ يونيو ١٩٢٧ ٢٢٦

قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقى بك فى حفلة افتتاح دار بنك مصر الجديدة فى ٥ يونيو سنة ١٩٢٧ . . . . . ٢٣١

أقوال الصحف

لمناسبة حفلة افتتاح دار « بنك مصر » الجديدة فى ٥ يونيو سنة ١٩٢٧ . . . ٢٣٤

مقال نادى التجارة العليا فى مجلته بعنوان « بنك مصر فى داره الجديدة » . . ٢٣٥

مقال جريدة الاتحاد بعنوان « بنك مصر وداره الجديدة » ٢٣٧

مقال جريدة السياسة بعنوان « يوم بنك مصر » ٢٣٩

مقال بجريدة السياسة بعنوان « بنك مصر » ٢٤٢

مقال بجريدة الأخبار بعنوان « يوم مصر » ٢٤٥

مقال جريدة التجارة باسكندرية بعنوان « حفلة افتتاح عمارة بنك مصر الجديدة » ٢٥١

مقال المقطم بعنوان « يوم من أيام وادى النيل » ٢٥٤

مقال المقطم بعنوان « المشروعات القومية العظيمة » ٢٥٨

مقال فى البلاغ بعنوان « بنك مصر » ٢٦١

القصيدة المنشورة بجريدة الأهرام بعنوان « تحية بنك مصر » ٢٦٤

مطبعة مصر ٤١٩٨/٢٧/٢٠٠٠

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University